صفوة السير

سيرة رسول الله

قدم لها

سَمَاحَة المفتي العام

العَلاّمة الشّيخ أحمدْ كفتارو

إعْدَاد الدّكتور

محمَّد الحبش

دَارُ أفنان

سَاحَة شَمدين–دِمَشق

5129392–هاتف: 7775493

2020–الطبعة الاربعون

تقديمُ سماحة الشيخ أحمد كفتارو

المفتي العام للجمهورية العربية السورية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإنّ سيرة النبيﷺ خير زاد يهدي لطالب العلم، نوراً يستضيء به في سائر شؤون حياته وهو صلّى الله عليه وآله وسلم. الأسوة الحسنة لكلّ مسلم وأيامه التي عاشها بين أصحابه وهي التي غيرت حياة العرب وروعتهم بروح الإيمان. لينطلقوا في الأمصار، دعاة وهداة مصلحين وليقدموا للمجتمع الإسلامي والإنساني أروع مجتمع فاضل، لا نظرياً كما تصوره الفلاسفة، بل حقيقة وواقعاً، حتى قامت في الأرض أوّل دولة في التاريخ بلا محاكم ولا سجون.

وقد اطلعت على بعض ما كتبه ولدنا الموفق الأستاذ محمد الحبش ومما انتقاه من محاضراتنا في السيرة النبوية المباركة فسرني ما رأيت فيه من تبويب وتصنيف وأعجبني ما دوّن من حكم بالغة هي خلاصة السيرة النبوية أسأل الله أن ينفع بها طلاب العلم وأن تكون للأمة باباً يهتدون به إلى سلوك النبي الأعظم محمد ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أحمد كفتارو

مقدمة الطبعة الأربعين

يسعدني أن أقدم للقراء الكرام هذه الطبعة الجديدة الموفية أربعين، لكتابي سيرة رسول الله، صفوة السير، وأرجو أن يكون خيراً نبتغي أجره عند الله.

ويأتي صدور هذه الطبعة الجديدة لكتاب سيرة رسول الله بعد ثلاثين عاماً من الطبعة الأولى، مرت خلالها الأمة الإسلامية بأحداث جسام، وتغير المشهد تغيراً هائلاً، والتهبت الحواضر الإسلامية بالصراعات العسكرية المسلحة، وتصاعدت في الغرب ظاهرة الإسلاموفوبيا، وظهرت مشاريع مباشرة لتشويه صورة الرسالة والرسول، وللأسف فقد قام كثير من المسلمين بإذكاء هذه العداوة عن جهل وظنون، وأساؤوا إلى رسالته صلى الله عليه سلم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وبات الكفاح من أجل الدفاع عن القيم النبيلة التي بشر بها رسول الله أهم المسؤوليات التي يقوم بها المسلم في هذا الزمان.

وفي اعتقادي فإن هذا الكتاب يسهم في هذا الواجب من زاويتين اثنتين: السلم والعلم.

السلم: إظهار الجانب السلمي في حياة الرسول، والتأكيد على نجاحه في وقف الحرب وصناعة السلام، ويكشف ان الغزوات المنسوبة إلى الرسول في كتب السير تحت اسم المغازي النبوية ليست دقيقة ولا واقعية، فالرسول لم يغز 28 غزوة كما تقدم كتب السير، بل الصواب أن نقول إنه غُزي 28 مرة، وأنه لم يقم بغزو أحد، ونجح في تحويل 23 منها إلى مصالحات وسلم، وأن سائر الحروب التي وقعت عليه كانت اعتداء مباشراً على المدينة، أو مكة بعد فتحها، ووقعت في الجغرافيا التي كان يسيطر عليها ولم يذهب إلى أي عدو في جغرافيا خارج محيط المدينة، إلا يوم خيبر وخروجه إلى تبوك بلا حرب، فقد وقعت غزوة بدر في بدر قرب المدينة قريباً من البحر فيما قصدها المشركون من مسافة 350 كم، أما غزوتا أحد والخندق فقد وقعتا داخل المدينة تقريباً في حين أن المشركين قطعوا أكثر من 420 كم وهم يقصدون إشعال الحرب، وكذلك سائر الأيام التي خاض فيها رسول الله دفاعه عن الرسالة.

ويجب القول ان كلمة غزوة لم ترد أبداً في القرآن الكريم، وفي القرآن الكريم ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة، فقال ببدر ولم يقل بغزوة بدر، وقال: ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم، وقال يوم حنين ولم يقل غزوة حنين.

وفي متابعة دقيقة فإن الرسول الكريم خاض خمس محاولات شجاعة لإقامة الدولة، كانت الأولى في مكة وقد جابهها أعداء الرسول بضراوة، أما المحاولة الثانية فكانت يوم أرسل النبي أصحابه لاستطلاع الحبشة وتبين أنها أرض لجوء ولا تصلح أرض رسالة، وكانت الثالثة حين توجه بنفسه إلى الطائف ولم ينجح في إقناع زعمائهم بالإسلام وقاموا بمحاربته وظلمه، أما المحاولة الرابعة فكانت حين تفاوض مع أهل الحيرة من المناذرة بهدف الهجرة إليها وبدء الرسالة فيها، ولكن الأمر لم يتم، أما المحاولة الخامسة في يثرب فقد تكللت بالنجاح ووصل النبي الكريم إلى المدينة بعد أن توفرت أغلبية معقولة من أهل المدينة وهناك بدأ مشوار الرسالة في حفل سلمي جميل ضاحك، وأنشدت فتيات الأنصار طلع البدر علينا من ثنيات الوداع.

إن ما يجب بيانه هنا هو أن المؤرخين جميعاً الذين تطرقوا للسيرة النبوية مسلمين وغير مسلمين أجمعوا أن هذه المحاولات الخمس جرت دون إراقة قطرة دم واحدة، وأن رسول الله لم يستخدم أي نوع من السلاح ولا حتى سكين مطبخ، ويمكننا القول بثقة ويقين ان الإسلام في قيامه وانتصاره لم يقم بإراقة قطرة دم، بإجماع كل من كتب في السيرة النبوية.

بالطبع بعد ان قامت الدولة فإنها باتت مطالبة أن تؤسس جيشاً لحماية الناس، وفي هذا السياق وقعت المعارك التي تجد تفصيلها في الكتاب بين بيديك، ويمكن القول بيقين إن الدولة هي من أسست الجيش وليس الجيش هو من أسس ألدولة.

العلم: ونقصد به إظهار الجانب العلمي في هدي الرسول وبرنامجه التربوي والرسالي، فقد كان يخضع للعلم ويقيس الأمور بمعايير علمية وموضوعية دقيقة، وفي هذا السبيل فقد قام بنسخ عدد كبير من الأحاديث النبوية حين تغير الزمن وظهرت ظروف موضوعية جديدة، ومن ذلك قوله كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها، وكنت قد نهيتكم عند عقد السلم فمن أسلم فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم، وقوله: كنت نهيتكم عن ادخار لحوم

الأضاحي من أجل الدافة فكلوا وادخروا، وهو نهج حكيم أظهر فيه رسول الله احتراماً بالغاً للحقيقة العلمية، وقد عبر عنها بوضوح في الحديث المشهور: إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين ثم أجد غيرها خيراً منه إلا فعلت الذي هو خير وكفرت عن يميني.

وفي شرح هذه الحقائق فقد بسطنا القول تفصيلاً في كتابنا التالي النبي الديمقراطي، ورصدنا فيه مواقف الرسول العظيمة في الشورى ورجوعه إلى ما اختارته الشورى الحكيمة من تحقيق مصلحة الأمة والخضوع للعلم الموضوعي، مصداق قول الله تعالى: وأمرهم شورى بينهم.

إنني سعيد ان أقدم للقراء هذه الطبعة الأربعين وهو نجاح قلما يتوفر لكتاب عربي في هذه الأيام الصعبة، وأرجو أن لا ينساني من يقرأ هذا الكتاب من دعوة صالحة.

وما من كاتب إلا سيفنى ويبقي الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بخطك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

توضيح حول منهج الكتاب

لقد جهدت دائرة المعارف الإسلامية التي كتبها المستشرقون في الغرب وكذلك ما صدر لهم من أعمال متفرقة في رسم صورة النبي ﷺ كزعيم قبلي جاء امتداداً لمطامع قومه، وأنه أسس حكماً ودولة بالحرب والسيف، وفرض آراءه على الناس بقوة السلاح.

وهذه المزاعم –وإن تكن غير ذات أثر في الشرق الإسلامي–إلا أنها ليست كذلك في الغرب، فالقوم متأثرون بها بدرجات متفاوتة، وثمة رعايا فكريون لمدارسهم لهم جلد عربي ولسان عربي، ولكن ثقافتهم ومعارفهم مستأجرة ومستوردة، يمكنون زائغ القلب من آذانهم، ويحتكمون إليه في تفكيرهم واختيارهم.

وقد ساعد على تقديم الأدلة على هذا التصور شغف كتاب السيرة الأولين بأخبار الملاحم والمغازي حتى تظن وأنت تقرأ بعض ما كتبوه أن النبي ﷺ كان لا يغمد سيفه ولا ينزل عن حصانه، وثمة قصور كبير في إضاءة الجوانب الأخرى من حياته ﷺ في العمل والدعوة والحوار والبناء.

وكذلك فإن المظالم التي اقترفها حكّام ظلمة في البلاد الإسلامية بحق شعوبهم أفرزت تيارات غاضبة ناقمة، تلتمس جذور غضبها وثورتها من أصول تاريخية تتصرف في تأويلها على وفق ما تتصوره لها انتصافاً وقصاصاً، فتستبيح الأموال وتريق الدماء ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي هذا الركام من ردود الأفعال المتعاكسة أين يمكنك أن تلتمس إشراقة وجه النبي محمد ﷺ في رسالة الحب والخير والرحمة التي ظل بها العالمين؟ وأين يمكنك أن تقف على جوانب الحكمة والأعمار والبناء في رسالته العظيمة ﷺ ؟. .

وليس المطلوب هنا أن نتنكر لرسالة الجهاد التي قادها النبي ﷺ بنفسه سبع مرات دفاعاً عن الأمة الإسلامية وحرية عقيدتها، فالجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة لا يبطله عدل عادل ولا جور جائر، وليس من الصواب أن نتصور أن الأرض تخلو من الأشرار والفجار، وأنها مسرح للملائكة، وأنه يمكن كف الأطماع المستبدين بالكلمة والقلم!، بل المطلوب أن نلتزم جانب الاعتدال والإنصاف في تحرير سيرة النبي ﷺ ، فلا يطغى جانب على جانب، فلغة الحوار لا تكفي للنصر في بدر، كما أن مضاء السيف لا فائدة منه يوم المرحمة.

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى

وأحسب أن كتابي هذا قد أدى-بحمد الله-جزءاً من هذه الرسالة، وقدم صورة صحيحة لجهاد النبي ﷺ في الحرب والسلام، وفي تحقيق غاية رسالته من إقامة الخلق مقام العبادة الصادقة لله سبحانه.

وقد راعينا أن يكون هذا الكتاب منهجياً مدرسياً تعتمده إن شاء الله كل المعاهد الشرعية وحلقات العلم والذكر، وقد اجتهدنا في إعداد هذه السيرة أن نراعي عدداً من الملاحظات وهي:

أولاً: إن الإسلام انتشر في جزيرة العرب عن طريق الدعاة العاملين من أصحاب النبي ﷺ، وهذه حقيقة لا تزال غامضة في بطون كتب الرواية مع أنها التفسير

المنطقي الوحيد لتحول جزيرة العرب كلها إلى الإســـلام وبداية توحيد الأمة العربية سيما وأن المعارك التي خاضها النبي ﷺ جغرافياً لم تتجاوز حدود الحجاز.

ثانياً: إن سيرة النبي ﷺ سيرة حب ورحمة وليست سيرة فتح وملاحم فقط وهذا جانب لا يزال غير واضح لدى كتاب السير حيث يؤرخون سيرة النبي ﷺ وكأنه لا يغمد سيفه ولا ينزل عن حصانه، ولا يظهر في سير المؤرخين دور الكلمة والحوار الذي كان أكبر من دور الرمح والسيف، مع أن من تتبع غزوات النبي ﷺ يُكشف له أنها لم تكن في الحقيقة إلاَّ عملاً مشروعاً في رد العدوان عن الجماعة المسلمة أو إزالة لعلة خبيثة كانت تنخر في كيان الأمة.

ثالثاً: كان النبي ﷺ رجل دين ودولة وكان تألفه لقلوب خصــومه يوجه قناعاتهم الفكرية ويلاحظ طموحهم الدنيوي والاجتماعي ويستخدم كل الوسائل الشريفة في تألفهم وهدايتهم.

رابعاً: إن كثيراً من الأخبار التي أقحمت في سيرة النبي ﷺ لاحظَّ لها من الإسناد الصحيح وإنما جادت بها قرائح المحبين للنبي ﷺ، وإسنادها في أحسن الأحوال لا يرقى فوق رتبة الضعيف، وقد رسمت بمجموعها صورة غير واقعية للسيرة النبوية، وظهر النبي ﷺ وكأنه أسطورة واهمة، وكأنه ليس بشراً يوحى إليه وتتعلم منه الأجيال سيرة الكفاح والجهاد، وقد أعرضنا في كتابة السيرة عن إيراد كل معجزة لا تثبيت للمعصوم ﷺ بالإسناد الصحيح المتصل الذي محَّصه علماء الاصطلاح.

والجديد الذي قمنا بإعداده في هذه السيرة:

1-**السرد التاريخي للسيرة**: سردنا أحداث السيرة النبوية تاريخياً منسجماً بحسب ترتيب الحوادث حيث يشعر القارئ بأنه يتابع حياة النبي ﷺ يوماً فيوماً. وبذلك نكون قد تجاوزنا ما وقع فيه كتاب السير من قبل من اختلاط في سرد الأحداث وتداخل بين السنين، وحين يختلف الرواة في تأريخ أمر ما فإننا نختار الأقرب إلى المنطق والأكثر انسجاماً مع الحوادث شريطة أن نلتزم قول واحد من رجال الرواية.

2-**الحكم والإشارات**:

أفردنا أهم مقاصد الحدث من فصول السيرة على شكل-لوحة معترضة-ضمن متن الكتاب بحروف مميزة خاصة فلو قرأها قارئ من غير قراءة النص التاريخي لوقف على حكمة الهدي النبوي ومقاصده العالية وغاية النبيلة.

3-**الجداول الشارحة**: أفردنا فصلاً خاصاً في نهاية السيرة للجداول والخرائط الشارحة التي تتناول جوانب هامة في دعوة النبي ﷺ وهي:

1- يوميات السيرة النبوية: وهو جدول على شكل روزنامة شهرية منسقة فيها تأريخ كامل لكل حوادث السيرة النبوية.

2- جداول أعلام الدعاة: أوردنا فيه اسم 19 من أعلام الدعاة من الصحابة وعرفنا بكل واحد منهم وماذا فتح الله على يديه من هداية وإصلاح.

3- جداول أعيان العرب: وفيه أوردنا ذكر نحو 18 من وجهاء العرب وسادتهم وترجمنا لهم وأوردنا خبر تحولهم إلى الإسلام وأسماء الدعاة الذين قاموا بدعواتهم وهدايتهم.

4- جداول أعلام العلماء: وفيه أوردنا ذكر نحو 17من علماء الصحابة وترجمنا لهم وبيَّنا مناط اجتهادهم ونشاطهم العلمي.

5- جداول أعلام النساء: وفيه أوردنا ذكر نحو 33 من نساء الصحابة وترجمنا لهن وبيَّنا مساهمتهن في بناء الدعوة الإسلامية.

6- جداول زوجات النبي ﷺ: أوردنا فيه أسماء زوجات النبي ﷺ وحكمة اقترانه بكل واحدة منهن ودور كل منهن في العلم والدعوة.

7- جداول أشبال الصحابة: اخترنا فيه نحو عشرين فتى من فتيان الصحابة وأشرنا إلى بطولاتهم وأعمالهم وكشفنا عن الدور الذي فسح لهم في بناء صرح الدعوة الإسلامية.

8- جدول غزوات النبي ﷺ: وفيه ذكرنا غزوات النبي ﷺ ونتائجها على مستوى الدعوة والإصلاح واعتمدنا فيه على كتاب المفكر الإسلامي اللواء الركن محمود شيت خطاب.

9- شجرات الأنساب: أوردنا ست شجرات للأنساب.

10- خريطة الشرق الأوسط عشية ظهور الإسلام.

11- خريطة وقائع السيرة النبوية.

12- خريطة منازل القبائل في الجزيرة العربية.

* * * *

قبائل العرب

أَنسابُ العَرَبْ

ترجع أصول العرب كما أوردها علماء الأنساب إلى خمسة أصول ويسميها النسابون: شعوب-وتلتقي جميعاً عند سام بن نوح عليه السلام.

وهذه الشعوب الخمسة هي:

بنو عاد، وبنو ثمود، وبنو مدين، وبنو قحطان، وبنو عدنان.

وقد أرفقنا لك شجرة أنسابهم كما أوردها علماء الأنساب.

فأما عاد فقد كانت منازلهم بالأحقاف بين اليمن وعمان وقد أرسل الله فيهم أخاهم هوداً عليه السلام وذكر خبره في القرآن الكريم:

{كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الْأَوَّلِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}[1].

---

[1] سورة الشعراء: 120-140.

وأما ثمود فقد كانت منازلهم بالحجر ووادي القرى بين الحجاز والشام وقد أرسل الله فيهم أخاهم صالحاً عليه السلام وذكر خبره في القرآن الكريم:

{كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ءَامِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ مَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}[2].

وأما مدين فقد كانت منازلهم تجاور أرض معان بالأردن من أطراف الشام مما يلي الحجاز وقد أرسل الله فيهم أخاهم شعيباً عليه السلام وذكر خبره في القرآن الكريم:

{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ}[3].

وكما أخبر القرآن الكريم فقد بادت هذه الشعوب الثلاثة ولم يبق لها عقب ويسمى هؤلاء: العرب العارية أو العرب البائدة.

أما العرب الباقية فهم جميعاً من قحطان وعدنان.

فأما عدنان فإنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

---

[2] سورة الشعراء: 141-159.

(3) سورة العنكبوت: 35-37.

وأما قحطان فإنه يلتقي مع إبراهيم عليه السلام في جده السادس: عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام.

وما قيل من أن قحطان من ولد إسماعيل فهو قول شاذ مخالف لجمهور علماء النسب.

ومنازل العدنانيين عموماً في وسط الجزيرة العربية وشمالها.

ومنازل القحطانيين عموماً في جنوب الجزيرة العربية.

والأنساب إلى قحطان وعدنان محققة ثابتة كانت العرب تعرفها وتحفظها، ونسب النبي ﷺ إلى عدنان متصل صحيح لا يشك فيه أحد.

وأما الأنساب من بعد قحطان وعدنان فهي ظنون مختلف فيها، وقد ورد عن النبي ﷺ النهي عن الجزم بها[1].

---

[1] اعتمدنا في تحقيق سائر الأنساب الواردة في كتابنا على كتاب: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للسويدي البغدادي، وكتاب نهاية الأرب في أنساب العرب للقلقشندي وكتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير.

بِلادُ العَرَبِ قَبْلَ الإسلامِ

في مطلع القرن السَّابع الميلادي حيث بعث النبي محمد ﷺ كانت تسيطر على العالم القديم قوتان عظيمتان وهما: إمبراطورية الروم في أوربا وعاصمتها القسطنطينية، وإمبراطورية الفرس في آسيا وعاصمتها المدائن، وكانت بلاد الشام تقع في ساحة الصراع بين هاتين القوتين العظيمتين. وكان الرومان على ساحل البحر المتوسط وجزء من سورية ومصر، ولهم مركز نفوذ كبير في دمشق والإسكندرية، وكانوا يدينون ظاهراً بالمسيحية غير أنهم لم يكونوا يلتزمون أحكامها في شيء.

وكان الذي يحكمُ الإمبراطورية الرومانية ملك بيزنطي ولقبه القيصر، وله ولاياتٌ متناثرة أشهرها في الحبشة واليمن.

أما الفرس فقد كانوا يسيطرون على بلاد أواسط آسيا وإيران والعراق وجزء من سورية، وكانوا يدينون بالمجوسية؛ وفيها عبادة النار وتقديسها.

وكان لقب الإمبراطور الفارسي (كِسرى).

أما العرب فلم يكن لهم آنئذٍ شيء يذكر، فقد كانوا قبائل متفرقة ضائعة في الصحراء ليس لهم صلة بأسباب المدينة والحضارة، وقد انقطع عنهم الأنبياء منذ عدة قرون.

وكان للعرب في الأصل خصال محمودة كريمة، فاشتهروا بخلق الكرم والمروءة والصدق والوفاء واشتهروا بفصاحتهم وأدبهم وبلاغتهم وخطابتهم.

وكل ذلك من بقايا دين إبراهيم الذي ورثوه عن آبائهم وأجدادهم من غير تحقق وتفصيل، حيث ضاع منه الكثير، ووصل ما وصل منه مشوهاً محرفاً مغيراً.

ولكنهم في مقابل ذلك انحرفت بهم جاهليتهم إلى أخطاء عظيمة، فظهر فيهم الجهل والثأر والعصبية وحمية الجاهلية، وظهرت فيهم عبادة الأوثان من أحجار وخشب، وظهر فيهم قطع الرحم ووأد البنات خشية الفقر أو العار.

وبحث العرب عن قوى تساندهم، فحالف بعضهم الروم (كالغساسنة في جنوب الشام) وحالف بعضهم الفرس (كالمناذرة في جنوب العراق)، ولكن هذه التحالفات لم تكن في صالح العرب، بل استخدمهم الروم والفرس كواجهةٍ في خلافاتهم، فكلما اختلف الروم والفرس رموا بهذه القبائل في ساحات القتال فكانوا ألعوبة في يد الروم والفرس.

ولم يظهر للعرب إحساس قومي إلاَّ في موقعة ذي قار حيث غضب كِسرى على النعمان بن المنذر فقتله، وأرسل جيشاً من ألفي مقاتل ليستأصل القوم، فهبت قبائل بكر وحلفائها لنجدة بني شيبان وقائدهم هانئ بن مسعود الشيباني في رد عدوان الفرس عليهم ومن والاهم من قبائل العرب كبني تغلب وبني إياد، فحقق البكريون والشيبانيون نصراً مؤزراً قال عنه رسول الله ﷺ: "هذا يوم انتصف العرب فيه من العجم".

غير أنهم لم يستفيدوا من هذا الدرس الرائع فعادوا بعد المعركة إلى تفرقهم وتناحرهم.

وكانت معركة ذي قار على الأصح في السنين الأولى من مبعث النبي ﷺ وقيل كانت بعد هجرته.

البَيْتُ الحَرَامُ

{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}[1].

يبدأ تاريخ البيت الحرام عند النبي الكريم إبراهيم خليل الله "أبو الأنبياء" وخبر ذلك أن الله عز وجل أمر إبراهيم أن يحمل زوجته هاجر وطفله الصغير الوحيد إسماعيل إلى واد غير ذي زرع عند البيت الحرام في مكة المكرمة، ويتركهما هناك.

ومضى إبراهيم عليه السلام بزوجته وولده فتركهما في صحراء قاحلة لا ماء فيها ولا نماء، ولا شجر ولا بشر.

ورفع يديه إلى السماء فقال: { رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ}[1].

---

[1] سورة آل عمران: 96-97.

[1] سورة إبراهيم: 34-41.

المؤمن الحق لا يتردد في طاعة الله وغاية آماله وأمانيه. . رضى مولاه.

ولما فعل إبراهيم ما أمره ربه وبقيت هاجر وولدها وحيدين عند جبل الصفا في مكة، أدرك إسماعيل العطش، فجعل يبكي بين ذراعي أمه، وهي تضمه وتحنو عليه فلما اشتد بكاؤه قامت هاجر تضرب في الصحراء المقفرة تبحث عن ماء تدفع به ظمأ وحيدها، فبصرت بالسراب قرب جبل المروة فحسبته ماء، فركضت إليه، فلما بلغته وجدته سراباً خادعاً، ثم التفتت إلى ولدها إسماعيل عند الصفا فبصرت بالسراب فحسبته ماء فركضت إليه، فإذا به سراب كالأول، فعادت إلى المروة، وكانت كلما وقفت على الصفا، رأت السراب على المروة، وكلما وقفت على المروة رأت السراب على الصفا، حتى ركضت بينهما سبعة أشواط. وعلا بكاء إسماعيل ونحيبه، وجعل يضرب الأرض برجليه الصغيرتين، حتى أدركته رحمة الله، ففجر الله الماء من بين قدميه، وركضت هاجر، تحوط الماء وتقول: "زم زم" وسمي النبع من بعد ذلك "نبع زمزم". وقد أمر الله الحجاج جميعاً من بعد ذلك أن يطوفوا بين الصفا والمروة ليتذكروا صبر هاجر وسعيها في البحث عن الماء لولدها الوحيد.

وذلك قول الله عزَّ وجلّ:

{إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ}[1].

ولما نبع ماء زمزم في مكة صارت القوافل التجارية تتخذه محطة راحة وسقاية، ثم جاءت قبيلة (جُرْهُم) فأقامت عنده، وتزوج إسماعيل منهم وأنجب أولاداً فكان منهم "عدنان" جد العرب العدنانيين.

كانت جائزة إبراهيم أن جعل الله في مكة: قبلة للعالمين.

ثم أمر الله عز وجل إبراهيم أن يبني (الكعبة) البيت الحرام بمكة، وكان قد تهدم بالطوفان بعد أن بناه أولاً شيث ابن آدم عليه السلام كما يروى.

وحضر إبراهيم إلى مكة وقام ببناء الكعبة البيت الحرام يساعده في ذلك ولده إسماعيل.

{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}(2).

ودعا إبراهيم ربه بثلاث دعوات:

-أن يجعل الكعبة في مكة مركزاً لعبادة الله.

-أن يرزق ولده إسماعيل الذرية الطيبة الصالحة.

-أن يبعث في أولاد إسماعيل في مكة نبياً يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم.

وقد استجاب الله دعاء إبراهيم و {جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ}(1).

ورزق ولده إسماعيل الذرية الطيبة الصالحة، وكان منهم العرب {خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}(2)، وبعث من أولاده خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد ﷺ.

وهكذا فقد صارت مكة مدينة دينية هامة تطبق فيها شريعة إبراهيم وتأتي العرب من كل مكان في موسم الحج كما في شريعة إبراهيم {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ

لَهُمْ}[3]، ثم تقام أسواق الأدب والتجارة في عكاظ والمجنة وذي المجاز فيتبادلون فيها السلع ويلقون القصائد العصماء ويحققون أغراضاً اجتماعية متنوعة.

ولكن انقطاع الرسل عن مكة منذ إسماعيل أدى إلى وجود انحرافات خطيرة عن شريعة إبراهيم عليه السلام، فقد بدأ الناس يعبدون الأوثان يتقربون بها زلفى إلى الله ويعبثون بالبلد الحرام ويقطعون الرحم ويفعلون الفاحشة ويغيرون الحج والأشهر الحرم كما يشاؤون.

واشتدت تلك الانحرافات وتفاقمت، وراح الحكماء في الأرض يتطلعون إلى السماء ويترقبون نبيَّ آخر الزمان، دعوة إبراهيم {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[4].

مَكَّةَ المُكَرَّمَة

مكة المكرمة هي عاصمة العرب الدينية منذ أن كان العرب.

وكانت أول قبيلة تنزل في مكة هي "جرهم" وهي من عرب اليمن القحطانيين، حيث تزوج منهم إسماعيل عليه السلام، ونشر فيهم ملة أبيه إبراهيم، فكانوا عليها زمناً يُرزقون ويشكرون، حتى خلف من بعدهم خلف بدلوا الشكر بالكفر فأهلكهم الله عز وجل.

ونزلت كذلك قبيلة "خزاعة" وهم مثل جرهم من عرب اليمن القحطانيين، من سبأ وقد اتبعوا شريعة إبراهيم في عبادة الله وتوحيده غير أنهم أشركوا به الأوثان فيما بعد. وكان أول من أدخل الأوثان إلى مكة "عمرو بن لحي" جد خزاعة وكان أولاده هم الذين يقومون بأمر الكعبة فأدخلوا الأصنام فيها ونصبوها حول البيت الحرام.

ثم إن خزاعة فرطوا في شأن البيت الحرام، فانتقلت سيادة مكة عنهم إلى "قصي بن كلاب" وهو الجد الخامس للنبي ﷺ. وهو أول زعيم يتولى أمر مكة من بني إسماعيل.

وهكذا فقد انتقلت سيادة مكة من القحطانيين إلى العدنانيين.

وقد كان قصي بن كلاب رجلاً حكيماً، وقد اجتمعت له كل مفاخر مكة، فكان في يده مفتاح الكعبة، ولواء الحرب، وكان يعقد ندوة قريش في داره، فلا يرد له أمر، ولا يقضى دونه أمر، وكان يقوم بأمر الحجيج من سقاية ورفادة–ضيافة–ولم

تجتمع مفاخر مكة الستة–الحجابة والسدانة والسقاية والرفادة واللواء والندوة–لأحد إلاَّ لقصي بن كلاب.

وبعد موت قصـــي بن كلاب توارث أبناؤه من بعده مفاخره الســـتة فكانت السـقاية والرفادة من نصـيب ولده عبد مناف ثم انتقلت إلى ولده هاشـم والد عبد المطلب جد النبي ﷺ. وكان هاشـــم رجلاً كريماً جواداً، أحبه قومه حتى صـــاروا لا يقطعون دونه أمراً.

ولما مات هاشـــم انتقلت زعامة مكة إلى ولده عبد المطلب، وكثر الحجيج من العرب حتى ما يجد عبد المطلب ما يسـبقهم، حيث كانت زمزم قد خربت وردمت وضاع أثرها خلال فترة زعامة "جرهم".

فأخبر الله عبد المطلب بمكان "زمزم" في رؤيا حق. فاحتفرها ففاضـــت ماء زمزم من جديد، وعادت سـقيا للحجيج جميعاً إلأى يومنا هذا، ولعلها تبقى كذلك إلى آخر الدهر إن شاء الله.

وولد لعبد المطلب أثنا عشـــر ولداً هم: الحارث والغيدق وقثم والزبير وضـــرار والمقوم وحجل وأبو طال وأبو لهب وعبد الله وهو والد النبي ﷺ وحمزة والعباس.

ومات قبل الإسلام ثمانية منهم، ولم يدرك الإسلام منهم إلاَّ أبو طالب وأبو لهب وحمزة والعباس.

وبعد موت عبد المطلب خلفه في الزعامة ولده: "أبو طالب" عم النبي ﷺ وظلَّ سيد مكة في اثنتين من مفاخرها–السقاية والرفادة–إلى أن بعث النبي ﷺ.

من الولادة إلى المبعث

في يوم الاثنين 16/ آيار/ 570 ميلادية الموافق 12/ ربيع الأول/52 قبل الهجرة ولد رسول الله ﷺ وصحَّ عنه أنه قال: "أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى، ورأت أمي حين ولدتني أنها خرج منها نور أضاءت له قصور الشام"[1].

وهناك كثير من القصور يحكيها الناس عن ولادة رسول الله ﷺ لا أصل لها، الحق أنه ﷺ ولد كما يولد الناس ومات كما يموت الناس[2].

---

[1] رواه الإمام أحمد.

[2] اعتاد الناس أن يقيموا في شهر ربيع الاحتفالات بمولد المصطفى ﷺ، وهم في ذلك بين متمسك بها ومتعصب لها، ويبين منكر لها ومعترض عليها...والحق أن هذه الاحتفالات لم تكن على عهد النبي ﷺ ولا في العهود القريبة منه من أهل السلف. . وإنما هي أمر مستحدث. . وعادة جرى الناس عليها فلا نرفعها إلى مرتبة الفرض والعبادة وإلا لاحتاجت إلى دليل. . فالأصل في العادات الإباحة ما لم يرد فيها نص بالتحريم، والأصل في العبادات البطلان مالم يرد نص بالبيان.

ولما كان الاحتفال بالمولد عادة فلا حاجة معه إلى دليل، وحكمه حكم ما يجري فيه. . فإن كان للصلاة على رسول الله وتذكّرِ شيءٍ من سيرته وأخلاقه وأحاديثه وهديه أو لمديح له ﷺ من غير غلّوٍ ولا مبالغة. . أو كان اجتماعاً للمسلمين ولقاءً لهم بعلمائهم. . فلا إنكار عليه. . وإن كانت تسمية الاجتماع مولداً عنصر تفريق بين للمسلمين، فلنقل إنه مجلس علم للصلاة على رسول الله أو غير ذلك، أما إذا خالطته المنكرات والمحرمات من رفع لرسول الله ﷺ إلى: ما ليس له من مقام الألوهية فذلك ليس بدعة فحسب، وإنما هو حرام يجب على المسلمين أن ينكروه. .

وكانت العرب تسمي ذلك العام الذي ولد فيه رسول الله عام الفيل. وسبب ذلك أن أبرهة الحبشي حاكم الحبشة ومستعمر اليمن قد أغاظه ما كان العرب يفعلونه من تعظيم البيت الحرام (الكعبة)، فأراد أن يصرف الناس عنه، فبنى في اليمن بيتاً سماه (القلَّيس). وأمر الناس أن يحجوا إليه بدلاً من الكعبة، ولكن العرب سخروا منه ومن بيته وألقوا فيه الأقذار والأوساخ، فثارت ثائرة أبرهة وأقسم أن يهدم البيت الحرام ويسوق العرب إلأى (القلَّيس) قسراً وجبراً.

وسار إلى مكة بجيش عظيم يتقدمه فيل كبير يرد هدم البيت.

وعندما وصل أبرهة إلى مكة المكرمة، عدا رجاله عن متاع الناس فمزقوا ونهبوا وأفسدوا، ثم وقفوا عند مدخل مكة يتهيؤون لدخول البيت الحرام. وكان سيد مكة في ذلك الوقت (عبد المطلب بن هاشم) جد النبي ﷺ، وكان يعظم البيت الحرام ويقدسه.

فمضى عبد المطلب إلى أبرهة الحبشي، فلما علم أبرهة بذلك أمر رجاله بإظهار عزة الملك، وفرش مطارف الحرير والذهب ليوقع الرعب في نفس عبد المطلب، ثم أذن بالدخول، فلما دخل عليه قال له: يا أبرهة: إن رجالك قد عدوا غنمي وإبلي فأخذوا طائفة منها فأتيتك أطلب ردها إلي.

فتعجّب أبرهة وقال: أتيتني من أجل إبلك ولم تأتني من أجل بلدك وكعبتك التي جئت لأهدمها!! فقال له عبد المطلب: أما الإبل فأنا ربها وصاحبها، وأما البيت فإن له رباً يحميه.

فقال أبرهة لأصحابه: ردوا إليه إبله!!. . ثم صرخ في وجه عبدالمطلب قائلاً: خذ إبلك!!. . وقل لربك: إن أبرهة ماضٍ ليهدم بيتك، فليدفع عنه إن استطاع!. .

ثم إن عبد المطلب أخذ إبله ومضى بأهل مكة، ووقفوا قبالة بيت الحرام ورفعوا أيديهم قائلين:

لا هُمَّ إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك

لا يغلبن صلـيبهم ومحالهم غدواً محالك

ثم صعد بقومه الجبل ينظرون من بعيد.

وما كان الله ليغفل عما يعمل الظالمون وكان سميعاً بدعاء عبد المطلب بصيراً بالجيش، فأرسل من السماء طيراً أبابيل (جماعات جماعات)، وفي منقار كل منها حجر صغير ترميهم بحجارة من سجيل (مشتعلة)، وما هي إلا لحظات قصيرة حتى جعلهم كعصف مأكول: (كالطعام الذي قامت الأكلة عنه بعد أن لم يبق فيه ما يؤكل).

إذا صح منك القصد وانقطعت عنك وسائل الأرض، أعانك الله بوسائل السماء.

وفي خبرهم نزل قول الله عز وجل:

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ}[1].

في ذلك العام ولد النبي ﷺ من أبوين شـــريفين: عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب متصلاً بنسبه إلى إبراهيم عليه السلام (أبو الأنبياء).

طفولته ورضاعه:

مات عبد الله والد النبي ﷺ عليه الصـــلاة والســـلام جنين في بطن أمه، وبذلك يكون رسول الله ﷺ وقد ولد يتيماً، وفي هذا حكمة بالغة لله عز وجل مراعاة لخاطر الأيتام، وحتى ينشأ حبيبه محمد ﷺ وليس لأحد من البشر عليه منة أو فضـل، وحتى لا يدعي أحد أن تلك الرسـالة كانت من إعداد أبيه أو من أحلام أمه.

وكانت عادة العرب أن تســترضــع أولادها في البادية، ليتعلموا فصــاحة الأعراب وخشونة الحياة في البادية، ويستنشقوا هواءها وعبيرها صافياً بلا كدر.

ودفعت آمنة بنت وهب طفلها محمداً ﷺ إلى حليمة السـعدية لترضـعه في منـازل قومهـا قرب الطـائف، وذلـك عـاى عـادة العرب، في تربيـة أولادهم في البداية لتقوي عزائمهم، وتشــتد هممهم فكان قدومه ﷺ على بني ســعد بركة

[1] سورة الفيل.

كانت حليمة ترعاه فيها أحسن رعاية، وتكرمه أحسن الإكرام كما لو كان واحداً من أولادها.

حادثة شق الصدر:

وخلال فترة رضاعته عند حليمة وقعت حادثة شق الصدر: وإلأيك القصة كما رواها ابن عباس قال:

"كانت حليمة تحدث أنه ﷺ لما ترعرع، كان يخرج فينظر إلى الصبيان يلعبون فيجتنبهم. فقال لي يوماً، يا أُمَّاه مَا ليْ لا أرى إخوتي بالنهار؟ يعني إخوته بالرضاع وهم أخوه عبد الله، وأختاه أنيسة والشيماء أولاد الحارث قلت: إنهم يرعون غنماً لنا فيروحون من ليل إلى ليل، قال: إبعثيني معهم، فكان عليه السلام يخرج مسروراً ويعود مسروراً. فلما كان يوم من ذلك خرجوا، فلما انتصف النهار أتاني أخوه يعدو فزعاً وجبينه يرشح باكياً ينادي: يا أبت ويا أماه إلحقا أخي محمداً القرشي فما تلحقانه إلا ميتاً، قلت: وما قضيته؟قال: بينا نحن قيام إذ أتاه رجل فاختطفه من وسطنا، وعلا به ذروة الجبل ونحن ننظر إلأيه حتى شق صدره إلى عانته ولا أدري ما فعل به.

فانطلقت أنا وأبوه نسعى سعياً، فإذا نحن به قاعداً على ذروة الجبل شاخصاً ببصره إلأى السماء يبتسم ويضحك، فأكببت عليه وقبلته بين عينيه قلت له: فدتك نفسي مالذي دهاك؟قال: خيراً".

في مرحلة إعداد الدعاة لا بد من تزكية النفس وتطهير الروح.

والروايات التي ذكرت شق صدر النبي ﷺ كثيرة متضافرة وجميعها تدل على عناية الله سبحانه وتعالى بالنبي ﷺ منذ طفولته وإعداده إعداداً ربانياً خاصاً لتحمل أعباء الدعوة الإسلامية العظيمة.

وفاة أمه وجده:

ولما بلغ عليه السلام ست سنين، أخذته أمه معها في زيارة أخواله بني عدي بن النجار في يثرب (المدينة المنورة) ومعها أم أيمن. . فأقامت عندهم شهراً تعلم خلالها السباحة، وفي طريق عودتها أدركها الموت بالأبواء، فدفنت فيه على عين ولدها وحبيبها محمد ﷺ.

وهكذا أصبح رسول الله يتيم الأب والأم وهو ابن ست سنين. وقامت أم أيمن بحضانته والعناية به بعد أمه، وكان رسول الله ﷺ يذكر لها ذلك ويقول: أمي بعد أمي"[1]. وأمضى رسول الله ﷺ سنتين عند جده عبد المطلب بن هاشم يرعاه ويحبه ويوصي به.

ولما بلغ الثامنة مات جده عبد المطلب أيضاً، فصار رسول الله خالياً من عطف الأب وحنان الأم ورعاية الجد.

---

[1] أورده ابن الأثير في أسد الغابة.

في رعاية عمّه:

عند ذلك ضـمّه عمه أبو طالب إلى أولاده الإثني عشـر، فكان أحسـنهم خلقاً وألطفهم معشراً.

ولما كان أبو طالب رجلاً عائلاً حاول النبي ﷺ أن لا يبقى عالة عليه، فعمل برعاية الغنم-كسـائر إخوانه من الأنبياء-ثم عمل بالتجارة على عادة قريش، فخرج معه عمه أبي طالب إلى الشام، وعرف منازل التجار وأسواقهم.

وفي بصرى الشام لقبه بحيراً، وكان رجلاً له علم بالكتاب، ومعرفة بما بشر به النبيون الأولون من إشـارات نبي آخر الزمان، فلما رأى النبي ﷺ وعرف نسـبه ووصـفه قال لعمه أبي طالب: "ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعروفوا منه ما عرفت ليبغُنَّه شـراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم".

حلف الفضول:

وقد شارك رسول الله ﷺ خلال هذه المرحلة من حياته في الأمور الجليلة مع قومه، فشـهد حلف الفضـول الذي جرى بعد حرب الفجار، وفيه تواثق حكماء قريش وأشرافها على نصرة المظلوم والغريب، ورد الحقوق إلى أصحابها، وقد عقد هذا الحلف في بيت عبد الله بن جدعان بمكة. وكان رسـول الله ﷺ فيما بعد يذكر هذا الحلف ويثني عليه خيراً.

زواجه من خديجة:

كانت خديجة بنت خويلد بن أســـد أرملة مات زوجها أبو هالة التميمي ولها منه أولاد كانت ترعاهم وتربيهم، وكانت خديجة امرأة شـــريفة ذات مال وجاه وكان أشـــراف العرب قد تقدموا لخطوبتها بعد موت أبي هالة فكانت تعرض عنهم رغم مكانتهم وغناهم.

وقد سمعت خديجة بأمانة النبي ﷺ وحســـن أخلاقه، فأرســـلته في تجارتها ووعدته بأفضل مما تعطي غيره في التجارة، وأرسلت معه غلامها ميسرة، فرأى ميســـرة فيه مثال التاجر الصـــادق الأمين، ورأى من عناية الله به أمراً عجباً، فكان كلما اشـــتد الحرُّ يظلمه الغمام، وذلك من لطف الله به ورعايته، وأنعم الله عليه فأكثر عليه الربح والخير، وعاد بتجارة وافرة رابحة، أنزلته في نفس خديجة منزلاً كريماً.

وأخبر ميســـرة خديجة بأخلاق محمد وشمائله، ورغبت خديجة بمحمد، وأعجبها ما عرفته من طهارة يده وصفاء نفسه، وسرها ما رأت من بركة الله في تجارتها ومالها على يديه، فســـعت إليه تخطبه وذلك خلاف عادة العرب في الخطوبة. فأرسلت إليه نفيسة بنت منية فقالت: يا محمد ما يمنعك أن تتزوج؟ فقال محمد: ما بيدي ما أتزوج به. .

فقالت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة؟ ألا تجيب؟قال: فمن هي؟قالت: خديجة. قال: ومن لي بذلك؟قالت: علي. قال: فأنا أفعل.

ومضت نفيسة فأخبرت خديجة الخبر، وتمت إرادة الله، وعقد أنجح وأكرم زواج في الدنيا، بين رسول الله وخديجة بنت خويلد.

وكان الذي تولى زواج النبي ﷺ عمه أبو طالب. أما خديجة فقد تولى زواجها عمها عمرو بن أسد.

وخديجة أكرم نساء النبي ﷺ وأعظمهن وفي الحديث: "خبر نساء العالمين: مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد"ومنها سائر أولاد النبي ﷺ وقد أكرمها النبي ﷺ فلم يتزوج عليها، حتى توفيت، وكان من بعدها يحسن إلى صديقاتها ويكرمهن ويصلهن بالمعروف.

وأكثر يوماً من الثناء عليها، حتى غارت عائشة فقالت: يا رسول الله. ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين، هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيراً منها.

فغضب النبي ﷺ وقال: "ما أبدلني الله خيراً منها. وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وآستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء".

بناء الكعبة:

عرف النبي ﷺ بأمانته وصدقه في قريش حتى كانوا يسمونه: الصادق الأمين وعرفت قريش ذكاءه وفطنته في سعيه إلى الإصلاح والمعروف.

وأشهر ما روي عن نجاحه في فك الخصومات خبر بناء الكعبة.

وذلك أن طوفاناً أصـــاب البيت الحرام فهدمه، وذلك قبل المبعث بنحو خمس سنين، فعاد رؤساء قريش وحكماؤها يبنون البيت من جديد، فلما أرادوا وضع الحجر الأسود في موضعه من البيت تنازعوا، كل يريد أن يحظى بشرف حمل الحجر إلى مكانه، واشـــتد جدالهم حتى أوشـــكوا أن تشـــتبك أيديهم وســـيوفهم، ثم أتفقوا على أن يحكموا في أمرهم أولد داخل عليهم من باب المســـجد. فكان محمد ﷺ هو أول الداخلين، فرضـــي القوم وصـــاحوا: هذا الأمين رضينا. ثم إن النبي ﷺ لما عرف خبرهم نشر ثوبه ودعا الزعماء الأربعة المختلفين، فأمســـك كل واحد منهم بطرف الثوب، ثم رفع رســـول الله الحجر الشريف، بين يديه الطاهرتين فجعله في الثوب، ثم سار القوم به إلى ركن البيت الحرام، حيث حمله رســـول الله ﷺ مرة أخرى فجعله في موضـــعه من البيت الحرام. وبذلك دفع رسول الله ﷺ عنهم حرباً كانت وشيكة الوقوع.

إرهاصات النبوة

الإرهاصـــات هي كل ما ظهر من بشـــارات ومعجزات قبل بعثة النبي ﷺ تبشـر بظهوره وتذكر صـفاته وعلاماته. وكانت أولى هذه الإرهاصـات تبشـير عيسى المسيح عليه السلام به قبل بعثته بستة قرون.

{وَإِذْ قَالَ عِيسَـى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْـرَائِيلَ إِنِّي رَسُـولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَـدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [1].

ومنها ما كانت تبشر به يهود من قرب زمان نبي يملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً.

ومنها بشـــارات ورقة بن نوفل بعدما سمع عنه من الناس بأنه ســـيكون نبيَّ هذه الأمة، إضـــافة إلى أخبار كثيرة وردت عن الكهان تفيد بقرب مبعث هذا النبي.

بدء الوحي:

على مدى الأربعين ســنة التي عاشــها رســول الله ﷺ قبل البعثة، أعده الله إعداداً خاصـــاً. فصـــان أخلاقه أن تختلط بأخلاق الجاهلين من الضـــلالة والإنحراف والفجور.

---

[1] سورة الصف: 6.

وصان عقله فلم يشرب خمراً قط.

وصان عقيدته فلم يسجد لصنم ولا وثن.

وصان قلبه فأدخله في مدرسة "حراء".

"وحراء" غار قرب مكة في جبل أبي قبيس، كان رسول الله ﷺ يخلو فيه بربه فيطيل عبادته وتأمله فيه، ذاكراً متفكراً عابداً لله وحده.

وعلى مدى سنوات كان محمد ﷺ يتعبد في هذا الغار، وخصوصاً في شهر رمضان، فقد اعتاد أن يمضيه في أروع ساعات العبادة والصفاء.

فكان "حراء" مدرسة أعده الله فيها ليكون داعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

وتروي السيدة عائشة رضي الله عنها: "أن أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبّب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه (وهو التعبد) الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتردد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء"[1].

[1]أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي وكتاب التفسير وأخرجه كذلك مسلم والترمذي وأحمد.

السَّنَةُ الأُوْلى لِلْبعثَةِ "12ق. هـ"

أهم أحداث السنة الأولى:

1-بدء الرؤيا الصادقة (من ربيع الأول إلى رمضان).

2-نزول الوحي الشريف (شهر رمضان).

3-إيمان ورقة بن نوفل والتبشير بالنبي ﷺ.

4-إسلام خديجة بنت خويلد.

الرؤيا الصادقة

أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

وقد بدأت الرؤيا الصادقة منذ شهر ربيع الأول عام 40بعد الفيل (13ق. هـ)، فاستمرت بذلك نحو ستة أشهر.

وكان النبي ﷺ يقول: "الرؤيا الصـــادقة جزء من ســـتة وأربعين جزءاً من النبوة"[2].

(1)تجدر الإشارة إلى أن النبي ﷺ مكث في مكة قبل الهجرة 13عاماً، اثنا عشر عاماً كاملاً، وجزءاً من عام الهجرة نفسه، حيث هاجر في شهر ربيع الأول، فهي سنة مشتركة بين مكة والمدينة،

وذلك أن نبوة النبي ﷺ استمرت ثلاثة وعشرين عاماً، ستة أشهر منها رؤيا صادقة فتكون نسبتها 46/1 من عمر الرسالة.

نزول الوحي

وفي رمضان من العام نفسه خرج رسول الله ﷺ كعادته إلى غار حراء؛وقد صفت نفسه وشفت روحانيته وهيأه الله عز وجل لما اختاره له من النبوة الخاتمة.

وفي يوم 27/رمضان عام /12/ق. هـ. الموافق 19/آب /610ميلادية كان أول نزول للوحي على النبي ﷺ في غار حراء، وهي ليلة القدر.

فجاءه الملك فقال له: اقرأ فقال: ما أنا بقارئ قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)}

قل إن شئت إنه أمضى في مكة ثلاثة عشر عاماً وفي المدينة عشرة، أو قل إنه أمضى في مكة اثني عشر عاماً وفي المدينة أحد عشر عاماً، فالمجموع في الحالتين: ثلاثة وعشرون عاماً.

خبر ورقة بن نوفل

فرجع بها رسـول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشـيت على نفسـي، فقالت له خديجة: "كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصـل الرحم وتحمل الكل وتكسـب المعدوم وتقري الصـنيف وتعين على نوائب الحق". فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل، وكان ابن عم خديجة وكان شيخاً كبيراً قد عمي، وكان من الحنفاء[2] ثم تنصّر فصار من علماء الكتاب، فأخبره النبي ﷺ بما رأى في غار حراء فقال له ورقة: "هذا والله الناموس الذي نزل على موسـى، يا ليتني أكون فيها جذعاً– شـاباً قوياً–ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك" فقال رسـول الله ﷺ : "أو مخرجي هم؟". قال: "نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً" ثم لم يلبث ورقة أن توفي، وفتر الوحي.

وبذلك فإن خديجة بنت خويلد، كانت أول قلب اطمأن بالإيمان، وصارت تستعد لتحمل مع زوجها العظيم رسالة الهدى والنور.

وعاد رسـول الله ﷺ إلى داره حامداً شـاكراً، وبدأ يهيئ قلبه وروحه لحمل أعظم مهمة إنسانية قام بها البشر.

وخلال ذلك لم ينقطع رسـول الله عن غار حراء، وكان يطيل في عبادته ومناجاته. منتظراً أمر الله عز وجل له بتبليغ الرسـالة ودعوة الناس، وراح يقلب

بصـــره في أهل مكة، يتخير منهم رجال الهدى الذين ســـيحملون هديه في العالمين.

السَّنَةُ الثَّانِيَةُ لِلبعثَةِ "11ق. هـ"

أهم حوادث السنة الثانية:

1-نزول سورة المدثر وبدء الدعوة.

2-دخول الرعيل الأول في الإسلام.

3-تسامح قريش بخبر الإسلام.

مضت الأشهر الثلاثة الأخيرة من العام الماضي: شوال وذو القعدة وذو الحجة، ورسول الله ﷺ يتلقى إرهاصات الوحي ويشرق في نفسه نور النبوة، ومن حوله زوجته خديجة تؤمن به وتشد أزره وتقوي عزيمته.

ومع دخول السنة الثانية للبعثة في شهر المحرم، بدأ رسول الله ﷺ يستعد لتبليغ الرسالة كما يأمره الله عز وجل ويرشده الروح الأمين.

وكان من أول ما نزل عليه:

{يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا (4) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (5) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (6) إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا}[1].

وهذه السورة هي برنامج الاستعداد الروحي والقلبي لمواجهة مصاعب الدعوة ومتاعبها، وبه تعلم أن أي عمل من أعمال الدعوة إلى الله لا يبتدئ من تصفية

---

[1] سورة المزمل.

القلب وجلال العبادة ونقاء الروح فإنه عمل متبور مجزوم، ما أســـرع ما ينهزم ويتحطم أمام تيارات الجاهلية.

أول عمل في إعداد الدعاة هو بناء الصلة الراسخة مع الله عز وجل.

ولما اكتمل إعداد الله عز وجل لهذا النبي الكريم وأشــرقت نفســه بنور النبوة وظهر اســتعداده لحمل أعظم رســالة في التاريخ، أنزل الله ســبحانه عليه: { يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) }[1].

ومن فوره قام النبي ﷺ بالدعوة إلى الله عز وجل كما أمره.

أوّل الناس إسلاماً:

اختلف الأقوال في أول الناس إسلاماً، ولكن العلماء متفقون على أنّ:

-أوّل من أسلم من النساء خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وهي زوجة النبي ﷺ.

-أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وكان أخص صديق لهﷺ.

---

[1] سورة المدثر.

-أول من أســـلم من الأطفال علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه وكان في كفالته ورعايته ﷺ.

-أول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة رضي الله عنه، وكان مولى وخادماً للنبي ﷺ.

وبذلك تعلم أن أســـرة النبي ﷺ وأهل بيته بادروا إلى الإســـلام من أيامه الأولى.

إسلام خديجة:

أما خديجة فقد أسلمت منذ اللحظة الأولى لعرض الإسلام عليها. فكانت أول من دخل في الإسلام-بعد رسول الله ﷺ-وساندته في كل مراحل دعوته، تخفف عنه الآلام وتواسيه في المصائب، وتنفق مالها في سبيل دعوته.

فلا عجب أن يبقى ذكرها عند رســـول الله ﷺ حتى آخر حياته وأن يحفظ مودتها بعد موتها، فكان يكثر الثناء عليها، ويذكر بالإحسان والمودة صديقاتها وأترابها.

كان للمرأة دور بارز في الدعوة الإسلامية منذ أيامها الأولى.

إسلام أبي بكر:

أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة كان من أنسب رجال قريش وأشرفهم، وكان محبباً إلى قلوبهم، مألوفاً في مجالسهم.

وكان الصاحب الأول لرسول الله ﷺ قبل البعثة، وكان يهتم كثيراً بشأن النبي ﷺ وخلوته في غار حراء وانقطاعه للعبادة، وكان يرى أنه سيكون لمحمد شأن، حتى إذا بلغه أمر الرؤيا الصادقة وكلام ورقة بن نوفل ذهب إلى النبي ﷺ فقال: بلغني أنك تدعو لتوحيد الله وتقول: إنك رسول الله؟فقال: "نعم يا أبا بكر، إن ربي عز وج أرسلني بشيراً ونذيراً وجعلني دعوة إبراهيم، وأرسلني إلى الناس جميعاً". فقال أبو بكر: والله ما جربت عليك كذباً قط، مُدَّ يدك لأبايعك، وبايعه أبو بكر، فكان أشد الناس ملازمة للنبي ﷺ وأعظمهم تصديقاً واتباعاً.

وكان النبي ﷺ يقول: "ما عرضت الإسلام على أحد إلاَّ كانت له نظرة غير أبي بكر، فإنه لم يتلعثم"[1].

وقال: "دعوا لي صويحبي، فإني قد بعثت إلى الناس كافة فلم يبق أحد إلاَّ قال: كذبت، إلاَّ أبو بكر الصدِّيق فإنه قال لي: صدقت"[1].

أول الهدى. . إن تتجرد من حظوظ نفسك وتتبع الحق لأنه حق، لا لأنه يوافق هوى نفسك.

(1) أخرجه الديلمي عن ابن سعود.

(1) أخرجه الخطيب.

إسلام علي بن أبي طالب:

وهو ابن عم رسـول الله ﷺ، وكان النبي قد تكفل برعايته تخفيفاً من أعباء عمه أبي طالب، ولما رأى علي رسول الله يصلي مع خديجة، جعل يسأل النبي ﷺ عن ذلك فعرض عليه الإسـلام فقال: أمهلني حتى أسـأل أبي، فكره أن ينتشـر الخبر فقال له: "إذا لم تسـلم فاكتم هذا". وبقي علي في ليلته يفكر ويقارن بين عبادة الله وعبادة الأوثان، فشرح الله صدره للإسلام واعتنقه مكرماً وجهه أن يسجد لصنم أو وثن، وكان عمره إذ ذاك لا يتجاوز ست سنوات على أظهر الأقوال.

الاعتبار في دعوة الحق لنضج العقل لا لعمر الجسد.

إسلام زيد بن حارثة:

وهو مولى رسول الله ﷺ.

وكان يسـمى زيد بن محمد، وسـبب ذلك أن زيداً كان من قبيلة معن الكلبية. وقد قام بنو القين في الجاهلية بالإغارة على بني معن، وأخذوا زيداً في جملة ما أخذوا وهو طفل صغير، وباعوه في سوق عكاظ فاشتراه حكيم بن حزام، وأعطاه لعمته خديجة بنت خويلد زوجة النبي ﷺ فكان يخدمهما.

ثم إن أبا زيد دُلَّ على موضع ولده، فجاء إلى النبي ﷺ في فدائه بما شاء من المال. فقال له النبي ﷺ : "لا آخذ شيئاً ولكن إن رضي زيد فخذوه" فرجع أبو

زيد إلى ولده فرحاً مسروراً فقال: أي بني!. . قد رضي محمد أن تسير معنا. فقم إلى أهلك وعشيرتك.

غير أن زيداً أعرض عن ذلك وقال: "والله لا أترك محمداً"، وذلك لما رأى من عظيم خلقه وطيب معشره.

فأكرمه النبي ﷺ وسماه: زيد بن محمد، وظل يسمى بذلك حتى نزلت سورة الأحزاب في المدينة بتحريم التبني.

ولما بُعث النبي ﷺ ، سارع زيد إلى الإيمان به وذلك لما سبق من حبه له وتعظيمه إياه واعتقاده بصدقه وأمانته.

جيل الإسلام الأول فيه حنان المرأة، وعقل الرجل، وبراءة الطفل، وتجرد الموالي.

ولسنا نعرف تاريخ دخول هؤلاء السابقين في الإسلام على وجه الدقة، ولكن من المؤكد أنهم أسلموا فور أن عرض عليهم النبي ﷺ أمر دعوته.

دعوة أبي بكر:

كان أبو بكر ألمع الدعاة في الإسلام، فقد قام فور إسلامه ينشر الإسلام بين أصدقائه وأبناء عشيرته، وهذا هو شأن كل مسلم وصل إلى نجاته بعقيدة الحق، وانفكّ من أسر القلق والشك والاضطراب في وحول الجاهلية إلى أنس الهدى والنور.

وكانت مهمة الصـــديق رضـــي الله عنه أن يدعو الناس إلى النبي ﷺ، حيث يقوم النبي عليه الصلاة والسلام بشرح الإسلام لهم ودعوتهم إليه.

فأسلم عثمان بن عفان، ثم الزبير بن العوام وعمره 14سنة، وعبد الرحمن بن عوف وعمره 22ســنة، وطلحة بن عبيد الله وعمره 15ســنة، وســعد بن أبي وقاص وعمره 17سنة.

وكذلك فقد أسلم أبو عبيدة بن الجراح وعمره 27سنة، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم وعمره 19سنة، وعثمان بن مظعون، وعبيدة بن الحارث، وقدامة بن مظعون وسعيد بن زيد وعبد الله بن مظعون، وفاطمة بنت الخطاب. ثم بدأ الناس يتسامعون برسالة الإسلام، وسارع الضعفاء والفقراء إلى الدخول فيها.

رعيل الإسلام الأول:
شباب طامحون. . وفتية آمنوا بربهم فزادهم هدى.

وقد كان أبو بكر وخديجة يشـترون العبيد الضـعفاء المسـلمين ويعتقونهم في سبيل الله عز وجل، حتى أنفق أبو بكر قسماً كبيراً من ماله في إعتاق العبيد.

السَّنَةُ الثَّالِثَةُ لِلبَعثَةِ "10ق. هـ"

أهم الحوادث السنة الثالثة:

1-دخول دار الأرقم. أول مدرسة في الإسلام.

2-اجتماع المسلمين على صلاة الغداة والعشي.

3-أول دم في الإسلام.

أخذ المسلمون يتزايدون يوماً بعد يوم، وكانت الحكمة تقتضي منهم أن يخفوا إسلامهم، فكانوا يخرجون إلى شعاب الجبال يتعبدون الله عز وجل ويؤدون الصلاة: ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين قبل غروبها على ملة إبراهيم عليه السلام مستقبلين بيت المقدس.

واجتهد النبي ﷺ أن يخفي أمر دعوته عن المشركين من قومه إلاَّ من طمع بهدايته منهم، ولكن اجتماع الأصحاب مع النبي ﷺ حول الكعبة لم يكن يمر دون غمز ولمز من المشركين.

وبينما كان سعدُ بن أبي وقاص مع بعض أصحابه في شعب من شعاب مكة يصلون، إذ ظهر عليهم بعض المشركين، وجعلوا يستهزؤون بهم وبصلاتهم ودينهم، فصبر الأصحاب، فلم يتركهم المشركون حتى قاتلوهم، فدافع المسلمون عن أنفسهم، وضرب سعد أحد المشركين بعظم بعير فشجّه، فكان هذا أول دم أسيل في الإسلام.

دار الأرقم بن أبي الأرقم

ولم يرض رسول الله ﷺ أن تتكرر هذه الحادثة، فالمسلمون ليس لهم من القوة ما يواجهون به قريشاً، والحكمة تقتضي أن يبقوا في هدوئهم، فاختار النبي ﷺ دار أحد أشـــراف مكة: الأرقم بن أبي الأرقم، لتكون مكاناً تلتقي فيه هذه المجموعة المسلمة بمعلمها ومربيها ﷺ، ولتكون داراً للدعوة إلى الله عز وجل.

أول الدعوة إعداد الدعاة
دار الأرقم أول مدرسة لتخريج الدعاة.

وكان اجتماع النبي ﷺ مع أصـــحابه في هذه الدار يقتصـــر على العبادة والذكر وتلاوة القرآن والتوجيه والتربية، إضـافةً إلى اسـتقبال ضـيوف الإسـلام وعرض الإسلام عليهم[1].

بهذا الإعداد الإيماني والروحي المركّز، تهيأ هؤلاء الرجال لمتابعة السـير خلف رســـول الله ﷺ في طريق الإســـلام على صـــعوبته ووعورته، ودفعهم لتحمّل المصـــائب والمحن المتلاحقة في ســـبيل حمل رســـالة الحق والهدى، فكانت هذه الحلقة نواة الإســـلام، وعلى أكتافها قامت الدعوة الإســـلامية. وكانت الدعوة خلال هذا العام سرية خفية، وكان شـياطين قريش يشـعرون بالدعوة الجديدة، ويتســـامعون أخبار المؤمنين فيتغامزون ويســـخرون من غير أن يباشـــروا بالأذى والسوء.

---

[1] وكان من فضل الله على الأرقم أن بقيت داره محفوظة إلى يومنا هذا، وصارت اليوم مكتبة من أكبر المكتبات الإسلامية في الحجاز.

السَّنَةُ الرَّابِعَةُ لِلبَعْثَةِ "9ق. هـ"

أهم حوادث السنة الرابعة:

1-إعلان الدعوة في قريش.

2-بدء الإيذاء والاضطهاد.

3-إعلان أبي طالب عن حمايته للنبي ﷺ.

4-محاولات قريش احتواء رسالة النبي ﷺ عن طريق المفاوضة.

5-وفاة ياسر وسمية أول شهيدين في الإسلام على يد أبي جهل بن هشام.

6-وفاة ثويبة الصابرة.

الإسرار بالدعوة

استمرت الدعوة السرية ثلاث سنوات، وكانت هي مرحلة التركيز في دعوة الرسول ﷺ ، حيث بنى رجالاً يمكن الاعتماد عليهم في حمل رسالة الإسلام.

وهم وإن كان عددهم قليلاً-قرابة الأربعين-إلاّ أنهم كانوا يحملون مبادئ الحق التي غيّرت فيما بعد وجه التاريخ. وجاء الأمر الإلهي بتبليغ هذه الرسالة

والإعلان بها، فنزل قوله تعالى: { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ }[1]. ليبين للمسلم أنَّه مسؤول عن أهله وقرابته في إيصال صوت الإسلام إليهم، ثم نزل قوله تعالى: { فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ }[2].

فصنع النبي ﷺ طعاماً ودعا أقاربه، وأراد أن يتكّلم فبدأ عمه أبو لهب بالكلام وصدّه صدّاً قبيحاً، فآثر رسول الله السكوت في هذا المجلس، فالجو العنيف لم يعد مناسباً لعرض الإسلام.

من أصول الدعوة والبلاغ المبين
اختيار المكان المناسب والزمان المناسب والكلمة الحكيمة.

فدعاهم مرة ثانية ووقف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "إنّ الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة، والله لتموتنّ كما تنامون ولتبعثنّ كما تستيقظون، ولتحاسبنّ بما تعملون، وإنها للجنة أبداً أو النار أبداً"،

فقال عمه أبو طالب: "ما أحب إلينا معاونتك وأقبلنا لنصيحتك فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأنفعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب".

---

(1) الشعراء: 214.

(2) الحجر: 94.

فقام أبو لهب وقال: "امنعوه من دينه قبل أن يمنعه غيركم، فإن أسلمتموه حينئذٍ ذللتم، وإن حميتموه قتلتم". لكن جهد رسول الله ﷺ لم يذهب سدى، فقد آمن من بعض أقاربه، كعمته صفية، وفاطمة بنت أسد زوجة عمه أبي طالب.

وعاد رسول الله ﷺ يبحث عن وسيلة أخرى يبلغ فيها قومه رسالة الله، فصعد جبل الصفا صباح يومٍ، ونادى في الناس "واصباحاه. . واصباحاه. . فلما اجتمعوا حوله، قال لهم: "أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدّقي؟، قالوا ما جربنا عليك كذباً قط. قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"فقال له عمه أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟، فأنزل الله سبحانه وتعالى فيه: { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5)}

المؤمن الحق. . لا يستطيع أن يكتم أساه على إعراض الناس عن الحق.

الاضطهاد

ولم تضع صيحة الصفا، بل ظلَّ صداها يتردد في أسماع الناس: "إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"، فازداد اهتمام الناس بالإسلام، فقيرهم وغنيّهم، عبيدهم وأسيادهم، ضعفاؤهم وأقوياؤهم. .

المستضعفون والعبيد والفقراء وجدوا فيه خلاصاً لهم في دنياهم وأخرتهم، وتصحيحاً لعلاقات المجتمع الجاهلي وانحرافاته، وتصحيحاً لعلاقاتهم بربهم وخالقهم.

أما الأسياد والأغنياء، فقد وجدوا في الإسلام تهديداً لمصالحهم وأهوائهم، وجدوا في عقيدة الحق حرباً على أصنامهم وعاداتهم الجاهلية التي توارثوها عن آبائهم وأجدادهم، وجدوا في الإسلام عدالة تهدّد سيادتهم، وتحرّراً للفكر يهدد خرافاتهم، وعلماً يهدد جاهليتهم، وتزكية تهدد أهواءهم ورغباتهم.

وصبّت قريش عذابها على المسلمين، لكن لم يصل الأذى في بداية الأمر إلى رسول الله ﷺ مراعاةً لعمه أبي طالب الذي تكفّل بحمايته ورعايته.

فلجأت قريش إلى المفاوضات، فأرسلت وفداً من أشرافها إلى أبي طالب فطلبوا منه أن يكفّ محمداً عن دعوته وبدعته أو أن يسلمه إليهم، فجاء أبو طالب إلى رسول الله ﷺ وقال له: "يا ابن أخي، إنّ قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا، فأبق عليَّ وعلى نفسك ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق فردّ عليه رسول الله ﷺ بكلمات تفيض باليقين:

"يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه".

عندئذٍ قال أبو طالب: "اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيءٍ أبداً".

وتابع النبي ﷺ دعوته، وتابعت قريش مكائدها، فأرسلت وفداً إلى أبي طالب، فيهم المطعم بن عدي فعرضوا عليه أن يأخذ أذكى شباب قريش وأجملهم-عمارة بن الوليد بن المغيرة-يتخذه ولداً ويعطيهم محمداً. فقال لهم: بئس ما قلتم، تعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟!ورفض تسليمه لهم.

ثم عرضوا على رسول الله ﷺ المال والنساء والملك فلم يكن لكل ذلك محل في قلبه العامر باليقين.

وعرضوا عليه أن يعبد آلهتهم عاماً ويعبدوا إلهه عاماً، كما لو كانت رسالته ودعوته لوناً من ألوان المعاوضات. فأنزل الله عزَّ وجلّ قوله الفصل:

{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}

لا مساواة في عقيدة التوحيد
إرضاء لهوى الجاهليين.

وبذلك علمت قريش أنه لم يبقَ مجال للتفاوض مع المسلمين وأنّ محمداً ماضٍ فيما أمره ربه من الحق لا يصده عنه شيء، وتهيّأ شياطينها لهذه المرحلة وبدأ الابتلاء، وأوذي المسلمون في الله، وعُذّبوا ليتركوا دينهم فما تركوه.

وكان ممن أوذي في الله "عمار بن ياسر" وأمه "سمية بنت خياط" وأبوه "ياسر"، فكانوا يخرجونهم في حر النهار ويعذّبونهم على الرمال المحرقة، وهم صابرون متمسكون بدينهم، وكان رسول الله ﷺ يمر بهم فيقول: "صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة".

ومات ياسر في العذاب، وماتت سمية بطعنة وحشية من أبي جهل، فكانا أول شهيدين في الإسلام، وفاضت أرواحهما وهما على أتم حال من اليقين.

وانقلب أبو جهل على ولدهما عمار يصب عليه ألوان العذاب، وعمار صابر موقن، حتى همَّ الطاغية أن يلحقه بوالديه الشهيدين فنطق لسان عمار بكلمات من الكفر، يكف بها أذى أبي جهل ويحفظ بها رمقه من الموت، حتى صرف عنه أبو جهل العذاب.

ثم إن عمار مضى إلى رسول الله ﷺ نادماً باكياً يحزنه موت والديه، ويرعبه ما نطق به من كلمة الكفر، وأخبر النبي ﷺ خبره في وجل وخوف، فتلقاه النبي ﷺ في حنان فسأله: "كيف تجد قلبك؟" فقال عمّار: "أجده مطمئناً بالإيمان" فقال: "يا عمارُ، إنْ عادوا فعُد" ونزل فيه قوله تعالى:

{إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ}

الإيمان الحق عمل من أعمال القلب ومكائد الطاغوت قد تلوي اللسان كما تريد ولكنها لن تبلغ قرار القلب.

وممن أوذي في الله "بلالُ بنُ رباح الحبشـــي"، وكان عبداً لأمية بن خلف، فكان يلقيه على الرمال في الرمضاء، ويأمر بصخرة فتوضع على ظهره ويقول: لا تزال كذلك حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعّزى، وبلال يقول: "أحد. . أحد" لا يتزحزح عن إيمانه ويقينه، ولا زال موقناً صـــابراً يعذب في سبيل الله حتى أتعب سيده أمية، فاستعان عليه بالسفهاء من أعوانه، وبلال صـــابر محتســـب حتى جاءه أبو بكر فأعطى أمية عبداً أقوى منه وأخذ بلالاً وأعتقه.

وممّن أوذي في الله "الزبير بن العوام" أسلم وعمره أربع عشرة سنة، وكان عمه يعلّقه في حصير ويدخن عليه ليرجع إلى الكفر، والزبير يقول: "لا أكفر أبداً".

وممن أوذي في الله (خبَّابٌ بن الأرتّ)-وهو أول من أظهر إسـلامه من العبيد- وكانت مولاته: أم أنمار تضع الحديد المحمَّى على ظهره حتى يبرده شحم ظهره وبلغ الأذى ببدنه مبلغاً عظيماً، حتى صـار في ظهره مثل الأخاديد من شـدة العذاب، فجاء إلى رسول الله ﷺ وهو متوسـد، ببردة في ظل الكعبة وقد لقي المسلمون من المشركين شـدة، فقال خبَّاب: "يا رسـول الله ألا تدعو الله لنا؟"، فقعد النبي ﷺ وهو محمّر الوجه فقال: "وماذا لقيتم يا خباب؟، لقد كان من قبلكم يُمَشَّـــط بأمشـاط الحديد ما دون عظامه من لحم وعصـب ما يصـرفه ذلك عن دينه،

ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشقه اثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلاَّ الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون".

لا يقوم الحق إلا على أساس من التضحيات الصادقة.

وممن أوذي في الله "أبو فُكيهة" وكان عبداً لصفوان ابن أمية، فكان أبو فكيهة يربط بحبل في رجله ويجر على الرمال في الرمضاء وهو يقول: "الله ربي" وعذّب حتى أغمي عليه، فاشتراه أبو بكر وأعتقه.

وممن أوذي في الله "مصعب بن عمير" وكان أنعم شباب مكة وأجملهم وأفضلهم ثياباً، يغدو في حلة ويروح في حلة، ويعيش حياة الرغد والنعيم.

فلما دخل في الإسلام، وأشرقت نفسه وقلبه، عدا عليه أهله يؤذونه ويعذبونه، وهو يزداد إيماناً ويقيناً، حتى أوثقوه بالحبال فبقي في أغلاله حتى هرب من أهله فكان في أول من هاجر إلى الحبشة.

ومات جماعة من المسلمين تحت التعذيب والأذى وقتلت ثويبة، وعميت زنّيرة تحت العذاب.

وفيهم أنزل الله عز وجل:

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}[1].

يا سيد الرسل طب نفساً بطائفةٍ باعوا إلى الله أرواحاً وأبداناً

أعطوا ضريبتهم للدين من دمهم والناس تزعم نصر الدين مجاناً

أعطوا ضريبتهم صبراً على محنٍ صاغت بلالاً وعمّاراً وسلماناً

إنّ أي تجديد أو إصلاح لا يمكن أن ينهض إلا على أساس من التضحيات الصادقة، فكيف برسالة جاءت لإخراج العالم من الظلمات إلى النور؟

ولم يسلم قائد الركب من الأذى وهو الذي يقول: "أشدّ الناس بلاءً الأنبياء"[2] وكان يقول : "أوذيت في الله وما أوذي بني مثل ما أوذيت"[3].

وكان ممن آذى رسول الله ﷺ عمه أبو لهب، فرغم قرابته له ورغم تزوج ولديه عتبة وعتيبة من بنتي رسول الله–رقية وأم كلثوم–إلا أن النسب والقرابة لم تغن عنه شيئاً، بل كان من أشد الناس عداوة له، تدفعه إلى ذلك زوجته أم جميل–حمَّالَةَ الحطب–، فكانا يلقيان القذر أمام دار النبي ﷺ وكان يكثر من

(1) سورة البقرة: 214.

(2) أخرجه البخاري والترمذي وأحمد.

(3) أخرجه الترمذي وأحمد.

شتمه وسبه وإيذائه. ولم يكن رسول الله يزيد على أن يقول: "يا بني عبد مناف أي جوارٍ هذا؟...".

وكان من أشد الإيذاء الذي قام به أبو لهب أنه قال لولده عتبة: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق رقية بنت محمد، وكان قد تزوجها قبل البعثة وكذلك قال لولده عتيبة قد تزوج بنت النبي ﷺ أم كلثوم، فلم يزل بولديه حتى طلقا بنتي النبي ﷺ من غير ما ذنب.

خصوم الإسلام. . في بطشهم بدعاة الحق لا يميزون بين وسيلة دنيئة ووسيلة شريفة.

واحتضن النبي ﷺ بنتيه الطاهرتين في حنان وحب، ومضى في رسالة الدعوة والبلاغ.

أما رقية فقد تزوجها عثمان رضي الله عنه فكانت عنده إلى أن ماتت سنة ثلاث من الهجرة، ولما ماتت تزوج عثمان بأختها أم كلثوم أيضاً فكانت عنده إلى أن ماتت أيضاً فقال النبي ﷺ : "لو كانت عندي ثالثة لزوجتها عثمان".

السَّنَةُ الخَامِسَةُ لِلبَعْثَةِ "8 ق. هـ"

أهم حوادث السنة الخامسة:

1-اشتداد أذى قريش.

2-الهجرة الأولى إلى الحبشة وفيها عثمان بن عفان ورقية بنت النبي ﷺ.

3-محاولات قريش لرد المهاجرين والقبض عليهم.

4-بدء الدعوة في الحبشة.

الهجرة الأولى إلى الحبشة

في هذه السنة اشتد الإيذاء على أصحاب النبي ﷺ ، وصار طواغيت قريش يتتبعون كل من بلغهم أنه دخل في الإسلام بالتعذيب والتقبيل والتشريد، وسفكت دماء طاهرة، وقضت أنفس زكية، وسكبت دموع سخية، وظهر أن مصالح قريش قد اجتمعت على حرب الإسلام بشتى الوسائل، وبدأ التفكير جدياً في البحث عن أرض يهاجر إليها المؤمنون، ويتمكنون فيها من تطبيق شريعة الله وامتثال أوامره. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه وقد رأى ما ينزل بهم من البلاء: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق. حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه.

المؤمن بصير حكيم
لا يخاف من الموت ولكنه لا يسعى إليه.

فخرج بعض المسلمين مهاجرين بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام.

وكانوا خمسة عشر مهاجراً بين رجال ونساء، وكانت في شهر رجب، وتتابعت هجرة المسلمين حتى زاد عددهم على الثمانين. واستقبلهم النجاشي وأكرمهم وأعطاهم الأمان، وأصبحوا أحراراً في دينهم وعبادتهم.

ومن أشهر من هاجر في هذه الهجرة "عثمان بن عفان" وزوجته "رقية" و"مصعب بن عمير" و"أم سلمة وزوجها "أبو سلمة بن عبد الأسد".

لكن قريشاً لم تكتف بمحاربتهم في بلادهم، فأرسلت عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة إلى النجاشي، وحملا معهما هدايا كثيرة قدماها لبطارقة النجاشي وحاشيته، ودخلا على النجاشي بالهدايا النفسية وقالا:

"أيها الملك إنه قد لجأ إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلم بهم".

وأيَّد البطارقة هذا الكلام، فغضب النجاشي وقال: "لا والله لا أسلم قوماً جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم وأسألهم عما

يقول هذان، فإن كانا صادقين أسلمتهم إليهما، وإن كانوا على غير ما يقول هذان حميتهم وأحسنت جوارهم".

مكائد الطاغوت متنوعة ومستمرة ورجل الحق مستهدف. . والعاقبة للمتقين.

ولما دعي الصحابة لمقابلة النجاشي، اضطربت قلوبهم وخصوصاً لما علموا بمقدم عمرو بن العاص وصاحبه من مكة، وكان عمرو بن العاص صديقاً للنجاشي وداهية من دهاة العرب، فأمضوا ليلتهم في الضراعة والالتجاء إلى الله عز وجل، وهذا شأن كل مؤمن ماض في سبيل الله آخذٍ في بلاغ رسالته.

ولما صحّ منهم التوكل على الله اختاروا جعفر بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ خطيباً باسمهم، ودخلوا على النجاشي ولسان حالهم: "على الله توكلنا، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين" ولما دخلوا عليه وبطارقته من حوله، وكذلك عمرو وصاحبه فسألهم عن مقدمهم، تقدّم جعفر بن أبي طالب فقال:

"أيها الملك: كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، نأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا لتوحيد الله وأن لا نشرك به شيئاً ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام، وأمرنا بصدق

الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم، وأمرنا بالصلاة والصيام والزكاة فصدّقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذّبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك".

الداعية الحق...حكيم في مخاطبة الناس يسارع في انتقاء ما يناسب أحوالهم من الهدى.

فقال النجاشي: "هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟"

قال جعفر: "نعم".

قال: "فاقرأ علي".

فقرأ جعفر بعض آيات من سورة مريم، فبكى النجاشي حتى اخضلّت لحيته بالدموع وقال:

"إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرجان من مشكاة واحدة". ثم قال لرسل قريش: "انطلقا فوالله لا أسلمهم أبداً ولا يكادون؟.

ولكن نار الحقد لم تنطفئ بهذه النهاية العادلة، فقام عمرو من جديد يثير صـــدر النجاشـــي وقال له: "إنّ هؤلاء يقولون في مريم قولاً عظيماً، فالتفت النجاشي إلى القوم وقال: "ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟".

وعاد جعفر بن أبي طالب بلسـان الواثق الموقن فقال: "ما نقول فيه إلا كما قال نبينا محمدﷺ. هو عبد الله ورســـوله وروحه وكلمته التي ألقاها إلى مريم العذراء البتول. ".

ثم قرأ عليه:

{إِنَّ مَثَلَ عِيسَـــى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَـهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَـالَ لَـهُ كُنْ فَيَكُونُ}(1).

ولما سمع النجاشي هذا ضـرب بيده على الأرض، فأخذ منها عوداً ثم قال: والله ما عدا عيسـى بن مريم مما قلت هذا العود. ثم التفت إلى المسـلمين فقال لهم: "اذهبوا فأنتم الآمنون، من ســـبّكم غرم، ما أحب أن لي جبلاً من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم".

وهكذا انقلب دهاة قريش مخذولين لم ينالوا خيراً.

---

(1) سورة آل عمران: 59 .

(1)المحدثون مختلفون في شأن النجاشي-أصحمة أهو النجاشي الذي حاور جعفر أم خليفته من بعده؟وأياً ما كان، فإن الحوار المخلص الإسلامي المسيحي هو الذي أدى بالنتيجة إلى إسلام النجاشي.

(2)أخرجه البخاري في كتاب الجنائز.

ومضـــى المؤمنون في طول الحبشـــة وعرضـــها يذكرون الله ويشـــكرونه ولا يعترضـــهم أحد، وعاد بعضـــهم فيما بعد إلى مكة، كما مات منهم جماعة في الحبشـــة، أما جعفر وبعض أصـــحابه فقد عاشـــوا في الحبشـــة نحو 14عاماً، ورجعوا يوم فتح خيبر إلى المدينة المنورة.

المؤمن الحق داعية بطبعه.
لا يكف عن دعوة الناس إلى الهدى والنور.

ولا شك أن لسان الدعوة لم يفتر طول هذه الإقامة الطيبة. ولا شك أيضاً أن الحوار اســتمر بين النجاشــي والصــحابة في غير موضــع. ودليل ذلك أن النجاشـي-أصـحمة-قد دخل في الإسـلام من بعد، ويوم مات نعاه النبي ﷺ إلى الصحابة وقال:

"اسـتغفروا له، ثم خرج بأصـحابه إلى المصـلى فقام فصـلى بهم كما يصـلي على الجنائز"[2].

السَّنَةُ السَّادِسَةُ لِلبَعثَةِ "7ق. هـ"

أهم حوادث السنة السادسة:

1-إسلام حمزة بن عبد المطلب.

2-إسلام عمر بن الخطاب.

3-الجهر بالدعوة والاستعلان بالقرآن.

4-عودة بعض المهاجرين من الحبشة.

هاجر إلى الحبشة ثمانون من أصحاب رسول الله ﷺ (عدا الأطفال والنساء)، ولم يبق في مكة من المؤمنين إلا قوي له منعة في أهله وعشيرته، أو من ردّته قريش ومنعته من السفر إلى الحبشة، وكانوا لا يزالون يجتمعون مع النبي ﷺ كل ليلة خفية في دار الأرقم بن أبي الأرقم؛أول مدرسة في الإسلام.

ورغم ما كانت قريش تمارسه من إيذاء لهؤلاء المسلمين، فلم يزدهم ذلك إلا حماسة وإيماناً والتزاماً، ويدفع بغيرهم من طلاب الحق والباحثين عن النور إلى الدخول في هذا الدين الجديد.

إسلام حمزة:

وفي هذه السنة أسلم حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ، وكان حمزة بن عبد المطلب شاباً قوياً عزيزاً، مرهوب الجانب في قريش، وبسبب ما كان يعيش

به من عنفوان الشباب ومغامراته، لم يكن يهتم كثيراً بدعوة ابن أخيه، حتى عاد ذات يوم من صيده ومعه قوسه يريد الطواف بالكعبة، إذ جاءت جارية وقالت له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد من أبي الحكم؟آذاه وسبه وانصرف عنه ولم يكلمه محمد!!.

فغضب حمزة لابن أخيه، وقام حتى وصل إلى أبي الحكم-أبو جهل-فرفع قوسه وضربه بها فشجه شجة عظيمة، قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول، فرُدَّ ذلك عليّ إن استطعت!!.

فقام رجال لينصروا أبا جهل فقال: دعوه. . والله قد سببت ابن أخيه سبّاً قبيحاً.

ولم تكن كلمة حمزة هذه إلا فورة غضب دفعته إليها حمية العصبية لابن أخيه، ولكنه عاد من ليلته إلى داره وبات يقلب النظر في أمر دعوة ابن أخيه.

الداعية الناجح
يختار اللحظات المؤثرة لإلقاء الموعظة.

وإليك خبر إسلام حمزة كما رواه ابن إسحاق:

"أقبل حمزة على نفسه، وقال: ما صنعت؟اللهم إن كان خيراً فاجعل تصديقه في قلبي، وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجاً. فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان، حتى أصبح، فغدا على رسول الله ﷺ ، فقال: يا ابن أخي، إني وقعت في أمر ولا أعرف المخرج منه، وإقامة مثلي على ما لا

أدري ما هو!!أرشد أم غيّ: شديد. فحدثني حديثاً. فقد اشتهيت يا ابن أخي أن تحدثني. فأقبل رسول الله ﷺ ، فذكره وعظه، وخوّفه وبشّره، فألقى الله تعالى في قلبه الإيمان بما قال رسول الله ﷺ ، فقال: أشهد أنك الصادق، فأظهر يا ابن أخي دينك، فوالله ما أحب أنّ لي ما أظلته السماء وأني على ديني الأول، فكان حمزة ممن أعز الله به الدين".

وشرح الله صدر حمزة للإسلام، وكان يوم إسلامه يوماً انخلعت له قلوب المشركين، وفرحت له قلوب المؤمنين.

كان إسلام حمزة مكافأة منحها الله للنبي ﷺ لما صبر على أذى قريش.

إسلام عمر:

وفي هذه السنة أيضاً أسلم عمر بن الخطاب، وكان من أشد الناس عداوة وحرباً على الإسلام والمسلمين، وقد بلغ من إيذائه للمسلمين وبطشه بهم أنه قتل جاريته ثويبة حين رفضت أن ترجع إلى الكفر بعد إذ دخلت الإسلام، وبلغ من أذاه وغلظته على المسلمين أنهم كانوا يقولون: لا يسلم ابن الخطاب حتى يسلم حمار الخطاب.

لا تقطع الأمل من هدية أحد. . مهما اشتد ضلاله فربما كان فيه خير عظيم.

وكان عمر رجل جد وعزيمة، ولم يكن للهزل والعبث سلطان على قلبه الحديدي، وقد كان في الكفر جباراً عنيداً قبل أن يكون في الإيمان رشيداً شديداً.

ولما أسلم حمزة وبدأ المسلمون يجهرون بما هداهم الله إليه، قام عمر بن الخطاب يحسم أمر الإسلام بما لم يكن قد خطر على بال أحد من قريش، فخرج حاملاً سيفه يريد رسول الله ﷺ.

ونروي قصة إسلامه كما ذكرها ابن إسحاق:

"وكان إسلام عمر فيما بلغني، أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت قد أسلمت، وأسلم بعلها–زوجها–سعيد بن زيد، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان نعيم بن عبد الله النَّحام، رجل من قومه من بني عدي بن كعب، قد أسلم، وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فرقاً من قومه.

وكان خباب بن الأرت يختلف–يأتي–إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن، فخرج عمر يوماً متوشحاً سيفه، يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء، ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب، وأبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين، ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة، فلقيه نعيم بن عبد الله فقال له: أين تريد يا عمر؟فقال: أريد محمداً هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش وسفّه أحلامها وعاب دينها، وسب آلهتها، فأقتله. فقال له نعيم:

والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر: أترى بني عبد مناف-عشيرة النبي-تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟قال: وأي أهل بيتي؟قال: ختنك-صهرك-وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه، فعليك بهما...أراد بذلك صرفه عن رسول الله ﷺ خشية عليه. وإيذاء فاطمة وزوجها أهون من إيذاء رسول الله على كل حال.

فرجع عمر إلى أخته وختنه، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها (طه)يقرئهما إياها، .

كانت بيوت الصحابة دوراً للقرآن الكريم
وكان الدعاة يدخلون بيوت الناس
يعلمونهم القرآن.

فلما سمعوا حس عمر تغيّب خباب في مخدع لهم أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها في ثيابها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت، قراءة خباب عليهما، فلما دخل قال: ما هذه الهينمة-الصوت-التي سمعت؟قالا له: ما سمعت شيئاً. قال: بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه!وبطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها، فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم، قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك!فلما رأى ما بأخته من الدم ندم على ما كان صنع، فارعوى وقال لأخته أعطني

هذه الصـــحيفة التي سمعتكم تقرؤون آنفاً أنظر ما هذا الذي جاء به محمد- وكان عمر كاتباً، فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشـــاك عليها، قال: لا تخافي. وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك طمعت في إســـلامه فقالت له: يا أخي إنك نجس على شـــركك، وإنه لا يمســـها إلا الطاهر!فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة وفيها "طه" فقرأها، فلما قرأ منها صـــدراً قال: ما أحســـن هذا الكلام وأكرمه! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال له: يا عمر، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصـــك بدعوة نبيه، فإني سمعته أمس وهو يقول: "اللهم أيّد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب"، فالله الله يا عمر.

كان النبي ﷺ يسأل الله الهداية لزعماء العرب بالرغم من كفرهم ويرجو أن يعز الله بهم الإسلام.

فقال له عند ذلك عمر: فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم. فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا، معه نفر من أصحابه. فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب، فرآه متوشحاً بالسيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحاً السيف، فقال حمزة بن عبد المطلب: فأذن له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه.

المؤمن قوي بالله واثق بتأييده.

فقال رسول الله ﷺ: إئذن له، فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ بحجزته أو بمجمع ردائه، ثم جبذه به جبذة شديدة وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب؟فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة، فقال عمر: يا رسول الله، جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله.

فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم. فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر، مع إسلام حمزة، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ وينتصفون بهما من عدوهم.

قال عمر: لما أسلمت تلك الليلة تذكرت أيَّ أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوة حتى آتيه فأخبره أني قد أسلمت. قال: قلت أبو جهل.

فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه. قال: فخرج إلي أبو جهل فقال: مرحباً وأهلاً بابن أختي، ما جاء بك؟قال: جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله وبرسوله محمد وصدّقت بما جاء به!!. .

المؤمن يفرح بإيمانه ولا يخاف في الله لومة لائم.

قال عمر: فضـــرب الباب في وجهي، وقال: قبحك الله وقبح ما جئت به. يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن إسلام عمر كان فتحاً، وإنّ هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا وما نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه، وما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب.

وبإســـلام عمر وحمزة بدأ عهد جديد من عهود الدعوة، واســـتعلن الناس بالإسلام، وسمي عمر فاروق الإسلام، وسمي حمزة أسد الله وأسد رسوله.

لكن الاضـطهاد لم ينته، فقد كان المشـركون يعمدون إلى المسـلمين فرادى، ويصبون عليهم العذاب، ويتجنَّبونهم مجتمعين.

الجهر بالقرآن:

كل هذا الابتلاء لم يمنع المسلمين من قيامهم بالدعوة إلى الله بكل الوسائل المتاحة لديهم، لكنهم لم يكونوا يجرؤون على الجهر بالقرآن أمام قريش.

وأول من جهر بالقرآن في مكة عبد الله بن مســـعود، وكان رجلاً ضـــعيفاً رقيقاً، ولكنه في صدق الاعتقاد كان كما وصفه رسول الله ﷺ أثقل من جبل أحد، فخرج صـــباح ذات يوم وقريش في أنديتها حتى وقف عند المقام وأخذ يتلو:

بسم الله الرحمن الرحيم

{الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}[1].

فطار الأسياد من قريش وقاموا إليه يضربونه ويؤذونه وهو يقرأ، حتى قرأ منها ما شاء الله أن يقرأ، فانصرف إلى أصحابه وآثار الإيذاء في وجهه، فقال له أصحابه: هذا الذي خشينا عليك، فقال: "ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، لئن شئتم لأقرأنّ عليهم غداً فقالوا: لا، لقد أسمعتهم ما يكرهون".

الإيذاء رغم قسوته هين يسير إذا كان في سبيل دعوة الحق.

الهجرة الثانية إلى الحبشة:

وأرسلت قريش إلى الحبشة من أشاع فيها أن أهل مكة قد دخلوا في الإسلام، وتسامع المسلمون في الحبشة ذلك وعاد منهم نفر يبلغ ثلاثة وثلاثين رجلاً، لكن ما إن وصلوا إلى مكة حتى عاد المشركون لما كانوا عليه من الاضطهاد والإيذاء.

وعاد رسول الله ﷺ ينصح بالهجرة إلى الحبشة، فكانت الهجرة الثانية إلى الحبشة في مطلع السنة السابعة وآخر السادسة.

---

[1] سورة الرحمن.

السَّنَةُ السَّابِعَةُ لِلبَعْثَةِ "6ق. هـ"

أهم حوادث السنة السابعة:

1- الهجرة الثانية إلى الحبشة.

2- محاولات قريش شراء الدعوة الإسلامية.

3- قريش تصاب بالحيرة في اتخاذ موقف واحد من الإسلام.

محاولات قريش لوقف الدعوة

لم تنفع كل محاولات قريش المستمرة في رد أصحاب رسول الله ﷺ عن إسلامهم، بل إنها زادت من إيمانهم وعقيدتهم.

وبدأت قريش محاولات أخرى من الإغراء والاستعطاف مع النبي ﷺ لتلفته عن دينه، فأرسلت إليه عتيبة بن ربيعة، وكان عتيبة هذا قد جاوز الثمانين من عمره، وكان يسمى حكيم قريش، فجاء حتى أتى النبي ﷺ فقال له: "يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً جعلناك سيداً علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه".

في معركة الدعوة
محن من الحرمان ومحن من الإغراء.
والداعية الحق. . هو الذي لا يصرفه الحرمان عن همته ولا يشغله الإغداق عن دعوته.

فقال له رسـول اللهﷺ: "أفرغت يا أبا الوليد؟" قال: نعم ، قال : فاسمع مني ثم قرأ:

بسم الله الرحمن الرحيم

{حم[1]تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ[2]كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ[3]بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ[4]}[1].

ومضى يقرأ وعتبة يسمع حتى وصل إلى قوله تعالى: { فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ}.

فأمسك عتبة بفمه وناشده الرحم أن يتوقف خشية أن تصيبهم هذه الصاعقة ، وعاد إلى قومه مسرعاً وقال: سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعوني وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزّه عزكم.

لكن قريشاً لم يزدها الكلام إلا عناداً واستكباراً، فقالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه.

وكان حكماء مكة يجدون في صدورهم صدق ما قاله عتبة، فيعلمون أنه الحق من ربهم، ولكنهم يجحدون حفاظاً على سيادتهم ومراتبهم.

لا يمكن أن ينفع الحق-مهما كان بليغاً- أقواماً جعلوا أهواءهم ومصالحهم حجاباً بينهم وبين الهدى.

[1] سورة فصلت: 13 .

{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ}[1].

وكان أشرافهم يحّسون حلاوة القرآن في قلوبهم، ولكنهم يكابرون في الإنكار والإصرار.

بل إن بعضهم كانوا يصغون بأسماعهم إلى القرآن، لما يلمسون من حلاوته وطلاوته وذلك في غفلة من أشياعهم وأتباعهم من السفهاء.

وحدث أن ثلاثة من زعماء قريش وهم الأخنس بن شريق، وأبو سفيان بن حرب، وأبو جهل بن هشام اجتمعوا عند باب النبي ﷺ في جوف الليل وهو يقرأ القرآن، ولم يكن أحد منهم يعلم بصنيع صاحبه ، فلما أسفر الصبح فضحهم إشراقه، فتلاوموا على ما فعلوا، وقال قائلهم: والله لئن علمت قريش مخرجكم هذا لارتدت عنكم إلى محمد. وتعاقدوا أن لا يرجعوا من غدهم، فما هي إلا أن جاءت الليلة الثانية حتى اجتمعوا على حالهم الأول، فاتفقوا كما اتفقوا بالأمس، ولما كانت الليلة الثالثة وعاد كل منهم إلى مكانه قرب بيت النبي ﷺ يستمع القرآن وهو يحسب أن صاحبيه لا يحضران، فلما اجتمعوا تواثقوا أن لا يعودوا إلى مثلها أبداً وأغلظوا على أنفسهم في الميثاق.

لا يكفي أن تصغي بأذنك إلى تلاوة القرآن بل لابد أن يصغي قلبك وتمتثل جوارحك.

ثم إن الأخنس لقي أبا جهل فقال له: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد، فقال أبو جهل: ماذا سمعت!...تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا الحجاج فأطعمنا وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا في الركب

---

[1] سورة النمل: 14 .

وكنا كفرســي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من الســماء فمتى ندرك مثل هذه، والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه!!.

لا يصلح لدعوة الإسلام من لم يتحرر من أسر هواه وأنانيته.

وهكذا فإنك ترى أن حرب سادة قريش على الإسلام لم تكن أبداً مسألة قناعة يحسم فيها نقاش العقل وهديه، ولكنه كان تعاكس مصالح، وما كان لطاغية نبت لحمه من دماء الناس أن يتنازل عن موقفه ومنصبه من أجل مسألة حق.

السَّنَةُ الثَّامِنَةُ لِلبَعْثَةِ "5ق. هـ"

أهم حوادث السنة الثامنة:

1-دخول المسلمين في شعب أبي طالب في مؤامرة ظالمة.

2-إحكام الحصار الإعلامي والاقتصادي على المسلمين.

3-استمرار التربية العقائدية والروحية في مدرسة النبي ﷺ.

الحصار في شعب أبي طالب

خلال السنوات السبع الماضية، كانت قريش تحارب الإسلام من خلال إيذاء الصحابة بشتى الوسائل، أما النبي ﷺ فلم يكن أحد يجرؤ أن يمد يده إليه لما كان فيه من منعة وعزة وعشيرة، فقد كان عمه أبو طالب سيداً من سادات مكة وزعيماً من زعمائها، وكان أعمامه وبنو أعمامه قوة لا يستهان بها في مكة. فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو في القبائل، اجتمع رؤساؤهم وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم. فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم.

{لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}[1].

لا يهولنك اجتماع الناس على حرب الحق
الحق منصور ولو كان مختبئاً في غار. .
الحق جماعة ولو كان واحداً. .
ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وأحكمت قريش الحصار حتى لا تصل إليهم لقمة طعام، وكان أبو لهب يدور بين التجار ويقول لهم: غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئاً معكم، وأنا أدفع لكم أضعافاً مضاعفة.

إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن
سبيل الله فهل ينفق المسلمون أموالهم
ليرشدوا إلى سبيل الله.

وهكذا فقد مضت السنة الثامنة والمسلمون في محنة لا تصفها عبارات القول، وخيّل للذين يتعجلون من الناس أن دعوة محمد لم تعد إلاَّ مجرد ذكرى مؤسفة في تاريخ الحجاز، طوتها الصحراء طي السجل للكتب، فضاعت فيما ضاع من آثار الغابرين.

{لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ}[1].

---

[1] سورة آل عمران: 186 .

[1] الأنفال: 44 .

السَّنَةُ التَّاسِعَةُ لِلبَعْثَة "4ق. هـ"

أهم حوادث السنة التاسعة:

1-استمرار الحصار الظالم.

2-حكماء قريش يتعاطفون مع المسلمين.

3-انتشار خبر المقاطعة في العرب أدى إلى تعاطف عام مع المسلمين.

4-دخول جماعة من نصارى نجران في الإسلام.

استمرار الحصار

استمر الحصار الظالم في شعب أبي طالب طيلة السنة الثامنة والتاسعة وجزءاً من السنة العاشرة، ولقد كان الحصار بلا ريب محنة كبيرة على المسلمين، ترفع درجاتهم وتعظم أجرهم، وتعطي المسلمين في كل زمان ومكان درساً في الصبر والتضحية في سبيل الرسالة.

المحن لا تزيد الإيمان إلا رسوخاً وتميز المؤمنين من المنافقين.

وطالت أيام الحصار، فعصرهم الجوع عصراً، وتضاغى صبيانهم وعلا بكاؤهم حتى سمع من وراء الشعب، فكان الواحد منهم يخرج بالنفقة فلا يجد ما يشتريه حتى مات قوم منهم.

{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَـــيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}[1].

ولقد كان بعضهم يطحن القطعة من جلد البعير ويمزجها بالماء ويلتهمها التهاماً.

{مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ}[2].

ولم يكن المشركون جميعاً راضين عن هذه المقاطعة، فقد كان بعضهم يحاول تزويد المحاصرين بشيء من الطعام، فكان هشام بن عمرو يأتي بالبعير فيحمله بالطعام، ويخرج به ليلاً باتجاه الشعب ثم يفتله ويوجهه إلى الشعب، فعلمت قريش بذلك وهمت بقتله لولا أن أبا سفيان بن حرب ردها عنه.

ومنهم حكيم بن حزام: كان يخرج بالطعام لعمته خديجة مع غلام له، فاعترضه أبو جهل وأغلظ له القول، فجاء أبو البختري بن هشـــام وقال لأبي جهل: طعام كان لعمته عنده أتمنعه أن يأتيها به؟خل سبيله، فأتى أبو جهل فتشاتما وضربه أبو البختري بعظم فشجه وآذاه فكف عنه.

ولكن كما أن المقاطعة كانت محنة قاسية في تاريخ الإسلام، فقد تحولت كذلك إلى وسيلة إعلام واسعة بين القبائل العربية وخاصة في موسم الحج، فرأت العرب أن رجلاً قد أخرج قريشـــاً عن طورها وعقلها، وجعلها تمنع الطعام عن أبنائها ما هو بالمجنون أو الكذاب، وأكد لهم ذلك صبر هذا الرجل مع أتباعه على هذا الابتلاء. وبذلك لم تعد دعوة النبي ﷺ في الرأي العام العربي مجرد بدعة فتى قرشـــي طامح متفلّت من تقاليد قريش، بل صارت محا اهتمام العرب، حتى صار كل من يحضر

(1) سورة البقرة: 155.

(2) سورة آل عمران: 180.

الموسم من العرب يهتم لهم وينشغل بهم، وإذا كانت قريش قد منعت الناس من مقابلتهم والدخول عليهم، فلم يكن لها أن تمنعهم من الاهتمام بهم والسؤال عنهم، وإبداء السخط من هذه المقاطعة الظالمة التي لم يعرفها كل تاريخ العرب.

{وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}(1).

ففي هذه الفترة جاء وفد من نصارى الحبشة إلى رسول الله ﷺ ، وكانوا أكثر من ثلاثين، وكانوا قد سمعوا بالنبي ﷺ من خلال أصحابه المهاجرين في الحبشة الذين كانوا يقومون بالدعوة فيها بالحكمة والموعظة الحسنة والحوار الهادئ فكان هؤلاء ممن وقع في قلوبهم صدق النبي ﷺ فأحبوا أن يدخلوا في الإسلام موقنين، فشدوا الرحال حتى بلغوا مكة المكرمة، فلما أخبروا بحصار النبي ﷺ في شعب أبي طالب، دخلوا فيه حتى انتهوا إلى النبي ﷺ فلما سمعوا من رسول الله ﷺ واستمعوا للقرآن آمنوا جميعاً، فعلم بذلك أبو جهل فأتاهم وقال لهم: ما رأيت ركباً أحمق منكم، أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال.

فقالوا لأبي جهل: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه؛فكانوا أول وفد إلى رسول الله ﷺ يدخلون في الإسلام وفيهم نزل قوله تعالى:

{الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا

(1) سورة البقرة: 216.

(2) القصص: 52.

وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ}[2].

الإسلام. . قريب من الأنفس الظامئة للحق والمطلوب من الدعاة: حسن العرض وسلامة القصد.

وانطوت كذلك سنة أخرى، والحصار على أشده والإيمان يزيد في نفوسهم قوة وشدة، والكفر يتقلب في قلوب قريش غيظاً وسفاهة، والنبي ﷺ مقبل على أصحابه الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، لا تعدو عيناه عنهم، وهو يقرأ لهم ما أنزل الله:

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}[2].

السَّنَةُ العَاشِرَةُ لِلبَعْثَةِ "3ق. هـ"

أهم حوادث السنة العاشر: (عام الحزن).

1-نقض الصحيفة الظالمة.

2-وفاة خديجة بنت خويلد.

3-وفاة أبي طالب عم النبي ﷺ .

4-إيذاء قريش للنبي ﷺ في جسده بعد موت أبي طالب.

5-هجرة النبي ﷺ إلى الطائف.

6-إيمان نفر من الجن.

7-إيمان عداس النينوي.

8-دخول النبي ﷺ مكة في جوار المطعم بن عدي.

9-العودة إلى الدعوة في مكة في جوار المطعم.

10-إسلام جماعة من أهل المدينة في موسم الحج.

11-إسلام جماعة من بني شيبان وفيهم المثنى بن حارثة.

بدأ هذا العام والحصار محكم حول المسلمين في شعب أبي طالب، ورسول الله ﷺ وأصحابه معه لا يزيدهم الحصار إلا إيماناً وتمسكاً.

نقض الصحيفة:

وقد أخذ عقلاء مكة وحكماؤها يضيقون ذرعاً بهذا التصرف الظالم المجنون الذي سعى إليه طغاة مكة وأشرارها، ووافقهم الناس في ساعة غيظ واستشارة، وبدأ

حكماء قريش يفكرون بطريقة ينهون فيها هذه المقاطعة، بعد أن ثبت لهم أن الاضطهاد والإيذاء لا يزيد الاعتقاد إلا رسوخاً في النفس وتمكناً في القلب.

ولكن شياطين قريش كانوا قد احتاطوا لذلك، وخشوا من تغير الناس على المقاطعة فيما بعد، فجعلوا الصحيفة في جوف الكعبة واعتبروها نسكاً دينياً، يتقربون بها إلى الآلهة، ويستمطرون بها الخير والبركة.

ثم إن الله أطلع رسوله أن الأرضة (حشرة صغيرة)قد أكلت ما في الصحيفة من كلام الجور والظلم، وبقي ما كان فيها من ذكر الله عز وجل، فأخبر رسول الله ﷺ عمه أبا طالب بذلك، فسأله أبو طالب: أربّك أخبرك بذلك؟قال: نعم فخرج أبو طالب إلى المسجد وقال لكفار قريش: إنّ ابن أخي قد أخبرني-ولم يكذبني قط- أن الله قد سلط على صحيفتكم الأرضة، فأتت على كل ما كان فيها من جور وظلم وقطيعة رحم، وبقي فيها كل ما ذكر به الله، فإن كان ابن أخي صادقاً فارجعوا عن سوء رأيكم، فوالله لا نسلمه حتى نموت عن أخرنا، وإن كان كاذباً دفعناه إليكم ففعلتم به ما تشاؤون.

الحق يعرفه العقل ولكن اتباعه والانقياد له يحتاج إلى إدارة حازمة.

ففرح المشركون بذلك وظنوها فرصتهم للقضاء على رسول الله ﷺ فجاؤوا صحيفتهم ففتحوها فإذا بها كما أخبر النبي ﷺ فما زادهم ذلك إلا بغياً وعدواناً، وقالوا: هذا سحر ابن أخيك، فعاد أبو طالب إلى الشعب وهو يقول: اللهم انصرنا ممن ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا. وانصرف أبو طالب عائداً إلى

الشعب، غير أن هذا الموقف كان له أبلغ الأثر في نفوس أصحاب المروءة من قريش فدفعهم ذلك إلى السعي في نقض الصحيفة.

فذهب هشام بن عمرو إلى زهير بن أمية فقال: أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت، فقال: ماذا أصنع إنما أن رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها فقال: فأنا معك فقال زهير: اطلب لنا رجلاً ثالثاً، فذهب إلى المطعم بن عدي فقالا له: أرضيت أن تهلك عائلتان من عبد مناف وأنت شاهد، فقال: إنما أنا واحد فقالا: إنا معك فقال: اطلبا لنا رجلاً رابعاً، فذهبوا إلى أبي البختري بن هشام فطلب خامساً، فذهبوا إلى زمعة بن الأسود فقعدوا ليلاً بأعلى مكة، وتعاهدوا على نقض الصحيفة وإخراج بني هاشم من الشعب.

فلما أصبحوا ذهبوا إلى أنديتهم وطاف زهير بالبيت ثم قال للناس: يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة، فقال أبو جهل: كذبت والله لا تشق، فقال زمعة: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حين كتبت، فقال أبو البختري: صدق زمعة، وقال المطعم: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها وأيدهم هشام فقال أبو جهل: هذا أمر قد قضي بليل.

وكثر النقاش والجدال، فقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة وشق ما بقي منها، وقام الخمسة ولبسوا السلاح مع جماعة من الناس، وأعادوا بني هاشم والمطلب إلى مساكنهم، وفكوا بذلك الحصار الذي زاد عم السنتين وقارب الثلاث.

وفاة خديجة:

وخرجت طائفة الحق من الحصـــار المرير، لتواصـــل العمل والبلاغ والرســـالة، ووجوههم تشرق بنور الحق وصدق البشرى بوعد الله.

لقد انتهى الحصـــار، لكن المحن لم تنته بعد,وكانت الخبيئة التي ادّخرتها الأيام لتفاجئهم بها بعد فك الحصار مباشرة هي عام الحزن.

ففي شهر رجب من هذه السنة توفيت خديجة بنت خويلد زوج النبيﷺ ، وأول العالمين دخولاً في الإسلام0

لقد كانت خديجة حصـــن الدفاع الداخلي للنبيﷺ، تتلقاه كل يوم بعد إيذاء قريش له فتشد من أزره، وتقوي غزيمته وتخفف من آلامه 0

لقد أنفقت من مالها على رسول الله خدمة للإسلام واشترت الكثير من العبيد المسلمين وأعتقتهم وفكتهم من أسرهم ، وساعدت أصحاب النبي المحتاجين فباعت نفسها ومالها لله رب العالمين0

وكان رســـول الله يحفظ لها جميلها حتى بعد موتها وفاءً لها ، ويكرم صـــديقاتها ويحسن إليهن ، وظل يكثر ذكرها في مجالسه حتى آخر حياته0

كان النبي ﷺ شديد الوفاء للرعيل الأول من أصحابه.

توفيت الســـيدة خديجة بعد أن مضـــت خمســـة وعشـــرين عاماً إلى جانبهﷺ ، فكانت قلباً كبيراً يعينه على همومه وأحزانه ، وعقلاً حصـــيفاً يؤازره وينصـــحه ، وزوجة صالحة تسعده وتواسيه0

سعادة المرأة المسلمة

يوم تكون إلى جانب زوج صالح
تعنيه في رسالة البلاغ المبين.

لقد كان لموت خديجة من الحزن ما أنسى المسلمين فرحتهم بفك الحصار في العام نفسه، ودفنت خديجة في مقابر مكة المكرمة، ولا يزال قبرها معروفاً إلى اليوم.

وقد أنجب رسول الله ﷺ من خديجة أولاده كلهم، فاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم، وكلهن بنات.

أما القاسم والطيب والطاهر وعبد الله أولاده الذكور فجميعهم لم تكتب لهم الحياة.

وقد انقطع عقب النبي ﷺ من ولده جميعاً إلا من فاطمة التي تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأنجبت السبطين السعيدين: الحسن والحسين ومنهما كان نسل المصطفى ﷺ إلى يومنا هذا.

وفاة أبي طالب:

وبعد حوالي شهر من وفاة خديجة مرض أبو طالب عم النبي ﷺ ، وقد كان حصن الدفاع عن الدعوة والرسالة وكانت قريش تتهيّبه وتحترمه، لكنها خشيت بوفاته تفلّت أمر محمد ﷺ من يدها، فذهب بعض أسيادها إلى أبي طالب بعد أن اشتد عليه المرض، وقالوا له: يا أبا طالب، إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى وتخوّفنا عليك، وقد علمت الذي بينا وبين ابن أخيك فادعه، فخذ لنا منه عهداً، وخذ له منا عهداً، ليكف عنّا، ولنكفّ عنه، وليتركنا وديننا، ونتركه ودينه.

فبعث أبو طالب إليه ثم قال له: يا ابن أخي، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوا وليأخذوا منك، فقال رسول الله ﷺ:

"يا عم، كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم، فقال أبو جهل: نعم-وأبيك-وعشر كلمات قال: تقولون: لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه، فصفقوا بأيديهم وقالوا: "يا محمد، أتريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً، إن أمرك لعجب، وقال بعضهم لبعض: انطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم انصرفوا".

ولما انصرفوا أنزل الله عز وجل:

{ص وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ[1] بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ[2] كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ[3] وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ[4] أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ[5] وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى ءالِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ[6] مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ[7] أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ}[1].

فقال أبو طالب: والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شططاً، فطمع رسول الله ﷺ في إسلامه فقال له: أي عم، فأنت قلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة، فلما رأى أبو طالب حرص النبي ﷺ على إسلامه قال له: يا ابن أخي، والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظن قريش أني إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها.

---

[1] سورة صلى الله علية وسلم: 1 .

ثم اختلف الروايات: هل نطق أبو طالب بالشهادتين أم لا ونسأل الله عز وجل أن يكون قد ختم له بالإيمان والهداية والأسلم أن نفوض أمره إلى الله:

{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[2].

وما هي إلا أن اشتدَّ المرض بأبي طالب وثقلت حاله، وقام النبي ﷺ على رأسه مع عمه العباس، وجعل يكرر عليه الدعوة إلى الإسلام حتى فاضت روحه وغمغم بكلمات غير مفهومة، قال له العباس: قد والله سمعته يا ابن أخي يقول الكلمة التي أمرته بها.

نصف عمر الرسالة كان تحت حماية أبي طالب وهو على ملة عبد المطلب!!

وهكذا فقد مات أبو طالب بعد خديجة بخمسة وثلاثين يوماً. وفقد النبي ﷺ أقوى ناصر له في مكة، وبذلك نعلم أن نصف عمر الرسالة الإسلامية تقريباً أمضاه النبي ﷺ تحت حماية عمه أبي طالب على شركه ووثنيته، حتى الذين قالوا بإيمانه قرروا أنه لم يستعلن به حتى مات.

اشتداد الإيذاء:

بعد وفاة أبي طالب اشتد أذى قريش على النبي ﷺ فكان يقول:

"ما بلغت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب".

---

[2] سورة البقرة: 141 .

على الدعوة أن يستعدوا لتعاقب المحن:
يحزنون ولكن لا ييأسون. .
يصابون ولكن لا ينهارون. .
اليأس ليل والدعاة صباح فأنى ييأسون.

وقد بدأت قريش تشـــتد في إيذائها للرســـول ﷺ بالقول والفعل، بعد أن كان مقتصراً على الكلام والاستهزاء. وكان من أشد الناس سفهاً وإيذاءً للنبي ﷺ عقبة بن أ[ي معيط وأبو جهل بن هشام.

وكان عقبة قد صنع وليمة في زفاف بعض ولده وحضرها قريش، فقال النبيﷺ: "يا عقبة والله لا آكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله"، فنطق بها عقبة رجاء أن لا يعرض النبي عن طعامه.

فلما انصـــرف الناس جاءه أبو جهل فقال: يا عقبة، ما بلغني عنك؟آمنت بمحمد واتبعته، قال: والله، ولكن لا تقول العرب: بخلت بزادي فقلت له ما أحب.

فقال: ما أنا بالراضي عنك حتى تبصق في وجه محمد، فقام المخذول من ساعته فلقي النبي ﷺ في بعض طرق مكة، فبصق في وجهه إرضاءً لأبي جهل، وفعل ما لو أخذه الله به لخسف به وبداره الأرض، ولكن الله يمهل ولا يهمل.

أي الدعاة اليوم
يصيبه ما أصاب رسول الله تم يتابع رسالة
البلاغ غير ساخط ولا واهن؟

ومما لقيه ﷺ من عقبة بن أبي معيط أيضـــاً: أنه لما كان عليه الصـــلاة والســـلام يصـــلي في حجر الكعبة، أقبل عقبه فوضـــع ثوبه على عنقه وخنقه خنقاً شـــديداً،

حتى جاء أبو بكر وأخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال: "أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم".

ومما لقيه عليه الصلاة والسلام من أبي جهل بن هشام أنه ﷺ كان يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحابه جلوس، وكانت قد نحرت جمال بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان – وهي أمعاء الجمل المذبوح – فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما يجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه، حتى جاءت فاطمة فطرحته عنه، وأقبلت عليهن تشتمهم فلما قضى صلاته رفع رأسه ودعا عليهم ثلاثاً فقال: "اللهم عليك بقريش" فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته، وجعل يعدد أسماء قريش قائلاً: اللهم عليك بفلان وعليك بفلان حتى عدّد ثمانية منهم. قال أبو مسعود: فو الله لقد رأيتهم في القليب يوم بدر في قتلى المشركين، ما أخطأت أحداً منهم دعوة النبي ﷺ.

العقرب المؤذية والأفعى السامة
لا صلاح لها إلا بالموت

واحتمل النبي ﷺ إيذاءهم، قرابة الشهرين وهم يزدادون شدة وظلماً بعد أن فقد المجير والنصير، وبقي في مكة وحيداً بلا عصبة تحميه في ذلك النظام العشائري المقيت. ووجد رسول الله ﷺ أن الدعوة في قريش لم تعد مجدية، وأوحي إليه أن اصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ولا تبتئس بما كانوا يعملون.

الهجرة إلى الطائف:

وبدأ النبي ﷺ يفكر بالهجرة من مكة إلى أرض أخرى، يجد فيها قبولاً واستجابة لرسالة الحق، بعد أن أيقن أن شياطين قريش غير تاركيه وقد صار بلا نصير يحميه ويؤويه.

الداعية الحق إن صده صار إلى هداية قوم آخرين ولا راحة لمؤمن حتى يلقى وجه الله.

وكانت الطائف أقرب البلاد إلى مكة، فكان رسول الله ﷺ يرجو أن يهدي الله قلوب أهلها للإيمان، والطائف مدينة تبعد 75 كم عن مكة، وهي مصيف الحجاز، وهواؤها يشبه هواء الشام.

وفي شوال من هذه السنة خرج النبي ﷺ إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة، والتفت محزوناً إلى مكة وقال: "والله إنك أحب بلاد الله إليّ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت".

ثم مشى حتى بلغ الطائف وأسيادها يومئذٍ ثلاثة:

عبد يا ليل ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير الثقفي.

الداعية الحكيم إنما يبدأ بزعماء الناس وحكمائهم، ففي صلاحهم صلاح من وراءهم من الناس.

فمضى حتى استأذن على الأول فأخبره بما كان من وحي الله وله وإعراض قومه عنه وصدهم عن دعوته، وجعل يقلب له الموعظة ويتألفه بالحكمة والموعظة الحسنة، ثم دعاه ليدخل في الحل ويقوم بنصرة الدعوة والدفاع عن الرسالة.

ولكن... من قال بأن هدي النبوة ينفع القلوب الميتة، والتفت عبد يا ليل هازئاً مستكبراً وما زاد على أن قال: أنا أمزق ثوب الكعبة إن كان الله قد أرسلك نبياً. . فخرج المصطفى كاسفاً حزيناً ومضى إلى أخيه مسعود بن عمرو، فما كان رده أحسن من أخيه، وأغلظ له في القول وقال: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك!!. .

أما الثالث فكان قد بلغه خبر النبي ﷺ، فلما حضر النبي ﷺ يستأذن عليه، أرسل خادمه قائلاً: "إن كنت نبياً فليس لمثلي أن يكلم الأنبياء، وإن تكن صعلوكاً فمثلي لا يكلم الصعاليك"...

ث إن النبي ﷺ لم ييأس من عنادهم وكفرهم، وراح يعرض عليهم أموراً هي أهون من الأولى وأُرب، فأرادهم أن يجيروه حميّةً حتى يمضي فيما أمره به الله فأعرضوا واستكبروا...

فاستأذنهم أن ينشر دعوته في أهل الطائف من غير أن يمسّهم بسوء، فغضبوا وثاروا وقالوا: "والله لا نتركك تفسد علينا عبيدنا وتسفه آباءنا وتشتم آلهتنا".

فدعاهم إلى أهون من ذلك: أن يقيم في أرضهم ويعتزلهم وما يعبدون من دون الله، فأبوا عليه شيئاً من ذلك. . ثم رجاهم أن لا يخبروا قريشاً خبر مقدمه عليهم، وكان بين قريش وثقيف خصومة جاهلية، فخشي النبي ﷺ أن تعلم قريش نبأ قدومه على الطائف فتزيد نار عداوتها وحربها على الإسلام.

ولكنهم رفضوا ذلك إمعاناً في الإعراض وقالوا: "والله لنخبرنّ قريشاً خبرك".

من القلوب ما هو كالحديد الصدئ لا يزيده
ماء السماء الطاهر إلا شؤماً وصدءاً.

فانقلب النبي ﷺ عنهم كاسفاً حزيناً أسفاً، ثم إنهم ما تركوه، بل أغروا به صبيانهم وسفهاءهم، فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أغمي عليه ﷺ. ثم إنهم ما تركوه بعدئذٍ، بل احتملوه من عضديه يرجمونه بالحجارة حتى سال الدم من رأسه إلى أخمص قدميه، ومعه زيد بن حارثة يذب عنه بجسده، ويدفع عنه الأذى والسوء، ثم تركوه في الرمضاء وزيد قائم فوق رأسه يمسح له وجهه ويصلح له ثوبه.

{فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ}. [1].

ثم استفاق النبي ﷺ فمضى هائماً على وجهه حتى بلغ قرن الثعالب، فرفع يديه ملتجئاً إلى الله عز وجل: "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟إلى بعيدٍ أم إلى عدوٍ ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي...ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك". .

المناجاة الصادقة والأنس بالله هي المكافأة التي ينسى بها الدعاة آلام البلاغ.

وليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

وليت شرابي من ودادك صافياً وشربي من ماء العين سراب

إذا صح منك الوصل فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

[1] سورة النمل: 79-80 .

ثم إن النبي ﷺ قال بعدئذ: "فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا به عليك، وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، ثم ناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني الله إلأيك لتأمرني، إن شئت فأطبق عليهم الأخشبين – الجبلين – وإن شئت خسفت بهم الأرض، فقال ﷺ: لا، بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً".

الداعية الحق طبيب يعالج. . لا قاض يعاقب...
يسعى إلى شفاء المريض ولو آذاه ريحه وسفهه
ولا يخرجه سلوك الجاهلية عن موقفه الرباني.

ثم إن النبي ﷺ التجأ إلى بستان بالطائف لعتبة وشيبة ابني ربيعة، وهما من رؤوس الكفر في مكة. فلما رآه ابنا ربيعة: عتيبة وشيبة، وعرفا ما لقي تحركت له رحمهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقالله: "عداس" فقالا له: خذ قطفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه. ففعل عدّاس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، ثم قال له: كل، فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده قال: باسم الله. ثم أكل، فنظر "عدّاس"في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: ومن أي البلاد أنت يا عدّاس، وما دينك؟قال: نصراني وأنا رجل من أهل نينوى. فقال رسل الله ﷺ: "من قرية الرجل الصالح يونس بن متى"؟فقال عدّاس: وما يدريك ما يونس بن متى؟فقال رسول الله ﷺ:

"ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي!. ".

فأكب عدّاس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه.

الداعية الحق لا يكف عن البلاغ حتى وهو يلملم جراحه ولا يضن بما معه من الهدى على أحد ولو كان خادماً غريباً يعمل لشبع بطنه.

قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك!فلما جاءهما عدّاس قالا له: ويلك يا عدّاس مالك تقبل رأِ هذا الرجل ويديه وقدميه؟قال: يا سيدي، مافي الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي!قالا له: ويحك يا عداس!لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه!.

وبذلك ترى أن النبي ﷺ لم يفتر لسانه عن الدعوة إلى الله بالرغم من سوء ما يلقى من قومه، فتألف عداس النصراني ودعاه إلى الله عز وجل، وجعل يدعو لقومه بالهداية والصلاح بالرغم من كل ما لقيه من ردٍّ وصدّ!. وهذه هي عظمة النبوة: أن لا يخرجك سلوك الجاهلية عن موقفك الرباني: "اللهم اغفر لقومي لا يعلمون"، ولم يُسلم في هذه الهجرة إلا هذا الغلام، إضافة إلى نفر من الجنّ أخبرنا الله تعالى خبرهم حيث قال:

{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ(30)يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(31)وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَولِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ}[1].

[1] سورة الأحقاف: 29 .

في جوار المطعم بن عدي:

مضت تلك الأيام القاسية في الطائف، وخرج رسول الله ﷺ منها مكسور الخاطر، مهيض الجناح، غير أن إيمانه برسالته، وثقته بما يدعو إليه، كان يزيده إصراراً وتصميماً وبحثاً عن وسائل جديدة يتمكن بها من حماية الدعوة وأداء الرسالة.

وبقي رسول الله ﷺ بين مكة والطائف، لا أهل الطائف يستقبلونه، ولا يأمن أذى أهل مكة فيدخلها، لكنه عزم أن يعود إلى مكة ليستأنف البلاغ المبين، وإذا كانت قريش قد تمادت في الإعراض والغواية، فقد كان يرجو أن تصغي إليه وفود العرب في الموسم، ويجعل الله للرسالة فرجاً أو مخرجاً.

الداعية المخلص. . يسعى إلى الناس
يدعوهم ويرشدهم ولو أعرضوا عنه.
ولا يحمله صدهم وإعراضهم على
الإعراض عما فيهم من جوانب الخير.

فقال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم يا رسول الله، وهم أخرجوك؟. فقال ﷺ:

"يا زيد؛إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإنّ الله ناصر دينه ومظهر نبيه".

ولم يكن رسول الله ﷺ بالذي يشغله التوكيل عن اعتماد الأسباب والوسائل.

فأرسل إلى ثلاثة من رؤوس قريش يستنصرهم، ويطلب جوارهم ليدخل إلى مكة وهم: الأخنس بن شريق وسهيل بن عمروا والمطعم بن عدي...[1].

[1] رواه ابن جرير ج2 ص64، كما أورده ابن كثير في السيرة النبوية .

وقد يبدو هذا السلوك النبوي غريباً في فهم أولئك الذين يعجلون، إذ كيف يطلب النبي ﷺ نصرة قوم لا تزال جباهم معفرة بالسجود لغير الله، وألسنتهم مصقولة على الكفر بالله مع أنه مؤيد بقوة الله ونصره وتأييده؟.

الداعية الحكيم يستعمل كل الأسباب والوسائل الشريفة لخدمة الإسلام ولا يعني التوكل على رب السماء أن نهمل وسائل الأرض.

فالأخنس بن شريق هذا هو الذي قال الله عز وجل فيه:

{وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ(10)هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ(11)مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ(12)عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ}[2].

وأما سهيل بن عمرو فقد كان أشد من صاحبه حرباً على الإسلام وإيذاءً للمسلمين، وظل عشرين عاماً يخطب في قريش ويؤلّب الناس على رسول الله ﷺ من قبل هذا ومن بعده.

وأما المطعم بن عدي فقد كان فيمن مشى إلى أبي طالب وقال: يا أبا طالب أعطنا ولدك محمداً نضرب عنقه فقد شتم آلهتنا وسفّه آباءنا، وخذ مكانه ولدنا عمارة بن الوليد!!. .

لقد كان الله عز وجل قادراً على أن يدخل نبيه ﷺ إلى مكة على أسنة الملائكة!. وأن يؤيّده بخمسة آلاف من الملائكة مسومين، وكان قادراً أن يخرج أهل مكة من حيث أخرجوه ويدخله إليها مدخل صدق آمناً مطمئناً. . .

---

[2] القلم: 10-12 .

ولكنه أراد أن يعلم الناس من بعده كيف تصان الرسالة، وتؤيد الدعوة بقانون الأسباب والمسببات الذي جعله الله ناموساً ناظماً لهذا الكون.

فأرسل إلى الأخنس بن شريق أولاً يستجيره ويستنصره فرد قائلاً: إنه حليف قريش، وحليف قريش لا يجير على صميمها[1].

ثم أرسل إلى سهيل بن عمرو، وكان سيداً مطاعاً في مكة فاعتذر أيضاً وقال: إن بني عامر لا تجير على بني كعب، ثم أرسل إلى المطعم بن عدي، وكان من أشراف مكة وسادتها، وكان رجلاً شديد المروءة حسن الجوار. فرضي المطعم ونادى في نوادي مكة: إني قد أجرت محمداً، ثم خرج بأولاده السبعة متقلّدين سيوفهم محلقين حول رسول الله حتى دخل مكة فطاف بالبيت.

في كل إنسان مهما اشتد كفره جوانب خفية من الخير.

وجاء أبو جهل بن هشام فقال: يا مطعم أتابع أم مجير؟قال: لا بل مجير قال: إذاً لا تخفر.

وبات رسول الله ليلة أو ليلتين في دار المطعم، ثم عاد يستأنف رسالته في ظل سيوف بني المطعم بن عدي.

وحفظ رسول الله ذلك للمطعم فكان يذكره بخير، وفي يوم بدرلما اجتمعت الأسارى بين يديه قال:

---

[1] الحليف: قال الجوهري: الأحلاف قوم من ثقيف حالفوا قريشاً. وقد كان الخنس ثقيفاً محالفاً ولم يكن قريشاً صميماً .

"لو كان المطعم بن عدي حياً وجاءني في فداء هؤلاء النتنى، لأطلقتهم من أجله"[1].

النبي ﷺ عظيم الوفاء...
لم ينس للمطعم موقفه النبيل. .
رغم أنه مات على الكفر!

دعوة الوفود في موسم الحج

ودخل رسول الله ﷺ مكة أواخر شوال من السنة العاشرة للبعثة، وقد بدأت الوفود تقدم مكة المكرمة استعداداً لموسم الحج في ذلك العام.

وجاء موسم الحج، والتقى النبي ﷺ بالقبائل يدعوها إلى الله، ويذكرهم بأيام الله، وكل ذلك في جوار المطعم بن عدي.

وكان رسول الله ﷺ كلما مرّ على ملأ يدعوهم إلى الإسلام، يأتي من خلفه عمه أبو لهب يخاطب القوم: يا بني فلان، إن ابن أخي هذا رجل مسحور، وإنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، جاء به خير لاتّبعه قومه وعزّوا به، فيعرضون. .

شدة القرب حجاب

[1] أخرجه البخاري في كتاب الخمس والمغازي وأخرجه كذلك أبو داود في سننه وأحمد في المسند .

أبو لهب نظر إلى النبي على أنه ابن أخيه
الصبي محمد بن عبد الله
ولو أراد الله به خيراً لنظر إليه على أنه: محمد رسول الله.

ورغم ذلك استجاب عدد قليل من الوافدين لدعوته وصدقوا به واتّبعوه.

وكان ممن استجاب له في ذلك العام جماعة من بني شيبان، فيهم المثنى بن حارثة ومفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة، وقد وعدوا رسول الله ﷺ إن نصرهم الله على فارس ليؤمنّن به ولينصرنّه، فما هي إلا أن عادوا إلى أرضهم حتى جرت موقعة ذي قار وانتصروا فيها على فارس، وصدق رسول الله ﷺ فيما كان بشرهم به من قبل[1].

ودعا رسول الله ﷺ أهل يثرب إلى الإسلام فاستجاب منهم سويد بن الصامت، وكان عالماً فاضلاً وكانت عنده مجلة لقمان (حكمه ووصاياه) وعاد إلى المدينة فلم يلبث أن قتلته الخزرج.

المفكرون والعلماء وأصحاب الثقافة الواسعة
إذا خلعوا أهواءهم
هم أقرب الناس إلى الإيمان.

كذلك فقد اسلم من أهل المدينة إياس بن معاذ، وهو شاب جاء في وفدٍ من الأوس يلتمسون حلف قريش على خصومهم من الخزرج، فعاجلهم رسول الله ﷺ وعرض عليهم الإسلام، فأسلم منهم إياس، ولم يلبث هو الآخر أن مات.

وازداد تضييق قريش على رسول الله ﷺ، وأثاروا حوله حملة كبيرة من الشائعات والأكاذيب ليصدوا الحجيج عن الإيمان به، وأخذوا يحذرون الناس من الاستماع

[1] هناك خلاف في تحقيق تاريخ وقعة ذي قار، راجع صفحة (14) .

إليه، لكن قريشاً ساهمت بذلك من حيث لا تدري في إذاعة صيت الإسلام، ونشر أنباء هذه الدعوة بين وفود الحجيج من قبائل العرب.

فالتقى النبي ﷺ في موسم الحج بجماعة من أهل يثرب وعرض عليهم الإسلام، فسارعوا إلى الإيمان به وتصديقه، خاصة وأن يهود المدينة كانوا يخبرونهم عن النبي المنتظر، فقال بعضهم لبعض: والله إنه النبي الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقكم إليه، وواعدوه في الموسم من العام القادم، وعادوا إلى قومهم ودعوهم إلى الإسلام، حتى لم يبق دار من دور يثرب إلا وفيها حديث عن فتى قريش، ودينه الجديد.

السَّنَةُ الحَادِيَةَ عَشَرَةَ لِلبَعْثَةِ "2ق. هـ"

أهم حوادث السنة الحادية عشرة:

1-استمرار الدعوة في جوار المطعم.

2-الإسراء والمعراج.

3-ظهور أول ردة في الإسلام بعد خبر الإسراء والمعراج.

4-تشريع الصلوات الخمس.

5-بيعة العقبة الأولى.

6-إرسال مصعب بن عمير إلى المدينة المنورة.

دخلت هذه السنة والنبي ﷺ في جوار المطعم بن عدي، يقوم برعاية أصحابه والعناية بهم، والدعوة في وفود العرب وقبائلها على وجه يستمر به صوت الرسالة من غير أن يحرج به المطعم بن عدي في جواره...

وكان النبي ﷺ يتطلع إلى أصحابه في الحبشة ومن آمن به من بني شيبان ومن أهل يثرب، ويقلّب وجهه في السماء لا يدري أي أرضٍ تلك التي تكون أرض الهجرة الموعودة؟، بعد أن استيأس من أشراف مكة أن يدخلوا في الإسلام راغبين.

الإسراء والمعراج:

وفي منتصف هذا العام في شهر رجب – على الأغلب – وقعت حادثة الإسراء والمعراج.

وأغلب الظن أنها وقعت في شهر رجب في السابع والعشرين منه.

وقد جاءت هذه الرحلة بعد فترة عصيبة مرَّ بها رسول الله ﷺ من مقاطعة قريش ووفاة زوجته خديجة، وعمه أبي طالب، وما لحقه من أذى قريش وحصارهم، وبعد هجرته إلى الطائف – على الأرجح – فكانت تخفيفاً له من مصابه، ومكافأة له على مواصلة الدعوة إلى الله، وإكراماً على صبره.

اشتداد المصائب إيذان بالفرج.
وكم من محنة عظمت وطالت- -وخان مواصل وجفا حليم.
أتى فرج الإله لها صباحاً- -فما أمست وأقلعت الهموم.

وإليك قصة الإسراء والمعراج كما أوردها البخاري في صحيح:

عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يحدث من خبر الإسراء والمعراج فقال:

"أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة. ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل، فقيل من أنت؟قال: جبريل، قيل: ومن معك؟قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟قال: قد بعثت إليه...ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية (فكان يلقى في كل سماء من شاء الله من الانبياء، فالتقى في الثانية بعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وفي الثالثة بيوسف وفي الرابعة بإدريس، وفي الخامسة بهارون، وفي السادسة بموسى

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين). قال: ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟قال: جبريل، قيل: ومن معك؟قال: محمد ﷺ ، قيل وقد بعث إليه؟قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال-الجرار-، فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليَّ ما أوحى ففرض عليّ خمسين صلاة كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى قال: ما فرض ربك على أمتك؟قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي، فقلت يا رب خفف على أمتي، فحط عني خمساً فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمساً، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بيني وبين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه"[1].

---

[1] رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار عن أنس بن مالك ومالك بن صعصعة,ولخبر الإسراء والمعراج روايات كثيرة أخرى .

كل العبادات فرضت في الأرض إلا الصلاة. .
فإنها فرضت في السماء لأنها عماد الدين.
"الصلاة معراج المؤمن".

وعاد النبي ﷺبعد تلك الرحلة التي أكرم بها في ملكوت الله عز وجل، وكانت مواساة له على تكذيب المشركين وإعراضهم.

وأخبر النبي ﷺ المشركين بما حصل له في هذه المعجزة، فصاروا بين مصفّق ومصفّر ومستهزئ، وارتد ناس من ضعاف الإيمان أمام شائعات قريش، وسعى رجال إلى أبي بكر وأخبروه بالخبر علّه يتخلى عن صاحبه، فقال أبو بكر: إن كان قال ذلك فقد صدق، إني لأصدقه على أبعد من ذلك، فسمي في ذلك اليوم "الصديق".

المؤمن الحق يجد نور الله في قلبه لا ينتظر
المعجزة ليوقن بالحق!. .
"لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً".

وجاء المشركون يمتحنون رسول الله ﷺ في صدقه فسألوه عن وصف بيت المقدس، فجلى الله له بيت المقدس، وأخذ يصفه لهم باباً باباً وموضعاً موضعاً فقالوا: أما النعت فقد أصاب، فاخبرنا عن تجارتنا-وكانت لهم عير قادمة من الشام-فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها فقال لهم: إنها تقدم يوم كذا مع طلوع

أما السؤال عن رؤية النبي ﷺ لربه: هل رآه أم لا ففيه خلاف لا يؤدي إلى نتيجة إلا إلى اختلاف المسلمين، المهم أن نعمل من أجل الرؤية الأكيدة في الآخرة، والتي أخبرنا الله عنها: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة...

الشمس يقدمها جمل أورق-في لونه بياض إلى سواد-، فخرجوا في ذاك اليوم فقال قائل منهم فرحاً: هذه والله الشمس قد أشرقت، فقال آخر: وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق، لكن ذلك لم يزدهم إلا استكباراً وعناداً، وقالوا: هذا سحر مبين.

والحق أن المعجزة مهما كانت ظاهرة بينة لا يمكن أن تحمل الهدى لمن يبتغي المعاندة والمكابرة والجدال.

قال الله تعالى: { وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ }(1).

وقال: { وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ }(2).

من ليس يفتح للضياء عيونه	هيهات يوماً واحداً أن يبصرا

وعلماء السير غير متفقين في توقيت الإسراء والمعراج، ولهم في ذلك روايات واجتهادات، غير أنهم متفقون على أنّ الإسراء والمعراج كان إكراماً من الله عز وجل لنبيه ﷺ ، وفتنة للناس ليميز الله بها الخبيث من الطيب والله يعلم وأنتم لا تعلمون...

ودخل رمضان والناس في هرج ومرج من قصة الإسراء والمعراج، والنبي ﷺ مستغرق في يقينه وطمأنينته، يدعو إلى الله على بصيرة وهو من اتبعه من المؤمنين.

---

(1) سورة الأنعام: 7.

(2) سورة الأنعام: 110.

ومع بداية الأشـهر الحرم من آخر هذه السـنة راح رسـول الله ﷺ يتهيأ لدعوة الوفود شـأنه كل عام، ولكنه هذه المرة كان يخفي عم قريش دعوته لئلا تفسـدها عليه ولئلا يسيء إلى جوار المطعم بن عدي.

بيعة العقبة الأولى:

وقد علمت أنه ﷺ كان في السـنة الماضـية قد التقى بجماعة من أهل يثرب ودعاهم إلى الإسلام فصدقوه وواعدوه في الموسم القادم، وجاء موسم الحج، وجاء وفد من يثرب للقاء النبي ﷺ وسمعوا منه ما سـبق أن سمعوه، وسمع منهم أحوالهم ومسـاءلاتهم، وما زال بهم حتى شـرح الله صـدورهم للإسـلام وبايعوه بيعة العقبة الأولى.

أجدى طرق الدعوة.
الحوار المخلص، والنقاش الهادئ، والبلاغ المبين.

قال عبادة بن الصامت، وكان ممن شهد تلك البيعة من الأنصار: بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى ألا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف قال ﷺ:

"فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشـيتم من ذلك فأخذتم بحدّه في الدنيا فهو كفارة له، وإن سـترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله تعالى، إن شاء عذب وإن شاء غفر".

وقد شارك في هذه البيعة اثنا عشر رجلاً من الأنصار: عشرة من الخزرج واثنان من الأوس.

وكانت الأوس والخزرج هما القبيلتان الرئيستان في يثرب، وكانتا في حرب دائمة، كما كان في المدينة أقلية يهودية تغذي هذا الصراع وتثير ناره كلما خمد-كما هو حالهم اليوم-.

وقد وافقت هذه البيعة انصرف أهل المدينة من حرب بعاث، وهي الحرب التي نشبت بين الأوس والخزرج وهلك فيها الكثير من الطائفتين...وكان اليهود في يثرب يقولون للأوس والخزرج: قد أوشك ظهور نبيٌّ آخر الزمان الذي نجتمع تحت لوائه ونقتلكم قتل عاد وإرم.

وقال قائل للأنصار: والله إن هذا للنبي الذي تعدكم به يهود فلا يسبقونكم إليه.

وكانوا يرجون أن يجمع الله به كلمتهم ويجمع شملهم بعد إذ مزّقته الحرب شر ممزق...

وأرسل رسول الله ﷺ مع أهل العقبة الأولى مصعب بن عمير يعلمهم الإسلام، ويتلو عليهم القرآن، فكان بذلك أوّل داعٍ يوفده رسول الله ﷺ في مهمة رسالية تبليغية، وأول سفير للمسلمين.

مدرسة الإيمان....
هي التي يتخرج أبناؤها دعاة صادقين،
كالغيث النافع إذا أصاب أرضاً اهتزت
وربت وأنبتت من كل زوج بهيج.

ومعلوم أن مصـعب بن عمير من السـابقين إلى الإسـلام وقد اضـطهده قومه وقاطعته أمه، فهاجر إلى الحبشـة الهجرتين، وكان من أصـدق الناس إيماناً، وكان عمره يوم أرسله النبي ﷺ إلى يثرب 37سنة.

السَّنَةُ الثَّانَيةَ عَشَرَةَ لِلبَعْثَةِ "1ق. هـ"

أهم حوادث السنة الثانية عشرة:

1-بدء دعوة مصعب في المدينة.

2-أول جمعة تقام في الإسلام في المدينة المنورة.

3-إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير.

4-بيعة العقبة الثانية.

5-بدء الهجرة إلى المدينة.

بدء دعوة مصعب في المدينة

ودّع رسول الله السنة الحادية عشرة للبعثة بوداعه لمصعب بن عمير، بعد أن أوصاه بما يحتاجه الدعاة إلى الله عز وجل من الصبر والإخلاص والوضوح والحكمة وحبّ الخير. . ومع بداية السنة الثانية عشرة، كان مصعب قد وصل إلى المدينة واستقر في دار أسعد بن زرارة، وهو أحد الأنصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ يوم العقبة الأولى.

المؤمن الحق. . يكون بيته مركزاً لنشر الهدى والنور.

وبدأ مصعب وأسعد بدعوة أهل المدينة إلى الإسلام، ولما بلغ عدد المسلمين الأربعين، أقام فيهم مصعب صلاة الجمعة...فكانت أول جمعة أقيمت في الإسلام.

وتسامح أسياد المدينة بخير مصعب ودينه الجديد، وما كان ليروق لهم لما فيه مت ترك لعبادة الأوثان ومساواة بين الأحرار والعبيد...

وكان للأوس يومئذ زعيمان وهام: سعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وكان سيد الخزرج سعد بن عبادة وعبد الله بن أبي بن سلول.

وكانت دعوة مصعب وأسعد بن زرارة في بستان لبني عبد الأشهل، فسمع بذلك سعد بن معاذ وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة، فوثب غاضباً ثم صرخ في وجه أسيد بن حضير قائلاً: يا أسيد، اغد إلى ابن خالتي أسعد، ومره أن يصرف عنا هذا الشاب القرشي الذي عاب آلهتنا وسفّه آباءنا، فوالله لولا ما بيني وبينه من صلة الرحم لمضيت إلى هذا القرشي أدق عنقه بالسيف.

وحضر أسيد بن حضير غاضباً ثائراً، فضرب باب أسعد وصرخ في وجهه: ما هذه البدعة المفتراة التي أتانا بها هذا الفتى القرشي، فسفّه آباءنا وشتم آلهتنا وأنت تؤويه وتنصره...فقال له مصعب: ألا تجلس فتسمع. . فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته صرفنا عنك ما تكره، فقال أسيد وقد هدأت ثورته: لقد أنصفت والله...ثم ركز حربته في الأرض وجلس يستمع، ومصعب يعرض عليه الإسلام بحقيقته وصورته الناصعة ويتلو عليه شيئاً من القرآن، وجعل يقلب الآيات ويصرف له العبر حتى دخل نور الإيمان في قلبه، فقام واغتسل وتطهر وأعلن شهادة الحق.

الإيمان حبيب قريب تطلبه كل النفوس الطيبة. .

ولكن أين من يحسن عرضه، والدعوة إليه؟

ثم قال لهما: إن سـعد بن معاذ لو تبعكما لم يختلف عنكما أحد من قومه، وسـأرسـله إليكما وعاد أسـيد إلى سـعد، فقال سـعد لجلسـائه: أحلف بالله لقد جاءكم أسـيد بغير الوجه الذي ذهب به. ودخل أسـيد على سـعد وجلسـائه، ولم يكن أمر إقناعه بالذهاب إلى مصـعب أمراً ميسـوراً، فلم يصـارحه بما رأى وسمع ولكنه قال:

"يا سـعد قد بلغني أن بني حارثة قد خرجوا إلى ابن خالتك أسـعد بن زرارة ليقتلوه".

فبلغت الحمية فورتها في نفس سعد، ولكنها هذه المرة حمية الرحم لا حمية الوثن، ثم مشـى مسـرعاً إلى أسـعد بن زرارة وعنده مصـعب بن عمير، وجعل يصـرخ في أسـعد: أتأكلنا الخزرج عن قوس واحدة من أجل فتاك القرشـي هذا؟فما زال به أسعد ومصعب يستعطفانه ويستلطفانه حتى سكنت فورته وهدأت ثائرته وجلس يستمع الهدى وما هي إلا ساعة من نهار حتى تحول غضبه وحنقه إلى هدى ويقين، وجعلت كلمات مصـعب تسـتقر في نفس سـعد، حتى شـرح الله صـدره للإسـلام وأعلن بكلمة التوحيد.... وعاد سعد من فوره فدعا قومه وقال لهم: كيف تعلمون أمري فيكم؟قالوا: سـيدنا وأفضـلنا فقال: فإن كلام رجلاكم ونسـائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسـوله، فما أمسـى في دار بني الأشـهل رجل ولا امرأة إلا وقد دخلوا في الإسلام.

المؤمن الحق. . حين يستقر الإيمان في قلبه لا يسعه أن يقبض يد الإنقاذ عن القوم الغافلين

وتتابع دخول أهل يثرب في الإسلام، وخلال عام واحد أصبحت يثرب أول مدينة إسلامية في التاريخ وكان رسول الله ﷺ يتلقى أخبار مصعب مشرقاً متهلّلاً، ويدعو له بالتوفيق والفتح.

ولم يصرفه هذا عن الدعوة في مكة، فقد كان ﷺ يرعى أصحابه من حوله، ويتصل بأصحابه في يثرب وفي الحبشة، ويتابع دعوته لكل وافد إلى مكة من غير كلل ولا ملل.

بيعة العقبة الثانية:

ولما وافى موسم الحج من هذه السنة حضر مصعب بن عمير في وفد من أهل يثرب، ونزلوا مع الحجيج في منازلهم في مكة من غير أن يعلنوا بإسلامهم.

وأخبر رسول الله ﷺ بقدومهم، فضرب لهم موعداً في منى في اليوم الثاني من أيام التشريق (12ذي الحجة)، يبايعهم فيه.

يقول كعب بن مالك: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا نتسلل تسلل القطا، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائنا.

أول مبادئ الحكمة:

استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان.

فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويستوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال: يا معشر الخزرج- ويعني الأوس أيضاً لكن الأكثرية من الخزرج-إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا فهو في عزٍّ من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه وما مانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه، فقال البراء بن معرور: إنا-والله-لو كان في أنفسنا غير ما ننطق به لقلنا، ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهجنا دون رسول الله ﷺ فتكلّم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت فنحن نبايعك...

فتكلّم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثم قال:

"تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة، في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا الحق لا تخافوا في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة".

أول السلوك في طريق الله السمع والطاعة والداعية الحق لا يخرج عن بيعة السمع والطاعة في المعروف. . حتى يلقى الله.

فأخذ البراء بيده ثم قال: نعم-والذي بعثك بالحق-لنمنعنك مما نمنع منه أعراضنا، فبايعنا يا رسول الله!فنحن والله أبناء الحروب وأهل السلام ورثناها كابراً عن كابر. فقاطعه أبو الهيثم بن التيهان فقال:

"يا رسول الله إن بيننا وبين يهود عهوداً، وإنا قاطعوها فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم نصرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟فقال ﷺ: "بل الدم الدم والهدم الهدم[1]، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسلم من سالمتم"ثم قال: "أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً"1هـ.

فخرج إليه تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، ثم قال ﷺ للنقباء:

"أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي"قالوا: نعم.

اختيار النقباء الاثني عشر هو افتتاح لـ12 حلقة تربية بإشراف مصعب وهي أولى الحلقات التربوية في الإسلام.

فلما اجتمع القوم لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة: يا معشر الخزرج، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس فإن ترون أنه إذا أنهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه فمن الآن فدعوه، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة، قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف،

[1] هو مثل يضرب للدلالة على دوام الحلف في السراء والضراء .

فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟قال: الجنة، قالوا: ابسط يدك، فبسط يده فبايعوه ثم قال رسول الله ﷺ: ارفضوا إلى رحالكم، فقال له العباس بن عبادة: والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلنّ على أهل منىً غداً بأسيافنا، فقال رسول الله: لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم، فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا فيها حتى أصبحنا.

ساعات الإيمان الأولى ساعات حماس واندفاع ولكن رسوخ الإيمان يمنحك عمق البصيرة وحكمة الحياة.

فلما أصبحنا غدت علينا سادة قريش حتى جاؤونا في منازلنا فقالوا: "يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم".

فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون ما كان من هذا شيء وما علمناه!. . وصدقوا، لم يعلموه، وجعل بعضنا ينظر إلى بعض فتركهم المشركون، ونفر الناس من منى، وتحرى القوم الخبر فوجدوا أن الأمر قد كان، فخرجوا في طلبنا فأدركوا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو، فأما المنذر فقد أعجز القوم ففر منهم، وأما سعد بن عبادة فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بشعر رأسه، وما زال كذلك حتى استجار بجبير بن المطعم والحارث بن حرب-وكان يجير لهما تجارتهما-فأجاراه وخلصاه من المشركين ولحق بقومه، وهم على وشك أن يكروا على مكة لينقذوه، فدخلوا يثرب جميعاً دعاة إلى الله في

عنقهم بيعة الحق، وأخذوا ينشرون الإسلام في مدينتهم، ويعدّون لاستقبال إخوانهم المهاجرين من مكة بلهف وشوق.

السَّنَةُ الثَّالِثَةُ عَشَرَةَ لِلبَعْثَةِ الأولى للهجرة

حوادث السنة الثالثة عشرة للبعثة (السنة الأولى للهجرة):

1-بدء الهجرة إلى المدينة.

2-محاولات قريش لمنع الهجرة.

3-هجرة النبي ﷺ في ربيع الأول.

4-بناء المسجد.

5-عقد المؤاخاة العظيم.

6-إعلان دستور المدينة.

7-موادعة اليهود.

8-محالفة القبائل.

9-الإذن برد العدوان.

تبيّن لقريش في آخر العام الماضي بما لا يدع مجالاً للشك أن أهل يثرب يتحولون إلى الإسلام، وأن قوة الإسلام الحقيقة قد صارت في يثرب...

ومع بداية العام الجديد بدأت قريش تفكّر جدياً بالتخلص نهائياً من الرسول والرسالة. .

لقد كانت بيعة العقبة الثانية بالفعل تمهيداً لنقل مركز الدعوة الإسلامية من مكة إلى يثرب، ومضى مسلمو يثرب مع مصعب بن عمير يمهدون الطريق في مدينتهم لاستقبال إخوانهم من أهل مكة.

بدء هجرة الصحابة إلى المدينة

وعقب بيعة العقبة الثانية قال رسول الله ﷺ لأصحابه: "قد أخبرت بدار هجرتكم وعي يثرب، فمن أراد الخروج فليخرج إليها وقال لهم: إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها"فصار الصحابة يتسللون من مكة مثنى وفرادى وجماعات في خفية عن عيون قريش. .

وكان من أوائل المهاجرون أبو سلمة بن عبد الأسد، فقد خرج ومعه زوجه أم سلمة وولده سلمة، لكن قوم أم سلمة منعوه من الخروج بها، فترك زوجه وولده ومضى مهاجراً في سبيل الله، واختلف قومهما وقومه في الولد وتجاذبوه حتى خلعت يده أمام عيني أمه، وأخذ منها ففرق بينها وبين ابنها وبين زوجها، فمضت صابرة راضية، احتسبت ذلك عند الله.

ومضت شهور والمرأة شاحبة ناحبة لا همّ لها إلا اللحاق برسول الله ﷺ ، حتى ردّوا إليها ولدها بعد عام فأسرعت مهاجرة بدينها إلى الله ورسوله. .

الولاء للعقيدة قبل أي ولاء
والمرأة الرقيقة الضعيفة
صارت بالعقيدة جبلاً شامخاً لا تناله الأعاصير.

ومن المهاجرين "صهيب بن سنان الرومي" وقد أدركه كفار قريش في بعض الطريق فقالوا: أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك أبداً.

فكان جواب صـــهيب: "أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون ســـبيلي؟قالوا: نعم فترك لهم ماله، وبلغ ذلك رســـول الله ﷺ فقال: "ربح صـــهيب، ربح البيع أبا يحيى ربح البيع"!!. .

ونزل فيه قول الله عزَّ وجلَّ:

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}.

وممن أراد الهجرة "عياش بن أبي ربيعة، فجاءه أبو جهل بن هشام وأخوه الحارث بن هشام فأخبراه بأن أمه قد نذرت أن لا تغسل شعرها ولا يمس رأسها مشط ولا تســـتظل من شمس حتى تراه، وقالا له: وأنت أحب ولد أمك إليها، وأنت في دين يأمر بالبر للوالدين فارجع إلى أمك واعبد ربك في مكة كما تعبده في المدينة، فصـــدقهما عياش، فقال له عمر بن الخطاب: ما يريدان والله إلا فتنتك عن دينك فأحذرهما، فوالله لو آذى أمك القمل لامتشـــطت ولو اشـــتد عليها حر الشـــمس لاستظلت، فقال عياش: أبر أمي، ولي مال هناك آخذه.

لكن عمر خشـــي عليه فقال له: خذ نصـــف مالي ولا تذهب معهما فرفض عياش فقال له عمر: فخذ ناقتي هذه فإنها نجيبة ذلول فالزمها، فإن شككت فيهما فانج عليها فخرج عياش معهما، حتى إذا كانوا في بعض الطريق قال له أبو جهل: لقد تعبت من بعيري، ألا تبادلني ناقتك هذه؟فرضـي عياش، ولما نزل عنها غدرا به وأوثقاه وجلداه وأدخلاه مكة في ضـــوء النهار وقالا: يا أهل مكة: هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفهائنا. .

وهو في قناع نصيحته. . أخبث منه في عري فضيحته!!. .
مخطئ من ظنَّ يوماً- -أن الثعلب ديناً.

واشـتدت قريش في الإيذاء، وتوالت الهجرة، ولم تسـمع قريش بهجرة مهاجر إلا بعد وصـــوله، وكل من علمت أنه يتهيؤ للهجرة ردته أو فتنته أو آذته، إلا ما كان من عمر بن الخطاب فإنه لما أراد الهجرة تقلّد سيفه وأخذ قوسه وأسهمه وحربته، ومضى إلى الكعبة وقريش بفنائها فطاف بالبيت سبعاً، ثم أتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على مجالســـهم مجلســـاً وقال: شـــاهت الوجوه!. . لا يرغم الله إلا هذه المعاطس!!. . من أراد أن تثكله أمه أو يُوتَم ولده أو ترمّل زوجه فليلقني وراء هذا الوادي، فإني مهاجر الآن!!. .

فما اتبعه أحد-إلاَّ بعض المستضعفين لحقوا به ليعلمهم-ومضى عمر لوجهه.

وكان عمر بن الخطاب شـاباً شـجاعاً ومن خلفه عشـيرة قوية "بني عدي"، أما سائر الصحابة فلم يستعلنوا بهجرتهم خوفاً من بطش قريش...

المؤمن عزيز...يستعلن بعزته حين لا يكون
الإعلان باباً للتهلكة.

وهكذا تتابعت طلائع المهاجرين بعد انقضاء موسم الحج، وخلال شهري المحرم وصفر لم يبق أحد من المسلمين إلا مسلم حصرته قريش أو فتنته، ورسول الله ﷺ وأبو بكر وعلي.

ولم يكن الأصحاب يعلمون أن الهجرة عامة ودائمة، وأن رسول الله إلى المدينة، وتأكدت أن رســـول الله مهاجر لا محالة، وأنّ تمكّنه في المدينة المنورة هو الضـــربة

القاصمة لدين الشرك والضلالة الذي ترتبط به مصالحهم ومكاسبهم، فكان أن أجمع سفهاء قريش على قتل النبي ﷺ. واجتمعت لذلك رؤوس قريش في دار الندوة، فتذاكروا في شأن النبي ﷺ ودعوته وهجرة أصحابه، واستقر رأيهم على أن يقتلوا النبي ﷺ قبل أن يهاجر إلى المدينة.

ولم يكن حسم هذا الأمر سهلاً ميسوراً، فآل محمد ﷺ من بني عبد مناف لهم قوة ومنعة في مكة، وهم غير تاركي دمه هدراً من غير ثأر.

ورأى بعضهم أن يثبتوا النبي على ناقة ويرسلوها في الصحراء حتى يهلكه الجوع والعطش وفي ذلك يقول الله عزَّ وجلَّ: { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}[1].

ثم اجتمع رأيهم على أن يرسلوا أربعين شاباً من مختلف بطون قريش، فيضربوا محمداً ضربة رجل واحد فيفترق دمه في القبائل، ولا يجد بنو عبد مناف من ينتصفون منه ليقتلهم فيقبلوا بالدية وما أيسرها عليهم.

وهكذا كان...وانصرفوا وقد أحكموا التدبير وحددوا لذلك أول ليلة من شهر ربيع الأول حيث لا قمر يفضحهم ولا عين تبصرهم. وفي ذلك اليوم أذن للنبي ﷺ أن يهاجر إلى المدينة وأخبره ربه بما كان من كيد المشركين...

---

[1] الأنفال: 29 .

هجرة النبي ﷺ:

كان الصحابة يستأذنون النبي ﷺ في هجرتهم فيأذن لهم إلا أبا بكر، فإنه لما استأذن قال له النبي ﷺ:

"على رسلك يا أبا بكر فإني أرجو أن يؤذن لي: فكان أبو بكر يرجو أن يكون صاحبه في هجرته...فجهز لذلك راحلتين وأحسن علفهما وجعل ينتظر الرحلة المباركة.

قالت عائشة: كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بكرة وإما عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهراني قومه، أتانا رسول الله ﷺ في وقت الظهيرة في ساعة كان لا يأتي فيها، فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ في هذه الساعة إلا لأمر حدث.

فلما دخل تأخّر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر فقال رسول الله ﷺ: أخرج عني من عندك، قال: يا رسول الله إنما هما ابنتاي وما ذاك فداك أبي وأمي، قال: إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله!قال: الصحبة، تقول عائشة: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي.

المؤمن الحق...عظيم الحب لمربيه في دموع عينيه شهادة ما هو في قلبه!!

ثم قال: يا نبيَّ الله، إن هاتين الراحلتين كنت أعددتهما لهذا، فخذ إحدى راحلتي هاتين، فقال رسول الله ﷺ: بالثمن، فجهزوا الراحلتين أحسن الجهاز، وصنعوا لهم طعاماً يتزودون به في سفرهم ووضعوه في وعاء فلم يجدوا ما يشدوا به الوعاء، فقطعت أسماء من نطاقها وشدّت به الوعاء، فسماها النبي ﷺ ذات النطاقين. .

الحكمة رتبة بين الإفراط والتفريط. .
والشجاعة رتبة بين الجبن والتهور. .
وشجاعة النبي ﷺ تظهر في ثباته على الحق الذي جاء به
فلا هو جبن حتى يتراجع عنه، ولا هو تهوَّر حتى يغفل أسباب الحكمة.

وعاد رسول الله ﷺ إلى بيته بعد أن واعد أبا بكر في غسق الليل وهو على علم بما بيتت قريش من المكر، فأمر علي بن أبي طالب أن يبيت على فراشه في الدار، ثم خرج في غفلة من القوم من خوفه في الدار، أو خرج من بابه والقوم نائمون محجوبون عنه-على خلاف بين المؤرخين-فسار حتى بلغ دار أبي بكر فآذنه بالرحيل فاحتمل ما هيأ من زاد، وخرج مع النبيﷺ ، وتركا الراحلتين عند أسماء ترعاهما حتى يحين أوان الرحيل.

أما النبي ﷺ وصاحبه فقد توجها إلى غار ثور وهو موضع إلى الجنوب من مكة، وذلك حكمة منه ﷺ إذ عليم أن قريشاً ستتبعه في كل الشعاب الموصلة إلى يثرب، فاختار أن يختفي في غار ثور بضع ليال ريثما تيأس قريش من تطلبه وتحصيله، وكذلك كان، فقد مضى النبي ﷺ وصاحبه إلى الغار وأمر عامر بن فهيرة

مولى أبي بكر أن يرعى الغنم على آثار أقدامهما حتى يضل سعي قريش في تتبّع أثرهما.

وأمر كذلك عبد الله بن أبي بكر أن يبيت مع المشركين في الليل ثم يأتيهما مع الصباح بخبر ما يبيتون.

وتربص المشركون ببيت النبي ﷺ حتى أوشك الفجر، ثم اقتحموا الدار فإذا فيها علي بن أبي طالب وثارت ثائرتهم وأدركوا أن النبي ﷺ قد هاجر، فانطلقوا إلى دار صاحبه أبي بكر. ففتحت لهم أسماء فسألوها عن أبيها فأخبرتهم بهجرته، فلطمها أبو جهل لطمة طرح قرطها عن وجهها.

ثم نودي في قريش وما حولها من أحياء العرب أن قريشاً تدفع في رأس محمد مائة رأس من الإبل...وخرج شباب مكة وسفهاؤها في طلب النبي ﷺ وصاحبه في شعاب مكة على طريق يثرب.

غير أن النبي ﷺ كان قد أحسن التدبير إذ اختار غار ثور فهو إلى الجنوب من مكة على طريق اليمن ولن يفطن أهل مكة إلى ذلك. .

غير أن قريشاً لما أهمها من خبر النبي ﷺ ما وفرت جهداً يمكنها من تحصيله إلا وسعت إليه، وكان قصاص الأثر من العرب يحسنون اقتصاص الأثر، ويميزون بين قدم الذكر وقدم الأنثى، فاستأجرت قريش أمهرهم وأحذقهم، فتتبعوا أثر النبي ﷺ وصاحبه من دار أبي بكر وما زالوا يجهدون ويضنون بالرغم مما كان يقوم به عامر بن فهيرة من السير بأغنامه على آثارهما، حتى أمكنهم بلوغ غار ثور، وقال لهم صاحب الأثر: قد انقطع هنا أثر محمد.

ولم يكن الغار بالذي يفطن إليه العابر، فقد كان مجرد تجويف صغير في الجبل لا يكاد يتسع إلا للرجل الواحد، وكان المشركون قد أنهكهم البحث فوصلوا إلى الغار بين مصـــدق ومكذب. وكان الصـــديق في الغار قد أفزعه وقع أقدامهم واختلاط أصواتهم وأيقن أنهم لا بد سيقتلون النبي ﷺ ، ففاضت عيناه بالدمع، واضطرب قلبه بالخفقان فقال له النبي ﷺ:

ما يبكيك يا أبا بكر؟قال: يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى موضع قدمه لرآنا!.

.

فقال له النبي ﷺ: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما!!. .

قال يا رســول الله إني لا أبكي لنفســي، ولو قتلت فإنما أنا رجل واحد، ولكن أبكي خشية عليك يا رسول الله، وإن قتلت أنت هلكت الأمة!.

المؤمن الحق...
يقيس حياته وموته بقدر ما يقدم للإسلام.

قال: يا أبا بكر!لا تحزن إن الله معنا.

وروى أحمد في مسـنده أن عنكبوتاً نسـج بباب الغار وباضـت حمامة بأمر الله، فصـرف الله بصـر المشـركين عن الغار بعد أن أوشـكوا أن يدخلوه، وفي ذلك يقول البوصيري:

ظنـوا الحمـام وظنّوا العنكبوت على خـير الـبريـة لم يـنســـج ولم يحـم
عنـايـة الله أغنـت عـن مضـــاعفـة مـن الـدروع وعـن عـال مـن الأطـم

ونزل تفصيل خبر الغار في سورة التوبة:

{إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[1].

استئناف رحلة الهجرة:

كان عبد الله بن أبي بكر يأتي النبي ﷺ وصاحبه في الغار بأخبار القوم وما يبيتون، حتى إذا اكتملت لهم ثلاث ليال في الغار وفتر حماس المشركين في تطلبهم، وأيقنت عامتهم أن النبي ﷺ وصل المدينة أو كاد، وانقلبوا إلى أعمالهم وأشغالهم، أرسل النبي ﷺ عبد الله بن أبي بكر إلى عبد الله بن أريقط وهو رجل من المشركين كانت له خبرة ودراية بمسالك الطرق والشعاب، فواعده على سيف البحر حيث لقي النبي ﷺ وصاحبه.

الحكمة وضع الأشياء في مواضعها والنبي ﷺ ما وجد حرجاً أن يستعين بمشرك في اختصاصه رغم أنه كان يستضيء بنور الله.

وانطلق الجمع في رحلة الهجرة المباركة، فلما مرّوا بحي مدلج في بعض الطريق بصر بهم رجل من الحي فأسرع إلى نادي قومه عند سراقة بن مالك بن جعشم وقال: إني قد رأيت رجالاً بالساحل أراها محمداً وأصحابه، فعرف سراقة بن مالك أنهم هم، لكنه أراد أن يستأثر بالجائزة لنفسه فقال له: إنك قد رأيت فلاناً وفلاناً، وإنا قد أرسلناهم يبتغون ضالة لهم، ثم لبث في المجلس برهة وقام وكب الفرس وسار

---

[1] التوبة: 40 .

إليهم، حتى دنا من رســـول الله ﷺ فعثرت به فرس فخر عنها، فقام وركبها حتى اقترب وسمع قراءة النبي ﷺ فســـاخت قوائم فرســـه في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فسـقط عنها ثم زجرها فنهضـت، فلم تكد تخرج يديها حتى خرج لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان!. . فعلم سراقة أنه ممنوع عن رسول الله ﷺ وداخله رعب عظيم!. . ووقع في نفسه أنه الحق!. . فناداهما بالأمان.

حينما تنقطع كل وسائل الأرض
يمدك الله بالعون من حيث لا تحتسب.

وعرض سـراقة عليهما الزاد فقالا: لا حاجة لنا ولكن عمَّ عنا الخبر فعاد سـراقة حارســـاً لرســـول الله ﷺ يصـــرف أنظار الناس عنه ويبعدهم عن الطريق الذي سلكوه[1].

---

(1) وهكذا فإنك ترى أن هجرة النبي ﷺ إلى المدينة لم تكن عملاً عشوائياً ارتجالياً، وإنما كانت خطة حكيمة متكاملة تمّت في غاية الحكمة والأناة.

فقد اشترك في رحلة الهجرة ست لجان–حسب مصطلحات عصرنا–

لجنة تموينية: وهي أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين حيث كانت تعد الطعام للمهاجرين العظيمين .

لجنة تمويهية: وهي سيدنا علي بن أبي طالب حيث نام في فراش النبي ﷺ .

لجنة إعلامية: وهي عبد الله بن أبي بكر حيث كان يأتيهما في الغار بأنباء وتحركات المشركين .

لجنة تضليلية: وهي عامر بن فهيرة حيث كان يمشي بغنمه ليمحو آثار أقدام أسماء وعبد الله .

لجنة تدليلية: وهي عبد الله بن أريقط، وقد بحث النبي ﷺ عن الخبرة والمهارة والاختصاص .

لجنة المرافقة: وهي أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي كان صاحبه في الغار والهجرة .

(1)ونشير هنا إلى أننا نحتفل بذكرى الهجرة في أول المحرم من كل عام، لأنه هو يوم بداية السنة القمرية التي جعلها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب تاريخاً رسمياً للدولة الإسلامية، كما إن هجرة الصحابة قد بدأت من المحرم عقب موسم الحج الذي كانت فيه بيعة العقبة الثانية .

استقبال رسول الله في المدينة

وبلغ المسلمين في يثرب خبرُ خروج النبي ﷺ فكانوا يرقبون قدومه ببالغ الشوق، وهذا كلامهم قبيل وصول النبي ﷺ:

"لما سمعنا بمخرج رسول الله ﷺ من مكة ورجونا قدومه كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله ﷺ ، فوالله ما نبرح تغلبنا الشمس على الظلال، فإذا لم نجد ظلاً رجعنا، حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذا لم يبق ظلّ دخلنا بيوتنا.

المؤمن الحق يشتاق إلى مربيه. . شوق الظمآن إلى الماء. . والأرض إلى السماء.

وقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا بيوتنا، فكان أول من رآه رجل من اليهود، وقد رأى ما كنا نصنع وأنا ننتظر قدوم رسول الله ﷺ علينا، فصرخ بأعلى صوته: يا أهل يثرب هذا جدُّكم-حظكم وسعدكم-قد جاء. فخرجنا إلى رسول الله ﷺ وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر رضي الله عنه في مثل سنّه، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك، وتزاحم عليه الناس وما يعرفونه من أبي بكر، فقام أبو بكر فأظلّه بردائه، فعرفناه عند ذلك، وكان استقباله في ثنيات الوداع وهو موضع بظاهر المدينة في يوم الاثنين[1] وبنو النجار ينشدون:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

الأدب مع المربي... سلوك يعلمك إياه: الحب والشوق.

وقبل قدومه يثرب نزل ﷺ في قباء عند كلثوم بن الهدم، وأقام عنده أياماً وأسس مسجد قباء أول مسجد في الإسلام، وهو الذي قال الله تعالى فيه:

{لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ}[2].

وقد شارك النبي ﷺ في بنائه بيديه الشريفتين، ثم توجه صباح الجمعة إلى يثرب فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف، فأسس مسجداً هناك.

الداعية الحق...يترك أثر دعوته في كل مكان حل فيه فهو كالغيث. . أينما وقع نفع.

[2] سورة التوبة: 108 .

أول خطبة جمعة في المدينة

وأقام أول جمعة له في الإســـلام، وخطب فيها بأول خطبة له، وقال فيها: "أما بعد:

"أيها الناس قدموا لأنفسكم، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رســولي فبلغك وآتيتك مالاً وأفضـلت عليك فما قدمت لنفسـك؟ فلينظرن يميناً وشمالاً فلا يرى شــيئاً، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن اســتطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشـق تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسـنة عشـر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.".

ذكر الآخرة لا يغيب عن بال المؤمن وسلوك حياته مرتبط بدرجة إيمانه.

نزول النبي في دار أبي أيوب

وتابع النبي ﷺ مسـيرة نحو يثرب، فدخلها والمسـلمون يحفّون به من كل جانب، كل يريد أن يأخذ بزمام ناقته لينزل عنده، فكان يجيبهم عليه الصـــلاة والســـلام: خلّوا ســـبيلها فإنها مأمورة، حتى بركت في مربد لغلامين يتيمين من بني النجار فاشــتراه النبي ﷺ منهما، وأمر ببناء المســجد فيه، ونزل على أبي أيوب الأنصــاري

لقرب داره من مكان المسجد، فاستقبله أبو أيوب أحسن استقبال وكرمه تكريم وآثره على نفسه وعياله.

يقول أبو أيوب رضي الله عنه:

لما نزل عليّ رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السفل وأنا وأم أيوب في العلو، فقلت له: يا نبي الله! بأبي أنت وأمي، إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي فأظهر أنت فكن في العلو، وننزل نحن فنكون في السفل. فقال: "يا أبا أيوب! إنّ أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في أسفل البيت" فكان رسول الله ﷺ في سفله وكنا فوقه في المسكن، فقد انكسرت جرة لنا فيها ماء فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا، ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفاً أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه.

وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث إليه، فإذا ردّ علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده، فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة.

آداب الحب. . يعرفها قلب المحب من غير ما درس أو كتاب.

حتى بعثنا ليلة إليه بعشائه وقد جعلنا له بصلاً وثوماً، فرده رسول الله ﷺ ولم أر ليده فيه أثراً فجئته فزعاً فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك، وكنت إذا رددته علينا تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك نبتغي بذلك البركة! قال: إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجي فأما أنتم فكلوه، فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد. .

وهكذا استقر المقام بالنبي ﷺ وائتلف الجمع المبارك في هذه الأرض الطيبة، وتمت رحلة الهجرة المباركة ثلاثة أيام في غار ثور، وأربعة أيام في طريق المدينة، وثلاثة أيام في حرة الوبرة في ديار بني ســـــالم بن عوف، وفي يوم 12ربيع الأول الموافق: 622/9/23ميلادية نزل رسول الله ﷺ عن ناقته قرب دار أبي أيوب، ووطئ أرض يثرب التي سميت منذ تلك اللحظة المدينة المنورة.

في تلك الأشهر العشرة من السنة الأولى للهجرة من بين هجرة النبي ﷺ في ربيع الأول إلى آخر السنة قام النبي عليه الصلاة والسلام بإرساء أسس مجتمع المدينة مجتمع قائم على شريعة القرآن.

وكانت أهم الأعمال في هذه الفترة:

1-بناء المسجد.

2-المؤاخاة.

3-دستور المدينة.

4-موادعة أهل الكتاب (اليهود). .

بناء المسجد:

كان أول عمل بدأ به النبي ﷺ في المدينة هو بناء المســجد، وذلك أن المســجد هو دار المسلمين الأولى، وفيه تلتقي الأرض بالسماء، وهو المدرسة التي ستصبح فيما بعد مناراً للعالمين.

واشترى النبي ﷺ مربداً لغلامين يتيمين من بني النجار-كما سبق ذكره-ولم يقبل ﷺ أن يأخذه منهما بلا ثمن، ثم بدأ أصــحاب رســول الله ﷺ في بناء المســجد في

نشـــاط اجتماعي منســـجم بالغ الروعة. وكان رســـول الله ﷺ يحمل الحجارة بيديه الشريفتين حتى يغبر صدره وهو يرتجز:

لا هـم إن الـعـيـش عـيـش الآخـرة	فـارحـم الأنصـــار والمـهـاجـرة

والأصحاب من حوله فرحون راغبون ينشدون:

لـئـن قـعـدنا والـنـبي يـعـمـل	فـذاك مـنـا الـعـمـل المضـــلـل

وجاءه بعض الأصـــحاب يريدون أن يحملوا عنه فقال لهم: لســـت أغنى عن الثواب منكم، ولكن خذ غيرها،

وكان الناس يحملون اللبنة الواحدة، وكان عمار بن ياسر يحمل اللبنتين معاً.

وخلال أشـهر قليلة بُني أعظم المسـاجد في التاريخ على غاية من البسـاطة في بنيانه ومرافقه، ولكنه كان المدرسة التي أفاضت نورها على العالمين.

أول ركائز الإسلام بناء المسجد. .
بناء جدرانه بالطين والحجارة، وعمران كيانه
بالذكر والعلم وقراءة القرآن.

وبنيت بعد ذلك مئات الألوف من المسـاجد في الأرض، ولكن لم يبن إلى اليوم مسجد واحد قدم معشار ما قدم ذلك المسجد من العطاء.

عقد المؤاخاة:

-هاجر مع النبي ﷺ إلى المدينة نحو مائة مهاجر، وكان غالب هؤلاء من الفقراء المستضعفين الذين لا يجدون ما ينفقون، حتى أولئك الذين كانت لهم أموال في مكة فإنهم تركوها، وهاجروا فراراً بدينهم إلى الله عز وجل.

وكان مصعب بن عمير ينظّم مبدئياً أمر استقبال هؤلاء المهاجرين في بيوت إخوانهم الأنصار، بانتظار قدوم النبي ﷺ حتى إذا وصل النبي ﷺ المدينة واستقر فيها بضع ليال كان يستشير فيها رؤوس الناس من المهاجرين والأنصار، خرج على الناس بعقد المؤاخاة.

ولا تحسب أن أمر المؤاخاة كان مسألة ارتجالية عشوائية بل إنّه ﷺ ما كان يختار للمهاجر أخاه من الأنصار إلاّ على بيّنة واستبصار، ويختار لصاحب الصنعة من المهاجرين صاحب مال من الأنصار، وذلك حتى استقامت أحوال الناس، وأوضح الأمثلة على ذلك ما رواه البخاري:

"أنّهم لما قدموا المدينة آخر رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال سعد لعبد الرحمن: إنّي أكثر الأنصار مالاً فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمّها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، .

أخوة الإيمان.
أوثق رباطاً من كل روابط الجسد والقربى.

فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سرقكم؟

فدلّوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلاّ ومعه فضلٌ من أقط وسمن ثم تابع الغدو. . ثم جاء يوماً، وبه أثر صفرة (زينة) فقال النبي ﷺ: "مهيم" (سؤال عن حاله) قال: تزوّجت.

قال: "كم سقت إليها؟" قال: نواة من ذهب!".

ثم احتفظ النبي ﷺ بطائفة من أصحابه الشباب غالبهم لا عيال لهم، فجعلهم في صفّة المسجد فكانوا يقومون بحوائج الناس العامّة ويطلبون العلم ويكتبون عن النبي ﷺ ، وكان النبي ﷺ يسوق إلى أهل الصفة طعامهم وحاجتهم مما يقدّمه الناس من هدايا وصدقات.

دستور المدينة:

وأمر رسول الله ﷺ بكتابة وثيقة في المدينة تكون كالقانون الناظم لشؤون النّاس وحياتهم، ومما جاء في هذه الصحيفة)".

"بسم الله الرَّحمن الرحيم. . هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم، إنّهم أمّةٌ واحدة من الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم (الرّبعة: الحال التي وجدهم عليها الإسلام) يتعاقلون بينهم (أي يعقل بعضهم عن بعض، والعقل: الدّية). وهم يفدون عانيهم (العاني الأسير) بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو عوف وبنو ساعدة وبنو الحارث وبنو جشم وبنو النجار وبنو عمرو وبنو النبيت وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وإنَّ المؤمنين لا يتركون مفرجاً (المفرج: المثقل بالدّين والكثير العيال).

بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل، وألا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه. وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم (الدسيعة: المدخل) أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليهم جميعاً، ولو كان ولد أحدهم. ولا يقتل مؤمن في كافر، ولا ينصر كافر على مسلم، وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وأن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن في قتالٍ في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم. وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً، وأن المؤمنين يبيء (أباءه به، قتله به، جعله بواء به) بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله. وأن المؤمنين المتقين على أحسن هديٍ وأقومه.

وأنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن، وأنه من اعتبط (إعتبطه: قتله بلا جناية توجب القتل) مؤمناً قتلاً عن بيّنة فإنه قود به (أي قصاص به) إلاّ أن يرضى ولي المقتول، وأنّ المؤمنين عليه كافة، ولا يحلّ لهم إلاّ قيام عليه، وأنّه لا يحل لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه، وأنّ من نصره أو آواه فإنّ عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل. وأنّكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإنّ مردَّة إلى الله عزّ وجلّ وإلى محمد ﷺ . ".

الإسلام دين نظام
روعته في انسجام عاطفة القلب الحرة مع
حاجة الواقع المقررة.

وهكذا فقد كانت هذه الوثيقة أول دستور سياسي داخلي في دولة المسلمين، وكانوا يرجعون إليها في تقرير الأحكام والوقائع، والحق أنّ الإيمان الذي عمرت به قلوبهم، كفاهم حتى لم يكونوا يحتاجون معه إلى نص مكتوب.

تحديد العلاقة باليهود:

وكما كتب النبي ﷺ كتاباً فيما بين المهاجرين والأنصـــار، كتب كتاباً آخر فيما بين المسـلمين واليهود، فقد كان اليهود في المدينة مجموعة قبائل ذات شـوكة ومال، وكان لهم أثرهم في التحرش والفساد بين أهل المدينة، فأراد النبي ﷺ أن يأمن شرهم وغدرهم، فكتب مع زعمائهم وثيقة موادعة ومما جاء فيها :

"إنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإنّ يهود بني عوف أمّة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلاَّ مَنْ ظلَم وأثم، وإن الله على أبر هذا وأوثقه. (أي إن الله يشهد على ما كتب في هذه الصحيفة .

وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم.

وإنّ بينهم النصـــر على من حارب أهل هذه الصـــحيفة، وإنّ بينهم النصـــح والنصـــيحة والبرّ دونَ الإثم، وإنّ بينهم النّصـــر على من دهم يثرب، لا يكســـب كاسـب إلاَّ على نفسـه، وإنّ الله على أصـدق ما في هذه الصـحيفة وأبرّه، وإنّه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم. وإنه مَنْ خَرجَ آمنٌ، وَمَنْ قعد آمنٌ إلاَّ من ظلم وأثم، وإنّ الله جار لمن بر واتقى ومحمّد رسول الله ﷺ" .

والحقيقة أنّ اليهود الذين اعتادوا الغدر حتى تأصّل في طبائعهم، لم يحفظوا حرمة هذه المعاهدة، بل أخذت القبائل تنقضـــها واحدة، واحدة، غير أنّ النبي ﷺ لم ينقض عهد أحدٍ منهم، حتى يكونوا هم الذين ينقضون. .

بدء الآذان :

شـــرع الأذان في الســـنة الأولى للهجرة، وفي ذلك إشـــارةٌ إلأى موقع العبادة في الإسلام؛حتى أنّه ما مرّ على دولةِ الإسلام يوم واحد بغير صلاة.

ما مر على دولة الإسلام يوم واحد بغير
صلاة القيم الروحية قبل الحاجات المادية

وكان من خبر الأذان أن الصحابة كانوا يحضرون الصلاة لمواقيتها بغير دعوة، فهمَّ رسول الله ﷺ حين قدمها أن يجعل بوقاً كبوق يهود الذي يهرعون به لصلاتهم، ثم كرهه. ثم أمر بالناقوس فنحت ليضربَ به للمسلمين للصلاة. فبينما هم على ذلك إذ رأى عبد الله بن زيدٍ بن ثعلبة أخو بَلحارث بن الخزرج النّداء، فأتى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله، إنه طَاف بي هذه الليلة طائف. مر بي رجل عليه ثوبان أخضران، يحمل ناقوساً في يده فقلت له: يا عبد الله، أتبيع هذا الناقوس؟قال: وما تصنع به؟قلت: ندعو به إلى الصلاة. فال: أفلا أدلك على خيرٍ من ذلك؟قلت: وما هو؟قال: تقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله. حي على الصلاة، حي على الصلاة. حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله. .

الإسلام في أصوله و فروعه. .
تجديد لا تقليد. . واتباع لا ابتداع .

فلما أُخبر بها رسول الله ﷺ قال: إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلالٍ فألقها عليه فليؤذن بها، فإنّه أندى صوتاً منك. فلما أذّن بها بلال، سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته، فخرج إلى رسول الله ﷺ وهو يجرّ رداءه، وهو يقول: يا نبيّ الله والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى. فقال رسول الله ﷺ:فلله الحمد على ذلك .

ومنذ اللحظة التي أقرّ فيها النبي ﷺ الأذان وحتى قيام السـاعة، تؤذن الدّنيا كلَّ يوم خمس مرّات، واليوم لا تمرّ على الدّنيا سـاعةٌ من ليلٍ أو نهارٍ إلاّ وفيها أُلوف الهاتفين: الله أكبر .

محالفة القبائل:

واجتهد رسـول الله ﷺ أن يحالف القبائل من حول المدينة، ليضـمن للجماعة المسلمة سلاماً يتيح للرّسالة العظيمة أن تنتشر بلسان الدعوة والموعظة الحسنة .

وهكذا فقد بدأت حركة التربية والتعليم في المدينة، واجتهد المهاجرون في تعليم إخوانهم الأنصـار شـرائع الدين وعقائده، إضـافةً إلى مجالس النبيّ ﷺ عشـيّة غالب الأيام. .

كانت ليالي الصحابة في المدينة المنورة
مواسم علم وتعليم
لا ليالي أسمار وأشعار .

ولكنّ قريشـاً لم تتركهم كما تركوها، وسـاءها أن يجد جماعةُ المسـتضـعفين من الصحابة أرضاً يأمنون فيها على دينهم وأنفسهم.

فعمد كفّار مكة إلى كلّ ما تركه المسـلمون فيها من عقارٍ ومتاع وأثاث، فباعوه جملةً وأخذوا يتجرون به بين الحجاز والشام وكأنما ورثوه عن آبائهم. .

ثم راحت قريش تؤلب القبائل حول المدينة على حرب النبيّ ﷺ ونقض عهده، وتعدهم بالمؤازرة والنصرة، حتى صار واضحاً أنّ الحرب لا بدّ آتية، وأنّ قريشاً تنفخ في كيرها وتتربص بالمسلمين الدوائر .

وقد أكّد ذلك حصـــول بعض الزيارات المريبة بين قريش ويهود، كما أن بعض المشـركين من أهل المدينة رفضـوا الدخول في الإسـلام، والتحقوا بقريش سـاخطين على الإسلام والمسلمين، وأشهر هؤلاء: أبو عامر الراهب .

الإذن بالقتال:

-وصار أصحاب رسول الله ﷺ يستأذنون النبي ﷺ في الجهاد لردّ عدوان قريش المحتمل، والنبيّ ﷺ يقول: لم نؤمر بذلك .

ولما تكشـفت نوايا قريش وصـارت قوافلها التجارية تمر قرب المدينة المنّورة بأموال المهاجرين المسلمين، والأصحاب لا يمسّونها بسوء، نزل قول الله عزَّ وجلَّ :

{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ}[1] .

القتال في الإسلام لرد العدوان لا لشن العدوان!!. .

وهكذا نرى أنّ مشـروعية القتال في الإسـلام لم تأت لمدّ البغي والتسـلط على النّاس، وإنما جاءت ليدافع المسـلمون عن دينهم وأنفسـهم، ويسـتردّوا بعضـاً من

[1] سورة الحج: 39 .

حقوقهم، ويضــمنوا حريتهم فيما نذروا أنفســهم له من إخراج النّاس من الظلمات إلى النّور. .

السَّنَةُ الثَّانِيَةُ لِلهِجْرَةِ "14 بَعْدَ البَعْثَةِ"

أهم حوادث السنة الثانية:

1-الإذن بالجهاد.

2-تحويل القبلة إلى البيت الحرام.

3-غزوات وسرايا بقصد استرداد أموال المهاجرين.

4-سرايا إلى القبائل المجاورة بقصد عرض الإسلام.

5-وقعة بدر الكبرى.

6-تشريع الصيام.

7-غزوة بني قينقاع.

8-إرسال الدعاة إلى القبائل المجاورة.

غزوات وسرايا للدفاع عن المدينة

مضى على رسول الله ﷺ عشرة من السّنة الأولى لهجرته، استطاع فيها أن يَرسي دعائم دولة الإسلام الجديدة، فبنى المسجد وعقد المؤاخاة، ونظّم إقامة اليهود في المدينة، وأُذِنَ فيها لرسول الله ﷺ بالقتال دفاعاً عن الشريعة، وفيها عقد مع القبائل المجاورة للمدينة معاهدات حسن جوار.

وفي هذه السنة-الثانية-فُرِضَ الصيام على المسلمين، وهو تمهيد وإعداد للنفوس لتحمل الشدائد والمصاعب التي لا بدّ أن يتحملها كل سالك في طريق الحق.

وفيها خرج رسول الله ﷺ في غزوة "ودَّان وبُواط والعشيرة وبدر الأولى، وجميعها لم يحصل فيها حرب ولا قتال.

غزوة ودان:

ففي غزوة ودان خرج رسول الله ﷺ في شهر صفر مع جمع من أصحابه، يريد قافلة لقريش فيها من أموال المهاجرين فلم يدركها، فصالح بني ضمرة وأمن على المدينة من جانبهم.

فهذه أول غزوة غزاها النبيّ ﷺ ولم يحصل فيها قتال.

غزوة بواط:

وفي غزوة بواط خرج رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول ومعه مائتان من أصحابه لملاقاة عير قريش، وكان كفّار مكّة قد باعوا واقتسموا متاع المهاجرين، وأرسلوا به متاجرين إلى الشام فخرج رسول الله ﷺ يستّرد حق أصحابه المغضوب، فلم يلق أحداً ورجع ولم يحصل فيها قتال.

غزوة العشيرة:

وفي غزوة "العُشَيْرَة" خرج ﷺ في جمادى الأولى في مائة وخمسين من أصحابه يريد عير قريش أيضاً، فلم يدركها ولم يحصل فيها قتال، وصالح النبيّ ﷺ فيها بني مُدلج على أن ينصرهم وينصروه، وتقع ذات العشيرة قريباً من ينبع.

> غزوات النبي ﷺ كانت ذات أغراض متنوعة مفيدة. . إما لمحالفة قبائل، وإما لنشر الدعوة، وإما لرد عدوان وفي كل الأحوال كانت تدريباً على تحمل الشدائد.

غزوة بدر الأولى:

وأما غزوة بدر الأولى فكانت في جمادى الأولى لرد العدوان الذي قام به كرز بن جابر الفهري، وهو قاطع طريق أغار بعصابته على المدينة فسرق ونهب، وهرب كرز ولم يحصل قتال.

سرايا عبيدة وحمزة وسعد:

وكان النبي ﷺ قد أرسل عدة سرايا[1] كسرية عبيدة بن الحارث لقريش ولم تلق قتالاً، وكانت هذه أوّل راية عقدها النبي ﷺ لأحد المسلمين.

وأرسل أيضاً سرية حمزة بن عبد المطلب، لتهديد طريق تجارة قريش، ولم تلق قتالاً، وسرية سعد بن أبي وقاص للغرض نفسه، فهربت قافلة قريش قبل أن يصل إليها، ولم يلق قتالاً.

سرية عبد الله بن جحش:

-وأرسل أيضاً سرية بقيادة عبد الله بن جحش، وأرسل معه النبي ﷺ كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، فتحه فإذا فيه أمر النبي ﷺ له، أن يتجه إلى منطقة نخلة (وطريقها يختلف عن الطريق الذي سلكه) ولكنّه أمره بذلك للتمويه على الأعداء، ولاختباره واختبار أصحابه، وقد طلب منه النبي ﷺ أن لا يجبر أحداً من أصحابه، فلّما أخبرهم عبد الله ساروا جميعاً معه، وهاجموا قافلة لقريش في آخر يوم من الشهر الحرام رجب، وقتلوا وأسروا منهم، فتكلّم المشركون في ذلك، وجعلوا يقولون: إنّ المسلمين يقاتلون في الأشهر الحرم ولا يرعون لها حرمة، وأكثر المسلمون في لوم عبد الله إلى أن أنزل الله براءته بقوله:

---

[1] الفرق بين السريّة والغزوة، أن الغزوة كان النبي ﷺ يخرج فيها بنفسه، بينما السريّة لا يخرج فيها .

{يَسْـأَلُونَكَ عَنِ الشَّـهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَـدٌّ عَنْ سَـبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِـهِ وَالْمَسْـجِـدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِـهِ مِنْـهُ أَكْبَرُ عِنْـدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَـةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ}[2].

فبين لهم الله تعالى أن عملهم هذا ردّ على أعمال المشـركين واعتداءاتهم، وأن ما فعله المشركون أعظم وأشد فتنة.

تحويل القبْلّة:

-وفي هذه السـنة تحولت القبلة إلى المسـجد الحرام. وكان النبي ﷺ في مكة، قد أمر بالتوجه إلى بيت المقدس في صـلاته، ليظهر تميّز الإسـلام عن عقائد الوثنية الأولى التي كانت تتوجه إلى البيت الحرام في مكة.

الكعبة قبلة الأجساد والله قبلة القلوب
فأينما تولوا فثم وجه الله.

وكان رسـول الله ﷺ يرغب أن تكون قبلته إلى الكعبة المشـرفة في البلد الحرام، ولذلك كان حين يصـلي في مكة، يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، فكأنه بذلك يستقبل القبلتين جميعاً، ولم يعد ذلك ممكناً لما هاجر إلى المدينة المنورة، فصار النبي ﷺ يقلّب وجهه في السماء، ويسأل الله عز وجلّ أن يأذن له بالتوجه إلى البيت الحرام، فأنزل الله عزّ وجلّ:

---

[2] سورة البقرة: 217 .

{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}[1].

غزوة بدر الكبرى:

-وفي رمضان من هذه السنة كانت غزوة بدر الكبرى، وسببها أن رسول الله ﷺ بلغه أن قافلة عظيمة لقريش، في طريقها إلى مكة من الشام، وكانت بضائع هذه القافلة، قد اشتراها كفّار مكة بالمتاع الذي تركه المسلمون بمكة قبل هجرتهم، فخرج رسول الله ﷺ مع أصحابه وهم المالكون الشرعيون لهذه الأموال، بهدف استرجاعها من جيب غاضبيها إلى كف أصحابها. . وكيف يتركونها تمرّ أمام أعينهم يتاجر بها أعداؤهم، ويحاربونهم بها، والمسلمون في أسوأ حال من المعيشة!.

لقد كان المهاجرون في المدينة في ضنك من العيش، رغم أن بذله لهم إخوانهم الأنصار، إلاّ أن أنفسهم كانت تعف عن أموالهم، وقوانين الحرب تسمح لهم أن يأخذوا أموال أعدائهم، فكيف إذا كانت أموالهم عند أعدائهم؟. لذلك فقد قال النبي ﷺ لأصحابه: هذه عير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعلّ الله أن يغنمكموها، ولم يلزم أحداً من أصحابه بالخروج، ولم يكترث بها البعض، ورغبوا عن متاعها. .

القائد الحكيم...

[1] سورة البقرة: 143 .

يقدر دور الاقتصاد في بناء المجتمع.

وخرج النبي ﷺ سريعاً لإدراك العير، وكان ذلك في الثاني عشر من رمضان؛فخرج معه ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار، ومعهم سبعون بعيراً. .

وعلم أبو سفيان بخروجهم، فأرسل ضمضم بن عمرو الغفاري يستنهض قريشاً لنصرته، فخرجت قريش في تسعمائةٍ وخمسين مقاتلاً واستطاع أبو سفيان أن ينجو بالقافلة، وأرسل إلى قريش يطمئنها، ويطلب رجوع جيشهم إلى مكة، لكنّ أبا جهل أصرّ على المضيّ وقال: والله لا نرجع حتى نرد بدراً، فنقيم عليه ثلاثاً، فننحر (الجزر: الإبل) ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها، فامضوا...

وتفاقم الخلاف بين المشركين، فريق يؤكد كلام أبي جهل، وفريق يعارضه، حتى خضعوا لقوله، اتقاءً لشرّه وسفهه وفحش كلامه.

إنما أهلك قريشاً وغيرها من الهالكين طاعة الفجرة وتسويد السفهاء.

وعلم النبي ﷺ بخروج المشركين، وعلم أن عدوهم قريب من الألف، فجمع أصحابه يستشيرهم، ويتعرف على عزيمتهم، فلم يرغب بعضهم بالقتال، لأنهم خرجوا على غير استعداد له، فاستعدادهم كان للقاء قافلة، لا للقاء جيش. .

-والتفت رسول الله ﷺ إلى صحبه الكرام، وفيهم (84) رجلاً من المهاجرين، و(229) رجلاً من الأنصار، وقال: أشيروا عليَّ أيّها النّاس.

فقام المقداد بن عمرو من المهاجرين فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله به، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربّك

فقاتلا، إنّا ههنا قاعدون!. . ولكن اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق، لو ســـرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه!!. .

المؤمن الحق حين يصح لديه اليقين. . تصير حياته وقفاً على خدمة الرسالة.

فاستبشر النبي ﷺ ودعا له بخير ثم قال: أشيروا عليَّ أيّها الناس، وكان يريد بذلك الأنصـــار، لأنّه إنّما بايعهم أن يحموه في ديارهم، والبيعة لا تلزمهم بنصـــرته خارج ديارهم، فقال سعد بن معاذ: لعلك تريدنا يا رسول الله؟، قال: أجل، فقال سعد: إنّك عســـى أن تكون خرجت لأمرٍ وأحدث الله لك غيره، ما جئت به هو الحق، وأعطيناك عهودنا على الســـمع والطاعة، ولعلّك يا رســـول الله تخشـــى ألا تكون الأنصـــار ترى عليها ألاّ ينصـــروك إلاّ في ديارهم، وإنّي أقول عن الأنصـــار وأجيب عنهم، فاظعن يا رسول الله حيث شئت، وصل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت وسالم من شئت، وعاد من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذت من أموالنا أحبّ إلينا ممّا تركت، وما أمرت فينا من أمر، فأمرنا تبعٌ لأمرك، فامض يا رسـول الله لما أردت، فنحن معك، والذي بعثك بالحق، لو اسـتعرضـت بنا هذا البحر فخضـــته لخضـــناه معك، ما تخلف منا رجل واحد. وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غداً، إنّا لصـبر في الحرب، صـدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فسر على بركة الله.

المؤمن الحق. لا يبالي حياته وماله في سبيل الله

إذا سلمت الرسالة فكل عذاب يهون.

فَسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ وتهلل وجهه وقال:

"سـيروا على بركة الله، وابشـروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصـارع القوم" وفي ذلك أنزل الله عز وجل: { إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِـلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَـلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّـدُورِ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِـيَ اللَّهُ أَمْرًا كَـانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ يَا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَـةً فَـاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُـولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَـلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}[1].

ثم مضـى رسـول الله ﷺ بالمسـلمين حتى نزلوا قريباً من ماء بدر، فقال له الحباب بن المنذر: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمنزل أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟!فقال رسـول الله ﷺ: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. فقال الحباب: يا رسـول الله فإنّ هذا ليس بمنزل، فانهض بالنّاس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نفسـد ما وراءه ثم نبني عليه حوضـاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشـرب ولا يشـربون، فقال له النبي ﷺ: لقد أشـرت بالرأي، وعمل بمشورته. .

الشورى منهج إسلامي أصيل ونجاح المجتمع الإسلامي مرهون بصحة شواره.

---

[1] سورة الأنفال: 42-47 .

ثم قام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله ألاّ نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعدّ عندك ركائبنا، ثم نلقى عدوّنا، فإن أعزّنا الله وأظهرنا على عدوّنا كان ذلك ما أحببناه، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك، فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام يا رسول الله، ما نحن بأشد لك حباً منهم ولو ظنّوا أنك تلقى حرباً ما تخلَّفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك.

حياة القائد حياة الأمة.
وحب القائد ورعاية سلامته. . رعاية
للمجتمع الإسلامي.

فدعا له النبي ﷺ ، وبنى العريش[1] ليكون مركزاً لقيادة الجيش.

-وبدأ النبي ﷺ بتسوية الجيش، فمر على الصفوف يعدّلها وفي يده سهم، فمرّ بسواد بن غزية وهو خارج الصف، فوكزه بالسهم في بطنه وقال: استو يا سواد، فقال: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني (دعني أقتص منك) فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال: استقد، فاعتنقه سواد وقبّل بطنه، فقال له رسول الله ﷺ: ما حملك على هذا يا سواد؟. فقال: يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له بخير. .

آداب الحب لا يتلقاها المحب عن كتاب أو خطيب. .
بل هي سلوك يفيض به القلب على الجوارح.

وأخذ النبي ﷺ يحض أصحابه على القتال، فقال: والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، إلاّ أدخله الله الجنة. .

---

[1] العريش: كوخ خشبي مرتفع يغطى بجريد النخل .

فنظر عمير بن الحمام وفي يده تمراتٍ يريد أكلهنَّ وقال: بخٍ بخ، فما بيني وبين أن أدخل الجنة، إلا أن يقتلني هؤلاء!. .

ثم رمى التمرات من يده وقال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، ثمَّ اندفع إلى المعركة وهو يقول:

ركضاً إلى الله بغير زاد إلاّ التقى وعمل المعاد
والصّبر في الله على الجهاد وكل زادٍ عرضة النفاد
غير التقى والبرّ والرّشاد

المؤمن يلقى الموت مشتاقاً راضياً
"طال شوق الأبرار إلي وأنا أشد إليهم شوقاً".

وقاتل عمير المشركين حتى قتل. .

واندفع من صفوف المشركين الأسود بن عبد الأسد إلى حوض الماء الذي أقامه المسلمون وهو يقول: أعاهد الله لأشربنَّ من حوضهم، أو لأهدمنّه أو لأموتنَّ من دونه.

فتلقاه حمزة بن عبد المطلب بضربة قطع بها رجله فوقع على الأرض، واستمر يزحف حتى وصل إلى الحوض، فلحقه حمزة وقتله في الحوض. .

وحميت المعركة، واشتدَّ القتال، وأمدَّ الله المؤمنين بروح من عنده، فانطلقوا يخوضون في ساحات القتال، يغمسون أيديهم في أعدائهم دون خوف، وكيف لا وقد وعدهم الله إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة والجنة.

فتضاءلت في أعين المؤمنين كثرة المشركين، والنبي ﷺ يشارك في القتال، ويحرّض المؤمنين ويلتجئ بقلبه إلى الله فيقول:

"اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الأرض، اللهم نصرك الذي وعدتني، اللهم أرعب قلوبهم وزلزل أقدامهم"...

ليست حاجة الأمة لمن يقتل في سبيل الله...
أعظم من حاجتها لمن يعيش في سبيل الله الأمة
المسلمة لا تضنُّ بالشهداء...
لكن حاجة الأمة للدعاة أعظم من حاجتها للشهداء.

ثم نادى النبي ﷺ في جيش المسلمين "شدّوا" سيهزم الجمع ويولُّون الدّبر.

فحمل المسلمون حملةً على المشركين، وأمدّهم الله بمدد من عنده، وذلك قول الله عزّ وجلّ:

{إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}[1].

-وكان ابتداء المعركة في صباح يوم الجمعة، السابع عشر من رمضان، وما جاء عصر ذلك اليوم إلاّ والمشركون منهزمون على أعقابهم، بين قتيل وأسير وفارٍ بنفسه، وانجلت المعركة بين سبعين أسيراً من المشركين وسبعين قتيلاً فيهم رؤوس الكفر وزعماؤهم، كأبي جهل، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد

[1] سورة آل عمران: 124-125-126 .

بن عتبة، وعقبة بن أبي معيط، ثم أمر الرسول ﷺ بقتلى المشركين، فطرحوا في القليب، ثم وقف عليهم يناديهم بأسمائهم: يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان. . أيسرّكم أنّكم أطعتم الله ورسوله؟، هل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً؟. . فإني قد وجدت ما وعدني ربّي حقاً. فقال له أصحابه: يا رسول الله أتكلّم قوماً موتى؟فقال لهم: لقد علموا أن ما وعد ربّهم حقاً.

وقد استشهد في هذه الغزوة أربعة عشر رجلاً من الصحابة، ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين.

ثم ارتحل النبي ﷺ صبيحة اليوم التالي عائداً إلى المدينة، ومعه أسرى المشركين والغنائم والأموال التي غنمها المسلمون منهم، فوزّعها النبي ﷺ على أصحابه، وخصَّ بالقسمة طائفة من الصحابة لم يشهدوا القتال، بعد أن رضي أعذارهم.

وأنزل الله عزّ وجلّ: { وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[2].

أمر الأسرى:

-انجلت المعركة عن سبعين أسيراً من المشركين، ولم يكن قد نزل وحيٌ في تفصيل شأن الأسرى بعد، وكان النبي ﷺ يحب أن يسمع رأي أصحابه فيما هو من أمور المشورة، فجمع رؤوس المهاجرين والأنصار واستشارهم في أمر الأسرى.

"عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: ما تقول في هؤلاء الأسرى؟فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعلّ الله أن يتوب عليهم. وقال عمر: يا رسول الله أخرجوك

---

[2] سورة آل عمران: 123 .

وكذّبوك، قربّهم فاضرب أعناقهم. وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرم عليهم ناراً. فقال العباس: قطعت رحمك!!فدخل رسول الله ﷺ ولم يرد عليهم شيئاً. فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس: يأخذ بقول عمر. وقال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة. فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: إنَّ الله ليلين قلوب رجال فيه أن تكون ألين من اللبن، وإنَّ الله ليشدّ قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإنَّ مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام: قال من تبعني فإنه مني، ومن عصاني فإنّك غفور رحيم، ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال: إن تعذّبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، وإنّ مثلك يا عمر كمثل نوح: قال ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديَّاراً، وإنّ مثلك يا عمر كمثل موسى قال: ربّ اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم: ثم التفت إلى الأسرى وقال لهم: أنتم عالة فلا ينفلتنّ أحدٌ إلا بفداء أو ضربة عنق، قال عبد الله فقلت يا رسول الله: إلاّ سهيل بن بيضاء فإنيّ قد سمعته يذكر الإسلام. قال: فسكت، قال: فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليَّ حجارةٌ من السماء من ذلك اليوم حتى قال: إلاّ سهيل بن بيضاء قال: فأنزل الله عزَّ وجلّ:

{مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[1].

القائد الحكيم يفيد من رأي كل مستشاريه...

[1] مسند أحمد بن حنبل: ج (1)صلى الله علية وسلم: 383 .

ثم يقرر مصلحة الأمة.

وبذلك فقد كان رأي النبي ﷺ رأياً وسطاً بين رأي أصحابه، فأقر العفو ولكن شرط الفداء، وجاء المشركون من قريش إلى النبي ﷺ في فداء أساراهم وكان غالب ما يدفعون للفداء من أموال المهاجرين التي خلّفوها في المدينة فسرقتها قريش!. .

ثم نودي أنّ من لم يجد مالاً من أسرى المشركين، ففداؤه أن يعلّم عشرة من أطفال المسلمين القراءة والكتابة، وكان القرّاء والكتّاب في مكة أكثر منهم في المدينة، وذلك بسبب الأهمية التاريخية لمكّة[2].

العلم في الإسلام شريف كلُّه
وعلى الأمة المسلمة أن تحصل العلم في
مظانّه وترصد الكفاية لنشره وتعميمه.

ولما تمَّ إطلاق الأسرى نزل القرآن العظيم بالآيات السابقة مؤيداً رأي عمر فيما رآه من قتل الأسرى.

وهكذا "انتهت غزوة بدر، بنصر ساحقٍ للمسلمين وصارت عيداً يذكر النّاس فيه نعمة الله وفضله، ولكنَّ هذا النصر لم يكن عبثاً بل كان ثمرة الجهاد والصبر والطاعة والاستقامة، وبمقارنةٍ بسيطة تفهم أن أهمَّ أسباب نصر المسلمين:

---

[2] المتأمل في هذه الحادثة، يرى فيها مظهراً من مظاهر السّلام في الإسلام، فالله سبحانه وتعالى لم ينزّل العقاب قبل الفداء، وقد كان سبحانه وتعالى قادراً على ذلك، ولكن أخّره إلى ما بعد الفداء، فكانت الآية بعدئذ ترهيباً محضاً، وبه تعلم أنَّ الإسلام ما جاء ليقتل الكفّار، ولكن جاء ليقتل الكفر الذي في قلوبهم .

والآية أيضاً من أظهر الأدلة على أن القرآن العظيم ليس من عند النبي ﷺ ، وإلا لما عاتب نفسه هذا العتاب الشديد .

1-أنَّ المسلمين يقاتلون بحماس بالغ دفاعاً عن عقيدة حق واضحة محكمة، والمشركون يقاتلون دفاعاً عن حميّة الجاهليّة وشرف الأصنام التي يعملون أنّها لا تضرّ ولا تنفع.

2-المسلمون كانت لهم قيادة واحدة حكيمة مطاعة، أما المشركون فلم تكن لهم قيادة واحدة، ولا خطة محكمة. .

3-كان موقع الجيش الإسلامي عند ماء بدر سبباً في وهن قوة المشركين الذين أربكهم فقدان الماء، وهي الخطة التي أشار إليها الحباب بن المنذر.

4-لم يخرج المشركون بنفسية المحارب المكافئ بل استهانوا بعدد المسلمين وعدتهم وبدؤوا قتالهم كالمستهزئ العابث وكانت معهم المغنيات والقيان فأدركتهم صدمة المفاجأة مما أدى إلى اختلال قواهم.

غزوةُ بني قَيْنُقَاع:

كان رسول الله ﷺ قد عاهد اليهود منذ بداية عهده في المدينة، أن لهم حق المواطنة في المدينة من غير أن يؤذوا أحداً من المسلمين أو يتآمروا مع أعدائهم، ولكنَّ اليهود كما يعرف من تاريخهم، تشرّبوا الغدر والخيانة ونقض العهود والمواثيق، فظهرت بوادر المكر والغدر وتوّعدوا رسول الله بعد النصر في معركة بدر فقالوا له: "يا محمد لا يغّرنّك أنَّك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربتنا لتعلمن أنا نحن النّاس".

وفي شـهر شـوال حاول صـائغ يهودي الاعتداء على شـرف امرأة مسـلمة، فاستجارت بالمسلمين، فثار رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، فقامت يهود فقتلت ذلك المسـلم الذي انتصـر لامرأة مظلومة، فخرج رسـول الله ﷺ إليهم فحاصرهم خمس عشرة ليلة حتى نزلوا على حكمهﷺ.

وجاء عبد الله بن أبي بن سـلول، وكان من زعماء الخزرج، وقد أظهر الإسـلام مكراً وخبثاً لما خشـي ضـياع زعامته وفوات مصـالحه، وكان عبد الله حليفاً لبني قينقاع، فجاء النبي ﷺ يستشفع لهم، ورأى النبي ﷺ أن يقبل شفاعته بهم حقناً للدماء، ورجاء أن يحسن إسلام عبد الله بن أبي، وتستقيم أحواله.

الصلح خير. . والإسلام دين التسامح. . وأن تعفو أقرب للتقوى.

وحكم النبي ﷺ بإجلائهم عن المدينة، فخرجوا منها وتوجهوا إلى خبير المعقل الأساسي لليهود في الجزيرة العربية.

ولم يحصل في هذه الغزوة أيضاً أي قتال.

السَّنَةُ الثَّالِثَةُ لِلهِجْرَةِ "15بَعْدَ البَعْثَةِ"

أهم حوادث السنة الثالثة:

1-ظهور النفاق في مجتمع المدينة.

2-قتل غراب الحرب اليهودي الماكر: كعب بن الأرشف.

3-خروج قريش للانتقام من المسلمين.

4-وقعة أحد.

5-استشهاد حمزة ومصعب وسبعين من الصحابة في أحد.

6-غزوة حمراء الأسد.

مضت السنة الثانية وفيها تحددت هوية الجماعة المسلمة، والتزموا قبليهم في مكة إلى المسجد الحرام، وبدأ تشريع الأحكام، ففرض صيام رمضان، وصدقة الفطر، وشرّعت صلاة العيدين، غير أن الحدث الأبرز فيها كان "غزوة بدر"فقد كانت الحدِّ الفاصل بين الحق والباطل، وتسمع العرب بأنَّ قريشاً وهي أعزّ حيّ في العرب قد انثلمت رايتها، وكسرت شوكتها أمام المسلمين، ولم يكن هذا ليرضي غرور قريش وكبرياءها، وعادت الثكالى والأرامل من نساء قريش تبكي قتلاها السبعين، بقصائد الرثاء المثيرة، التي كتبها شعراء قريش في قتلى بدر، وأخذت قريش تعد العدة لمعركة جديدة. وكان رسول الله ﷺ يسعى جاهداً لتجنّب اللقاء مع قريش، وسفك الدّماء.

أمة الدعوة...أمة مستهدفة دوماً بمكائد الطاغوت
ولا يعني انتصارها يوماً راحتها دوماً!. .

وكانت غارته على بني قينقاع من أجل أن يدرأ ذلك، إذ بلغه أنّهم يتحالفون مع قريش لحرب النبي عليه الصلاة والسلام، وظهر مكرهم وغدرهم عند اعتدائهم على المرأة المسلمة.

قتل كعب بن الأشرف:

كان كعب بن الأشـــرف من كبار أثرياء يهود، وقد حضـــر إلى المدينة مرابياً مستغلاً ماكراً، ولم يدخل مع النبي ﷺ في أيّ حلف، ولم يخف كذلك بغضه وحربه على الإسلام، بل إنه مضى إلى قريش في مكّة، يشجعها على غزو المدينة، ويعدها بالنصرة والمدد.

ولم يكن رسول الله بالذي يغفل عن مثل هذا المكر، فيفجأهُ العدو في عقر داره، بل أرسل ﷺ إلى كعب بن الأشرف محمد بن مسلمة وأبا نائلة وهو أخو كعب من الرضــاع، فقتلاه في داره التي كان يحيك فيها المؤامرات؛ وبموت هذا الغادر الفاجر، انتهى خطر عظيم، كان يهدد المدينة بحرب كانت وشيكة الوقوع. .

قتل الأفعى الغادرة
قصاص للملدوغ ورحمة بالمعافى.

ولم يبق في المدينة بعد جلاء بني قينقاع ومقتل كعب إلاّ مسـلم متبع، أو يهوديٌّ معاهد.

سَرِيَّةُ القِرَدَة:

قامت قريش بتحويل طريق تجارتها عن جهة المدينة، وصـــارت القوافل تمرّ عبر طريق العراق في خفية وجبن، كما يفعل أي سارق بالمتاع المسروق، ولم يغفل رسول الله ﷺ عن ذلك، فأرســل زيد بن حارثة في مائة فارس، فاســتولوا على قافلةٍ لهم، وهرب أبو سفيان وصفوان بن أمية، وكانت هذه أهم قافلة يستولي عليها المسلمون حتى ذلك الوقت، وسميت هذه السريّة سرية القردة.

غزوة أحد:

مضــى عام كامل بعد بدر، وقريش لا يغمض لها جفن، ولا ترقد لها عين، وهي تعدّ العدة للانتقام من النبي ﷺ. .

وفي أول شـوال من السـنة الثالثة خرجت قريش بقيادة أبي سـفيان بن حرب، في ثلاثة آلاف مقاتل من قريش وحلفائها من الأحابيش، فكتب عمّ النبي ﷺ العّباس بن عبد المطلب إلى النبي ﷺيخبره بما صـــنعت قريش، ولم يكن العّباس قد أظهر إسلامه بعد، .

كان للنبي ﷺ عيون في قريش يدلون إليه بأخبارها رغم وجود وحي السماء!. . "يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم"

فأرســـل النبي ﷺ من يســـتطلع أخبار قريش، فأخبروه بمنزلهم في وادي أحد، وقدّروا له أعدادهم، فأمر النبي بحراسة المدينة.

القائد الحكيم لا يقدم على المواجهة إلا بعد دراية تامة بقوى العدو ووسائله.

ثم استشار أصحابه، فكان رأي أهل السنّ منهم عدم الخروج من المدينة، ورغب النبي ﷺ في ذلك، فأهل المدينة أعرف وأقدر على حمايتها وهم داخلها، لكن المتحمسين من شباب الصحابة، وعلى رأسهم حمزة ومن تخلّف عن بدر، ألحوا في الخروج لملاقاة المشركين، وقالوا يا رسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنّا جبّنا عنهم وضعفنا، وما زالوا برسول الله ﷺ حتى دخل بيته من بعد صلاة الجمعة، ولبس لأمته–لباس الحرب–فندم الناس على إحراجهم وإلحاحهم على رسول الله ﷺ ، وقالوا: استكر هنا رسول الله ﷺ ولم يكن لنا ذلك، فلما خرج عليهم قالوا يا رسول الله: استكر هناك، ولم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك. فقال النبي ﷺ:

"ما كان لنبيٍ إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوّه".

القائد الحكيم لا ينصرف بغير صارف بعد إذ عزم "فإذا عزمت فتوكل".
إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تترددا.

فخرج النبي ﷺ في ألف من أصحابه، وخلّف عبد الله بن أمّ مكتوم على المدينة، واستعرض النبي ﷺ الجيش، فردَّ من كان منهم صغيراً دون الخامسة عشرة، فكان منهم سمرة بن جندب ورافع بن خديج، فقيل له: إنَّ رافعاً يحسن الرماية فأجازه، فبكى سمرة وقال: أجاز رافعاً وردّني مع أني أصرعه، فسمع بذلك رسول

الله ﷺ ، فأمرهما أن يتصارعا. فغلب سمرة رافعاً، فضحك رسول الله ﷺ وأجازهما معاً.

الرياضة والمهارات البدنية يجب أن توجه بعناية لخدمة قضية الدفاع عن الأمة.

وسار جيش المسلمين للقاء المشركين، فلمّا كانوا بين المدينة وأحد، انسحب عبد الله بن أبيّ سلول بثلث الناس ساخطاً مرتاباً، وقال: أطاعهم وعصاني!. . ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس. وكان قد اعترض على الخروج من أوّل الأمر، فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب، وكانوا قرابة الثلاثمائة.

المنافق المرتاب. . عقرب ماكرة يخذلك أحوج ما تكون إليه.

فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام يقول لهم: يا قوم أذكركم الله ألاّ تخذلوا قومكم ونبيّكم عندما حضر من عدوّهم...

فاستعصوا عليه وأبوا إلاّ الانصراف عنهم فقال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيّه.

وفيهم أنزل الله عزَّ وجلَّ: { إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}[1].

ثمَّ إن الأنصار قالوا لرسول الله ﷺ يا رسول الله: ألا نستعين بحلفائنا من يهود؟. فقال: لا حاجة لنا فيهم.

[1] سورة آل عمران: 155 .

ومضى رسول الله ﷺ بالجيش، حتى نزل شعب أحد، وجعل ظهر الجيش إلى جبل أحد وقال: لا يقاتلنَّ أحد منكم حتى نأمركم بالقتال، وجعل خمسين من الرّماة على الجبل، ليحموا ظهور المسلمين، وأمرّ عليهم عبد الله بن جبير، وقال له: إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك، لا نؤتين من قبلك. . وأمسك النبي ﷺ بسيف فقال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟فقام أبو دجانة قائلاً: وما حقُّه يا رسول الله؟. . قال: أن تضرب به العدو حتى ينحني، فأخذه أبو دجانة وعصب رأسه بعصابة حمراء، هي عصابة الموت.

ومشى يتبختر بين صفوف المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموقف.

القائد الحكيم يستخدم كل الوسائل المتاحة
التبختر والشموخ لون من ألوان الحرب النفسية.

وابتدأ القتال بالمبارزة، وقتل عدد من المشركين في هذه المبارزة، ثم خرج من صفوف المشركين عبد الرحمن بن أبي بكر وطلب المبارزة، فأراد المشركون على جيش المسلمين فما ازدادوا إلاّ تقهقراً وتراجعاً، والمسلمون ينضحونهم بالنبّل.

مقتل حمزة:

-وفي غمار المعركة كمن وحشي بن حرب، (وهو عبد حبشيٌّ لجبير بن مطعم) خلف ساتر مترقباً حمزة بن عبد المطلب، وكان جبير بن مطعم قد وعده أن يعتقه إن قتل حمزة، فظلّ يترصده حتى رماه بحربته، وهو يصول ويجول، فوقع حمزة شهيداً.

أعلام الدعوة الإسلامية دائماً مستهدفون. .
وتوفير أمنهم وسلامتهم واجب إسلامي.

وقتل حملة لواء المشـــركين، فســـارع المســـلمون إليهم يقتلونهم ويجمعون الغنائم منشـــغلين بها عن أوامر النبي ﷺ ، ورأى الرماة أن النصـــرّ قد حالف المؤمنين، فتراكض بعضـهم لجمع الغنائم، فذكرهم أميرهم عبد الله بن جبير بأوامر رسـول الله ﷺ ، لكنهم تناسوا الأوامر وأوّلوها، وقالوا: إنّ المعركة قد انتهت، وتركوا الجبل.

التأويل أول التضليل
والتهاون في طاعة القيادة كان هو الباب
الذي دخلت منه النكبة.

فما بقي منهم إلاّ عدد قليل ومعهم أميرهم، ولما رأى خالد بن الوليد ذلك، وكان أميراً على خيول المشركين، التفتَّ حول المسلمين وباغت الرماة من خلفهم، وانهال على المسلمين بالسهام، ورفعت راية المشركين، فعاد المشركون وتجّمعوا وكّروا على المسلمين وهم يجمعون الغنائم. فتراجع المسلمون وترك بعضهم ميدان المعركة، وتوجهوا إلى المدينة، فما ردّهم إلى المعركة إلاّ حياؤهم، وأقبل ابن قمئة على مصعب بن عمير وبيده لواء المسـلمين فضـربه بسـيفه فقطع يده اليمنى، فحمله مصـعب بيسراه، وهو يقول: "وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل. . "فضربه ابن قمئة فقطع يده اليشـرى، فاحتضـن اللواء بعضـديه، ثم ضـربه الثالثة، فكتبت له الشهادة في سبيل الله، وكان مصعب شبيهاً برسول الله ﷺ ، وفيه نزل قول الله عزّ

وجلّ: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَـــدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَـــى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً}[1].

وطار الخبر في الناس أن محمداً ﷺ قد قتل، فاضطرب الناس وقالوا: علام نقاتل إذا كان محمد قد قتل؟.

وفيهم أنزل الله عزّ وجلّ: {إِذْ تُصْـعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُـولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَـابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}[1].

ومرّ أنس بن النّضـــر أمامَ رجال من الصـــحابة وقد ألأقوا بأيديهم فقال: ما يجلسكم، قالوا: قتل رسول الله ﷺ، فقال لهم: فماذا تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ!!. .

الإسلام خالد خلود الدهر لا ينتهي مجده بموت رجاله الدعاة يموتون والدعاة باقية

ثمّ قام فقاتل حتى قتل به سبعون ضربة، فما عرفه إلاّ أخته.

وثبت رسول الله ﷺ في ساحة المعركة، وثَبَتَ معه عددٌ من الصحابة وأبلوا أشدَّ البلاء، فوقفَ أبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ يردُّ عنه سهام المشركين وضرباتهم، ويقول: وجهي لوجهك فداء، وكان كلّما التفت النبيّ ﷺ قال لخ بو طلحة: با نبيّ الله بأبي أنت وأمي، لا تنظر يصـــيبك ســـهم القوم، نحري دون نحرك، وثبت أبو

---

[1] سورة الأحزاب: 23 .

[1] سورة آل عمران: 153 .

دجانة وجَعَلَ ظَهرَهُ ترساً لرسول الله ﷺ، وكان النبيﷺ يقول: ما التفت يمينةً ولا يسرة إلاّ ورأيتُ أمّ عمارة تقاتل دوني!.

سلامة الرسول سلامة الرسالة. .
المؤمن الحق. . يقدم روحه رخيصة حين
تكون سبباً لسلامة الرسالة

وأقبل أبيّ بن خلف يريد قَتْلَ رسول الله ﷺ، فضرَبَهُ النبيّ ﷺ بحربته فجرحه، فارتدّ إلى قومه صارخاً: قتلني محمّد، وما زال جرحه ينزف حتى قتله، وكان يقول وهو في سكرات الموت: لو بصق عليّ محمد لقتلني، فكان أبيّ هو الوحيد الذي قتله رسول الله ﷺ بيده.

وتحمّل النبيّ ﷺ الكثيرَ الكثير في هذه الغزوة، فوقع في حفرة حفرها له أبو عامر الراهب وغطَّاها، فأغمي عليه وخدشت ركبتاه وشج وجهه، ورماه عتبة بن أبي وقّاص بحجرٍ فكسرت رباعيته (بعض أسنانه)، فتبعه حاطب بن أبي بلتعة فقتله، وضربه ابن قمئة فدخلت حلقات المغفر في وجنتيه الشريفتين فنزعها أبو عبيدة بأسنانه لئلا يؤلم رسولَ الله ﷺ، حتى كُسِرَتْ ثنيتا أبي عبيدة وسال الدم من وجه النّبيّ ﷺ.

ليس أحد في الإسلام في برج العاج. . وثواب
كل مؤمن. . بقدر ما يصيبه في سبيل الله.

فجعل يمسحُ الدمّ وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيّهم وهو ديعوهم إلى ربهم، فأنزل الله تعالى عليه:

{لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ}[1].

قيَمُ دعوة المرحمة. .
قائمة حتى في ساعة تطاير الأعناق.

ثم ضمّدت فاطمة وعلي جراحَ رسول الله ﷺ وهو لا يزال يرقب المشركين ويوجه المعركة.

وانتهت هذه الجولة من أحد، بعد دَرْسٍ مرير للمسلمين ذاقوا فيه أشدّ البلاء من المشركين وقتل من المسلمين بضع وسبعون رجلاً، ستةٌ من المهاجرين، والباقون من الأنصار.

وكان في القتلى حنظلة بن أبي عامر، وكان قد خرج لَيْلَةَ عرسه بعد أن سمع المنادي يقول: يا خيل الله اركبي، وكان جنباً فاستشهد، فقال فيه النبيّ ﷺ: إنّ صاحبكم لتغسّله الملائكة، واستشهد عمرو بن الجموح، وهو رجلٌ شديد العرج، منعه أولاده من الخروج فاشتكى لرسول الله ﷺ وقال: إنَّ بنيَّ يريدونَ أن يحبسوني عن هذا الوجه، والخروج معك فيه، فو الله إنيّ لأرجو أن أطأ الجنّة بعرجتي هذه، فَأَذِنَ له رسول الله ﷺ بالجهاد فقاتل حتى قتل.

اليقين بالآخرة. .
جمع بين العروس الآمل والعجوز الآفل على مركب الشهادة!. .

واستشهد كذلك سعد بن الرّبيع، وكانَ من خبره أن النبيّ ﷺ قال بعد المعركة: مَنْ رجلٌ ينظر لي ما فَعَل سعد بن الرّبيع أفي الأحياء هو أم في الأموات؟فإنيّ رأيت

---

[1] سورة آل عمران: 128 .

الأسـنّة قد أشـرعت إليه، فقال أبيّ بن كعب أنا أنظر لك يا رسـول الله ما فعل سعد. فقال له النبيّ ﷺ: إنْ رأيتَهُ فأقرئه منّي السّلام، وقُلْ له: يقول لك رسول الله كيف تجدك؟، فبحث أبيّ عنه فوجده جريحاً وبه رمق فقال له: إنّ رسـول الله ﷺ أمرني أن أقرئك السّلام وأن أنظر أفي الأحياء أنت أَمْ في الأموات؟فقال سعد: أنا في الأموات، وأبلغ رسـول الله عنّي السـلام وقُلْ له: إن سـعد بن الرّبيع يقول لك: جزاك الله عنا خيرَ ما جزى نبيّاً عن أمته، وأبلغ قومك عني السـلام، وقُلْ لهم: إنّ سـعد بن الربيع يقول لكم: لا عذرَ لكم. . عند اللهِ إنْ خُلِصَ إلأى نبيّكم وفيكم عينٌ تطرف، ثم عاد سعد يقول: أقْرِأْ على قومي منّي السلام، وقُلْ لهم، يقول لكم سعد بن الربيع: اللهَ اللهَ وما عاهدتم عليه رسول الله ﷺ ليلة العقبة، فو الله ما لكم عند الله عُذْرٌ، لا عذر لكم عند الله إن قتل رسـول الله ﷺ وفيكم أحدٌ حيّ، وما هي إلاّ لحظات حتى خرجت روحه الطاهرة.

الداعية الحق. .
لا ينسى رسالته حتى وهو يعالج سكرات الموت.

وأبلغَ أبيّ رسالةَ أخيه الشهيد إلى النبيّ ﷺ، فتأثر بها رسول الله ﷺ وقال: "رحمه الله، لقد نصـح الله ولرسـوله حيّاً وميّتاً". وقتل عبد الله بن جَحش، وكان قد قال قَبْلَ المعركة:

اللَّهمَّ إني أقسـم عليك أن نلقى العدوَّ غداً فيقتلونني ويبقرون بطني ويمثّلون بي، فألقاك مقتولاً قد صُـنِعَ هذا بي، فتقول: فيم صـنع بك هذا؟، فأقول: فيك، وفي سـبيلك. فقاتل حتى قتل، ووجدَ وقد صـنع به الأعداء ما تمنّى، ومثّل المشـركون بالكثير من الشـهداء، ومثّلت هِنْدُ زوجةُ أبي سـفيان بحمزة بن عبد المطلب فَبَقَرت

بطنه، وأخرجت كبده لتأكلها فلاكتها ثم أرسلتها، ونزل رسول الله ﷺ إلى مكان المعركة لينظر القتلى من أصحابه، فلمّا رأى عمّه حمزة، حَزِنَ حزناً شديداً وقال: ما وقفتُ موقفاً أغيظ إلَيَّ من هذا الموقف. .

ونظر إلى مصعب بن عمير وهو صريع في برده، وكانوا إذا غطوا بها رأسه بدت رجلاه وإذا غطوا رجليه بدا رأسه، فقال النبيّ ﷺ:

لقد رأيتك بمكةٍ وما بها أحدٌ أرقّ حلّة، وأحسن لمةٌ منك، ثم أنت أشعث الرأس في بردة!ثم نظر إلى القتلى جميعاً فقال: أنا شهيد على هؤلاء؛إنّه ما من جريحٍ يجرح في الله إلاّ ويبعثه الله يوم القيامة يدمى جرحه، اللّون لون دم، والريح ريح مسك!وأمر أن يدفن القتلى في ثيابهم حيث استشهدوا دون الصلاة عليهم–وهذا حكم الشهيد وقال: لفّوهم بدمائهم وجراحهم، وانظروا أكثرهم جمعاً للقرآن، فاجعلوه أمام أصحابه في القبر.

حامل القرآن مكرّم في الدنيا والآخرة
"أشرف أمتي حملة القرآن"

فكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد، لما كانوا فيه من الإعياء والضعف.

وأنزل الله في شهداء أحد: {وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ

فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ}[1].

ثم توجّه النبيّ ﷺ مع المسلمين إلى المدينة وأكثرهم جرحى، ولما وصلوا المدينة، كان نساؤها يبكين قتلاهُنّ، فلما رأيْنَ النبيّ ﷺ نسين قتلاهُنّ فرحاً بسلامة النبيّﷺ، حتى أنّ امرأةً من بني جينار، استشهد زوجها وأخوها وأبوها فلما نُعُوا إلأيها قالت فما فعل رسول الله ﷺ؟فقالوا: خيراً هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه فأشير لها إليه، فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جَلَلٌ (تعني صغيرة)يا رسول الله.

المرأة في الإسلام
صارت نوعاً نادراً من العمالقة
لا تزحزحها مصائب الدنيا عن خيارها العقائدي

وعزى النبي ﷺ أهل القتلى ويبشرهم بالجنة، فكان هذا أحسن عزاءٍ لهم، ثم أصرّ النبيّﷺ على الجرحى أن يتركوه ويركنوا إلى بيوتهم ليداووا جراحهم، ومضى النبيّ ﷺ إلى بيته، وما نزل عن فرسه إلاّ حملاً، ومشى يتحامل بين سعد بن عبادة وسعد بن معاذ حتى دّخّلَ بيتَهُ، فلما أذّن بلال المغرب خرج وهو يتحامل أيضاً، فصلّى في المسجد ثم عاد إلى بيته.

[1] سورة آل عمران: 196-174 .

غزوة حمراء الأسد:

مضى يوم السبت الخامس عشر من شوّال، الذي حدثت فيه غزوة أحد، وباتَ المسلمون ليلة الأحد في المدينة، وعند الصباح أمر النبيّ ﷺ الناس بالخروج للّحاق بالعدو، وأذّن مؤذنه ألاّ يخرجُنَّ مَعَنا أحد، إلاّ مَنْ حضر بالأمس.

وكان ذلك تثبيتاً عظيماً لقلوب المؤمنين، بعد يومِ المحنة المرير.

نفوس الدعاة العظيمة غير قابلة للهزيمة. .
قد تقع الهزيمة في المتاع والبدن. .
أما إرادة الدعاة فلا يصيبها قرح ولا وهن.

وما كان للنّبي ﷺ أن يرضى لأصحابه أن يساموا على خسف أو يقيموا على ضيم، سيما وقد بلغه أنّ أبا سفيان قد عقد العزم على الكرّ على المدينة، واستغلال تبعات يوم الأمس في تحقيق نصرٍ ساحقٍ، ينهي به دولة الإسلام.

وقام منادي النبيّﷺ فنادى في الناس: أن أوجفوا خيل الله، ولا يقدمنَّ فيها إلا من شهد غزاة الأمس، وما إن سمع المسلمون نداء رسول الله ﷺ، حتى تسارعوا إلى أسلحتهم، وتوافدوا إلى المسجد لم يتخلف عن رسول الله ﷺ صحيحٌ ولا جريحٌ، حتى أنّ عبد الله ورافع ابنا سهم الأنصاريان، كانا قد رجعا من أحد وبهما جراحٌ كثيرة، فخرجا يزحفان ليلحقا برسول الله ﷺ، وضعف رافع عن المتابعة فجعل أخوه عبد الله يحمله مسافةً حتى يستريح ثم يتركه يمشي مسافةً ثم يحمله حتى لحقا برسول اللهﷺ.

وندم الكثير على تخلفهم عن رسول الله ﷺ في أحد، وجاؤوا يعتذرون ويريدون الخروج، لكنّه ﷺ لم يقبل أحداً منهم إلاّ جابر بن عبد الله لشديد عذره، فكانَ هذا مكافأةً لأصحابه الذين شهدوا أحداً وإكراماً لهم.

ومضى رسول الله ﷺ بجيشٍ جريحٍ لم يعرف التاريخُ له مثيلاً، ووصل إلى حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة.

أيكون كل هذا الجهاد طمعاً في غنيمة الخيل والإبل؟؟. .
بأي قلم آثم يكتب المستشرقون تاريخ النبوة؟؟!. .

وأقام النبي ﷺ فيها ثلاثة أيام، قبالة معسكر المشركين، وكان يأمر أصحابه بالنهار، فيجمعون الأحطاب ثم يوقد كل واحدٍ منهم ناراً بالليل، فكانت النيرانُ ترى من بعد وكأنها نيران جيشٍ من ألوفٍ مؤلّفة، فتسامع الناس بها، وبلغ ذلك أبا سفيان فدبَّ الرعب في قلبه، وجاءه معبد الخزاعي حليف المسلمين، وأخذ يهوّل له جيش المسلمين، ويذكر له عددهم وكثرتهم، ويخوفّه منهم حتى انسحب أبو سفيان بجيشه إلى مكة راضياً بالسلامة والنجاة، حيث آثر أن يرجع بنصفِ نصرٍ على أن يرجع بهزيمة كاملة.

رب حيلة أغنت عن قبيلة...
للحرب النفسية والإعلامية دور في صناعة المواقف.

ونظر المسلمون إلى أعقاب قريش ةهي تولّي نصف خائبة، نصف رابحة، فعادت إلى نفوسهم إشراقة الأمل، وانطلقوا يبنون دولة الحق من جديد.

ونزل يوم أحد سبعون آيةً من سورة آل عمران في درس هذه الغزوة وأسبابها ونتائجها.

{وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[1].

سرايا عقب أحد:

في أعقاب غزوة أحد أخذت قريش تنشر الإشاعات بين العرب أنها حطمت دولة الإسلام، وأنّها على وشك القضاء عليها، فطمعت قبائل العرب بالمسلمين وأخذوا يعدّون للإغارة على المدينة، فأرسل النبيّ ﷺ أبا سلمة بن عبد الأسد في مائةٍ وخمسين من أصحبه إلى بني أسد فباغتهم وشتت شملهم، وعاد إلى المدينة

[1] سورة آل عمران: 138-148 .

غانِماً، ثمَّ بلغ رسول الله ﷺ أن خالد بن سفيان الهذلي يجمع الرجال من شتى القبائل ليغير على المدينة، فأرسل إليه عبد الله بن أنيس يقتله، فاحتال عليه عبد الله وقتله متلافياً بقتله الفتنة التي كان خالد بن سفيان يدبرها ويعدّ لها. .

السَّنَةُ الرَّابِعَةُ لِلهِجْرَةِ "16بَعْدَ البَعْثَةِ"

حوادث السنة الرابعة للهجرة :

1-إعادة ترتيب الجماعة المسلمة بعد يوم أحد .

2-إرسال الدعاة ومأساة يوم الرجيع .

3-الغدر بالقراء الدعاة يوم بئر معونة .

4-إجلاء جرثومة الغدر"بني النضير"من المدينة .

5-تحريم الخمر بشكل نهائي .

6-غزوة ذات الرقاع .

7-استئناف إرسال سرايا الدعاة .

-مضت غزوة بدر بما قتل فيها من المشركين، ودبّ الرعب في قلوب العرب من المسلمين، ولم يجرؤ أحد على الاعتداء عليهم، إلى أن جاءت غزوة أحد بنكبتها على المسلمين، فطمعت بهم القبائل، وحرضتهم على ذلك قريش، علَّها تحظى برجالٍ من المسلمين يثأرون بهم لقتلاهم في بدر، لكنَّ رسول الله ﷺ لم يغفل عن هذه التحركات، فأرسل من يسكتها منذ بدايتها، فأرسل سرية أبي سلمة لبني أسد، وأرسل عبد الله بن أنيس فقتل خالد بن سفيان من بني هذيل .

وكان حريصاً أن يقطع أسباب المواجهة مع قريش، وكانوا كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها بنور الحكمة .

ولكن شياطين قريش كانوا يبيّتون الشرّ والأذى، والله يكتب ما يبيّتون،

وردّ العقارب عن لسعها تكليف ما ليس في وسعها .

ودّبرت قريش مع بعض قبائل العرب مذبحة يوم الرّجيع. .

يوم الرّجيع :

في شهر صفر قدم على رسول الله ﷺ وفدٌ من قبيلتي عضل والقارة، فقالوا يا رسول الله: إنّ فينا إسلاماً، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام، فبعث رسول الله ﷺ سنة من أصحابه، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت.

الدعاة يرحلون إلى الناس في بلادهم النائية...
ليوصلوا إليهم كلمة الله .

فلمّا كانوا عند ماء الرجيع، قريباً من بني هذيل، هاجمهم مائتا رجلٍ منهم، فقاتل الصحابة حتى قتل أربعة منهم وبقي خبيب بن عدي، وزيد بن الدّثنّة، فساقوهما إلى مكة وباعوهما هناك فاشترى خبيباً عقبة بن الحارث ليقتله بأبيه، واشترى زيداً صفوان بن أميّة ليقتله بأبيه أمية بن خلف، فجساهما حتى انقضت الأشهر الحرم، ولما قُدّم زيد بن الدّثنّة ليقتل، قال له أبو سفيان: أنشدُك الله يا زيد، أتحبُّ أنَّ محمداً الآن في مكة فنضرب عنقه...وأنّك في أهلك؟فقال زيد: والله ما أحبُّ أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه، تصيبه شوكة تؤذيه، وأني جالس في أهلي!!. .

فقال أبو سفيان: ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمّداً،

.

علاقة المسلمين بمربيهم وإمامهم. .
ليست علاقة الطاعة والامتثال فحسب. .
إنها في أعماقها أقوى علاقات الحب!. .

ولحق زيد بركب الشهداء، أما خبيب فقد جمعوا له أبناء من قتل بدر، ولما همّوا أن يضعوه على الصليب ليقتلوه استأذنهم أن يصلي ركعتين فأذنوا له، فركع ركعتين.

.

فكان أوّل من سنَّ صلاة الموت، ثم قال لهم: أما والله لولا أن تظّنوا أنّي إنّما طوّلت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة!. .

المؤمن الحق...لا ينسى الله .
حتى وهو في طريقه إلى خشبة الصلب .

ولما وضعوه على الصليب قال: "اللهم إنّا قد بلغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما يصنع بنا"، ثم نظر إلى القوم وقال: "اللّهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً"، ففزع القوم من دعوته وقتلوه وهو يقول:

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلوٍ ممزع
ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أيّ جنبٍ كانَ في الله مصرعي

يوم بئر معونة (سريّة القرّاء):

وفي هذا الشهر نفسه (صفر) قدم المدينة أبو براء عامر بن مالك، وكان يسمّى ملاعب الأسـنّة، وهو سـيّد من سـادات العرب المشـهورين فعرض عليه النبي ﷺ الإسلام، وقال لرسول الله ﷺ: لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجدٍ فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك، فقال رسول الله ﷺ: أخشى عليهم أهل نجدٍ، فقال عامر: أنا لهم جار، فابعثهم فليدعوا إلى أمرك. .

قد يسير موكب الرسالة في جوار مشرك حينما تقتضي الحكمة...

على أن تبقى المبادئ سليمة من هوى الآخرين.

وكان عامر بن مالك يريد بذلك أن يسلم قومه قبله فيدخل معهم في الإسلام. . فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو في سبعين رجلاً من خيرة أصحابه، يسمّون بالقرّاء، لكثرة ما يحفظون من القرآن، .

سلاح الدعاة. . العلم والقرآن

والداعية بلا علم. . واعظ فارغ

فسـاروا حتى نزلوا بئر معونة، فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسـول الله ﷺ إلى عامر بن الطّفيل وكان رئيس بني عامر، وكانت منازلهم حول بئر معونة، فلما قرأ كتاب النبي ﷺ غضـب أشـدَّ الغضـب، وقتل حامل الكتاب حرام بن ملحان، ثم طلب من بني عامر أن يخرجوا للتعرض لوفد المسلمين، فرفضوا أن ينقضوا (يخفروا) ذمّة أبي براء (عامر بن مالك)، فاسـتصـرخ عليهم بعض القبائل فأجابوه وخرجوا،

فأحاطوا بوفد المسلمين، فما كان من المسلمين إلاّ أن قاتلوا على قلّة عددهم وسلاحهم، فهم لم يخرجوا لقتال، وإنما خرجوا دعاةً لتبليغ رسالة الله، فقاتلوا حتى قتلوا عن أخرهم إلاّ كعب بن زيد، فإنّه جرح وظنّوا أنهم قد أجهزوا عليه فتركوه، وعمرو بن أمية الضمري كان قد ذهب في حاجة وفد المسلمين فنجا من القتل .

ولما علم النبي ﷺ بذلك حزن أشدَّ الحزن على شهداء الرجيع ومعونة ومكث شهراً كاملاً يدعو في صلاته على الفئة الغادرة من عُضل والقارّة. .

غزوة بني النضير: (ربيع الأول)

كان يوم أحد مطمعاً لكلّ خصوم الإسلام، فأظهروا بعده ما كانوا يضمرونه من العداوة والخيانة للنبي ﷺ وأصحابه، وهاهم بنو النضير الذين كان رسول الله ﷺ قد عاهدهم عند دخوله للمدينة قد بدأت تتكشف منهم نوايا كانت دفينةً في نفوسهم، فأراد النبي ﷺ أن يختبرهم، فجاءهم ليستعين بهم على ديّة الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ في حادثة بئر معونة، وكان في عقد المعاهدة فيما بينهم وبين النبي ﷺ ، أن يعينوا في حمل الدّيات، فلما دخل عليهم وذكر لهم ما جاء من أجله، وكان معه كبار الصحابة، جلس إلى جنب جدار من بيوتهم ينتظر وفاءهم بما وعدوا، فتسارّ اليهود فيما بينهم: إنّكم لن تجدوا محمدّاً على مثل حاله هذه، فمن رجل منكم يقوم على سطح الدّار فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه فقام رجل منهم اسمه عمرو بن جحّاش، وصعد ليلقي الصّخرة، وأوشك اليهود على إنفاذ مكيدتهم ورأى رسول الله ﷺ الريبة في التفاتهم وحركاتهم، وأعلم الله نبيه

الكريم بالخطر المدبّر له فنهض عجلاً من جوار البيت الذي اضـطجع إلى جداره، وقفل راجعاً إلى المدينة .

المؤمن طيب القلب...لكنه شديد الحذر لا هو بالخبِّ الماكر...ولا هو بالساذج الغافل .

وشـعر أصـحاب النبي ﷺ بمغيبه، فقاموا في طلبه، فإذا رجل مقبل من المدينة يخبرهم أنّه رآه يدخلها، فأسـرعوا يلحقون به، فلما انتهوا إليه، أخبرهم بما كادت له يهود .

عندئذٍ لم يكن هناك بدٌّ من إجلائهم، بعد أن نقضـوا عهدهم في حمل الدّيات وهمّوا بالغدر والاغتيال، فأرسـل إليهم ﷺ يأمرهم بالخروج من المدينة نتيجة غدرهم، وكانوا قد توقعوا ذلك، فهمّوا بالخروج لولا أن المنافقين أرسلوا إليهم يشجعونهم على البقاء وعدم الانصـياع لأمر النبي ﷺ ، وقال لهم عبد الله بن أبي سـلول رأس المنافقين: لئن أخرجتم لنخرجنّ معكم ولئن قوتلتم لننصـرنّكم، وبالفعل فقد أرسـل زعيم بني النضـير حييّ بن أخطب إلى النبي :ﷺإنّا لا نخرج من ديارنا، فاصـنع ما بدا لك، فسار النبي ﷺ بأصحابه في مطلع ربيع الأول فحاصرهم في بيوتهم، فلبثوا ينتظرون نصرة المنافقين، ثم ظهر لهم تخلّي المنافقين عن نصرتهم، وفيهم نزل قول الله عزّ وجلّ :

{لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُـرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَـرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ}[1].

[1]: سورة الحشر: 12 .

فنزلوا تحت حكم النبي ﷺ بالجلاء، على أن لهم ما حملته إبلهم إلاّ السّـــلاح، وجعل الواحد فيهم يخرب بيته قبل أن يخرج منه، كيلا ينتفع به المسلمون من بعدهم! .

وفيهم أنزل الله عزّ وجلّ سورة الحشر :

{وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ}[2] .

الإسلام حرب على الاستعمار[3]...

يهود بني النضير كانوا صورة المستعمر الغاشم في المدينة المنورة وكان إجلاؤهم عنها أول نضال رابح في مقارعة الاستعمار .

-ولما غنم النبي ﷺ من بني النضـــير، بعث إلى الأنصـــار فجمعهم، فحمدَ الله وأثنى عليه، وذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين وإيثارهم لهم ثم قال :

. .إن أحببتم قســمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله عليَّ من بني النَّضــير، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السـكن في مسـاكنكم وأموالكم، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم. فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ (سيّدا الأنصار): بل نقسمه للمهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا...

ونادت الأنصار: رضينا وسلّمنا يا رسول الله، فقالوا رسول الله :ﷺ"اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار" .

ينادي المصلحون اليوم بالاشتراكية

على أنها أعظم مكاسب النضال الاجتماعي

---

[2] سورة الحشر: 2 .

[3] المراد بلفظ "الاستعمار" المعنى العرفي، وليس المعنى اللغوي .

والإسلام ما وقف عند الاشتراكية بل تخطاها إلى طواعية الإيثار

الاشتراكية: أن نتقاسم الرغيف بقوة القانون،

وعين كل منَّا في نصيب صاحبه!. .

والإيثار أن أمنحك رغيفي

وأبيت طاوياً راضياً. . وأنت لا تعلم!. .

تحريم الخمر :

وفي هذه السنة أنزل الله تحريم الخمر، وقد جرى تحريمها على مراحل، وسبب ذلك أن العرب اعتادوا الخمر حتى استغنى بها بعضهم عن الشّراب، فلم يكن إقلاعهم عنها ميسوراً، فنزل أوّلاً في مكّة قوله عزّ وجلّ: {وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا}[1]. وهي تشير إلى أن الخمر ليست بالرزق الحسن. ثم نزل قوله عزَّ وجلّ: {... يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا}[2]، فقال عمر بن الخطاب:

---

[1] سورة النخل: 67 .

[2] سورة البقرة: 219 .

اللهم بين لنا في الخمر بياناً شـــافياً. ثم نزل قوله عزَّ وجلّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ}[1] .

وهي تفيد تحريم شـرب الخمر قبل الصـلاة، وبهذا فقد قلّ شـرب الخمر، وامتنع كثير من الصحابة عنها نهائياً، ثم نزل التحريم القاطع في قوله تعالى :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِـــرُ وَالأَنْصَـــابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّـــيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّـــيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَـــاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِـــرِ وَيَصُـــدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّـــلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ}[2] .

فلمّا سمعها المسـلمون قالوا: انتهينا وألقوا بالأقداح من أيديهم، وكسـروا الدّنان حتى سالت أزقّة المدينة بالخمر، .

الدعوة: حكمة وموعظة حسنة .
براعة الدعاة في إدخال صوت الهدى
إلى سلوك الناس وقلوبهم .

وهكذا ترى أن الخمر رغم اســتقباحه عقلاً وشــرعاً، إلاّ أنه تأخر في تحريمه النهائي، حتى وقر الإيمان في القلب، وصارت النفوس مهيأةً لاستقبال أوامر الله. – وصار الصحابة يتساءلون في حكم من مات منهم. . قبل نزول التحريم، وأشفقوا أن يصيبهم العذاب بما شربوا فأنزل الله عز وجلّ:

---

[1] سورة النساء: 43 .

[2] سورة المائدة: 90 .

{لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[3] .

غزوة ذات الرّقاع:

وفي جمادى الأولى من هذه السنة، خرج رسول الله ﷺ ومعه 700مقاتل إلى نجد، بعد أن بلغه أنّ بني محارب وبني ثعلبة يعدّون لقتاله، ولما علموا بمقدمه فرّوا وتفرقوا، لكنهم كانوا يعدّون للغدر، وكان الناس في خوف وحذر، فشرّعت صلاة الخوف، وصلاّها رسول الله ﷺ إماماً بالنّاس، وفي إحدى الليالي نزل رسول الله ﷺ منزلاً يبيت فيه، فطلب رجلاً يحرس جيش المسلمين، فقام عمّار بن ياسر وعبّاد بن بشر، وتقاسما الليل، فنام عمار بن ياسر النّصف الأول من الليل، وقام عبّاد يصلّي، فبصر به رصد المشركين فرموه بسهمٍ فأصابه في رجله فنزعه وتابع صلاته ثم رماه بآخر فنزعه وتابع صلاته، ثم رماه بثالث فنزعه وركع وسجد ثم أيقظ صاحبه فقال: اجلس فقد أصبت، فنظر عمّار فإذا بإصابته تعجزه عن القيام، فقال عمّار: سبحان الله أفلا أيقظتني أوَّل ما رماك، فقال عبّاد: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أتمَّها، فلما تابع عليَّ الرمي ركعت فآذنتك، وأيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطعت قبل أن أقطعها أو أنفذها!!. .

الإيمان في حياة الدعاة سلوك والتزام. .
قبل أن يكون دعوة ورسالة .

[3]سورة المائدة: 92 .

وفي هذه الغزوة نزل رسول الله ﷺ في ظلّ شجرةٍ وعلّق عليها سيفه ونام تحتها، فتسلل رجل من بني محارب اسمه غورث بن الحارث، وأمسك سيف رسول الله ﷺ ، فانتبه النبي ﷺ من نومه فإذا بالرّجل قائم عند رأسه والسيف بيده، فقال غورث: من يمنعك مني يا محمد؟

فقال :ﷺالله!!. .

المؤمن. . عظيم اليقين بالله
لا يشغله ذهول المفاجآت. .
عمن هو حاضر في قلبه .

فسقط السيّف من يده. فأخذ النبي ﷺ وقال له: من يمنعك مني؟. فقال الرجل: كن خير آخذ، فعفا عنه النبي . .ﷺ

غزوة بدر الآخرة:

وفي شعبان من هذه السّنة خرج النبي ﷺ إلى بدر لميعاد أبي سفيان لهم بعد انصرافه في أحد، فأقام ثمان ليالٍ ينتظر أبا سفيان، لكنَّ أبا سفيان-بعد أن خرج بجيش قريش حاف وانسحب قبل أن يصل إلى بدر، وجعل يعتذر بأنّ العام جدبٌ، والمعركة تحتاج إلى عام خصيب، فكانت وصمة العار التي لحقت بقريش في هذه الغزوة أعظم من السمعة التي بلغتها في أحد، حتى سميّ جيشهم بين العرب جيش السُّويق، وصاروا يسخرون منهم ويقولون: إنّما خرجتم تشربون السُّويق، أمّا المسلمون فقد باعوا واشتروا وتاجروا وربحوا ربحاً عظيماً، .

القيادة الحكيمة تفيد من كل الظروف
"عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير
وليس ذلك إلا للمؤمن"

وأنزل الله:

{فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ}[1] .

[1]سورة آل عمران: 174 .

السَّنَةُ الخَامِسَةُ لِلهِجْرَةِ "17بَعْدَ البَعْثَةِ"

حوادث السنة الخامسة للهجرة :

1-اشتداد النفاق وتفاقمه.

2-دخول بني المصطلق في الإسلام عقب زواج رسول الله ﷺ بجويرية بنت الحارث .

3-نزول سورة المنافقين في فضح النفاق في المدينة عقب محاولة فاشلة من المنافقين للإيقاع بين المهاجرين والأنصار .

4-حديث الإفك ونزول سورة النور في براءة عائشة .

5-غزوة الأحزاب (الخندق) .

6-قتل بني قريظة آخر جرثومة غدر في المدينة .

7-وفاة سعد بن معاذ .

دخلت السنة القاسية، والنبي ﷺ يرسل دعاته في الآفاق لنشر الدعوة في القبائل، وهي سنة محن وشدائد، تكشّفت فيها للنبي ﷺ طوايا دفينة من الحقد الأسود المر، بعد ما ظهر أن مصالح المستغلين والمستكبرين تجري في هوى قريش .

اشتداد النفاق :

النفاق مرض اجتماعي خبيث يصيب الجبناء من أهل الباطل، حين يجبنون عن مقارعة الحق ومواجهته، وتغلبهم أهواؤهم، فلا يدخلون في الحق عن قناعة ويقين. وقد ظهر النفاق في المدينة مع قيام دولة الإسلام فيها، من الذين تضررت مصالحهم وأنانيتهم بالإسلام من أمثال عبد الله بن أبي، الذي كان حين مجيء

رسـول الله ﷺ إلى المدينة، يسـتعد ليتوج ملكاً على المدينة، فكان يرى أن النبي ﷺ قد سـلبه ملكه، ونزع عنه تاجه، ووجد نفسـه معزولاً بين قومه الذين التفوا حول رسول الله ﷺ بقلوبهم وأرواحهم، . .

النفاق. . نتيجة لازمة للحسد :

كل العداوات قد ترجى إزالته

إلا عداوة من عاداك بالحسد.

فدخل فيما دخل الناس فيه، رجاء أن يسـترّد ما فاته من ملك ومجد، ومنّ داخل الجماعة المسـلمة جعل يطعن من الخلف، ويتواطؤ مع قبائل اليهود، ويتصـل بقريش وبالأعراب، ويغريهم بحرب النبي ﷺ ويشـيع الأكاذيب والفتن داخل المجتمع الإسلامي، وظهر ذلك أشدّ ما ظهر يوم المصطلق، وذلك في حادثتين اثنتين: على ماء المريسيع، وحادثة الإفك.

يوم المُصطَلَقِ: (شعبان).

-كان بنو المصـطلق من خزاعة، لا يخفون عداءهم للنبي ﷺ وللمسـلمين ممّن معه، ومنذ أن وقع ما وقع يوم أحد وهم يتهيئون للإغارة على المدينة، وفي شـهر شعبان من هذه السنة، بلغ النبي ﷺ أنّ بني المصطلق قد جمعوا جموعاً عظيمة، وهم يسـتعدون للإغارة على المدينة، تحت قيادة زعيمهم المطاع الحارث بن أبي ضـرار، فبادر رسول الله بالخروج إليهم دفاعاً عن بلاد المسلمين من قبل أن يغزوهم في عقر دارهم، فإنّه ما غزي قوم في دارهم إلاّ ذلّوا. فقاتلهم رسـول الله ﷺ في عقر دارهم

عند ماء اسمه "المريسيع"، ونصره الله عزّ وجلّ ومكنّه منهم، فأسر من أسر، وارتد الباقون على أعقابهم، وقسم النبي ﷺ السبايا من النساء على المسلمين. .

-وانقلب المسلمون يوم المصطلق، والأسارى في أيديهم، وغالبهم ممن خرجوا في هوى "الحارث بن أبي ضرار" لا أرب لهم في حرب الإسلام إلاّ طاعة أسيادهم، فخطب رسول الله ﷺ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، فلما سمع المسلمون ذلك قالوا: أصهار رسول الله. . لا ينبغي لنا أن نمسكهم في أيدينا، فأرسلوا مَنْ كَانَ في أيديهم من الأسارى والسبايا، وقال النّاس: لا نعلم امرأةً كانت أعظم بركة على قومها من "جويرية"، وتتابع قومها بعدئذٍ في الدخول في الإسلام .

كانت كل مصاهرات النبيﷺ بركةً وخيراً عادت على الأمة بالخير العميم .

عَلَى مَاءِ المُرَيْسِيْع:

-بينما كان الصّحابة على ماء المريسيع يشربون عقب غزوة المصطلق، تزاحم على الماء أجيرٌ لعمر بن الخطاب واسمه جهجاه بن مسعود، وسنان بن وبر الأنصاري، وتلامَسَ الرجلان، وهمَّ كُلّ بصاحبه، فنادى الأنصاريُّ يا معشر الأنصار، ونادى المهاجريُّ يا معشر المهاجرين .

وكانت تربية رسول الله ﷺ قد نزعت من نفوس الناس عصبيّة الجاهليّة، فلم يستجب أحدٌ من الصحابة لهذا النداء الجاهلي إلاّ النداء الجاهلي إلاّ القلائل من

الذين لم يتمكن الإيمانُ في قلوبهم، ففصـــل بينهم رســـول الله ﷺ وقال: دعوا هذه الكلمة فإنها منتنة، وحكم بين الرّجلين، ورضي الجميع ومضى كُلّ لشأنه .

أمراض الجاهلية. . قد تعود للظهور
وواجب الدعاة أن يكونوا لها بالمرصاد .

غَيْرَ أنَّ أفعى النفاق عبد الله بن أبي بن ســلول اســتغل ذلك وقال في جمع من الناس: "أوقد فعلوها، كاثرونا في بلادنا، والله ما أعدّنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول: (أي إن مثلنا ومثل صـــعاليك قريش)سمّن كلبَكَ يأكلْكَ، أَمَا والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذّل، ثم أَقْبَلَ على من حضـــره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفســـكم أحللتموهم بردكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمســـكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزّ منها الأذلّ"ثم مشى كالأفعى ينفث سمّه في النّاس .

لسان الحاسد فاجر خبيث
لا يفر به إلا حلم الدعاة وطول أنفاسهم .

وبلغَ هذا الكلام رســـول الله ﷺ وثار أصـــحابه من حوله، وطلبَ عمر بن الخطاب أن يأمر بقتل المنافق، فقال رســـول الله 001: فكيف يا عمر إذا تحدّث النّاس أن محمّداً يقتل أصـــحابه، لا ولكن، أذّن بالرحيل، فأذّن بالرحيل، وتشـــاغل

النّاس بالرحيل والسّـفر عن الخوض في هذه الفتنة، وبهذا الرّحيل المفاجئ هدّأ النبيّ ﷺ ثائرة الفتنة .

وجاء بعبد الله بن أبيّ، فسـأله أمام أصـحابه، فحلف بالله ما قال ولا سمع بما نقل إلى رسول الله ﷺ، واكتفى رسول الله ﷺ منه بهذا، فقد ظهر كذبه وتفرّقَ عنه أصحابه الذين رأوا بأعينهم كذبة وجنبه ونفاقه .

وجاء أسيد بن حضير إلى رسول الله فقال: يا بنيّ الله، والله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح في مثلها، فقال له رسـول الله ﷺ أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟، قال: وأي صاحب يا رسول الله؟، قال: عبد الله بن أبي، زعم أنّه إنْ رَجَعَ إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزّ منها الأذّل، فقال أسيد: فأنت يا رسـول الله والله تخرجه منها إنْ شئت. هو والله الذّليل وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله إرفق به، فو الله لقد جاءنا اللهُ بك، وإنَّ قومه ينظمون له الهرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنّك قد استلبته ملكاً .

ثم مشـى رسـول الله ﷺ بالنّاس يومهم ذاك حتى أمسـى وليلتهم، حتى أصـبح وصـدر يومهم ذاك حتى آذتهم الشـمس، ثم نزل بالناس وهم في غاية التعب، فما كان منهم إلاّ أن ناموا وشغلوا بذلك عن فتنة ابن أبيّ .

كثير من الفتن تموت بالإهمال...واهتمامك بها تشـجيع لها
وما شيء أحب إلى سفيه إذا شتم الكريم من الجواب

وأنزل الله في ذلك سورة "المنافقون" وفيها {هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُـولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّـوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا

يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ}[1] .

وبَلغ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن سلول ما كانَ من أمر أبيه، وكان مؤمناً عظيم الإيمان، فجاء إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، إنّه بلغني أنّك تريد قتل عبد الله بن أبيّ فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بدَّ فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لَها من رجل أبرّ بوالده منّي، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار .

رباط العقيدة أقوى من رباط النسب والنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ومن آبائهم .

فقال له النبي :ﷺبل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا، وبعد ذلك صار عبد الله كلما أحدث أمراً عاتبه قومه وعنّفوه، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب: كيف ترى يا عمر؟، أما والله لو قتلته يوم قلت اقتلْهُ لأرْعِدَتْ له آنُفٌ- لغضبَ له رجالٌ-لو أمرتها بقتله لقتلته. فقال عمر: قد والله علمتُ لأَمْرُ رسول الله ﷺ أعظم بركةً عن أمري .

بالحكمة المجردة تم تجريد العدو من سلاحه ورجاله .

...وهكذا فقد عاد مكر المنافقين على أنفسهم، وافتضح عبد الله بن أبيّ بين قومه وأصحابه، ولكن كلّ ذلك لم يغيّر من حقده ونفاقه شيئاً. .

---

[1] سورة المنافقون: 7 .

حديث الإفك:

-وفي أعقاب غزوة المصـــطلق، وقعت حادثة الإفك التي كانت محنة خطيرة للمؤمنين .

ولنستمع إلى السيدة عائشة أم المؤمنين تروي لنا خبر الإفك كلاماً، كما رواه عنها الإمام البخاري :

قالت السيّدة عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً، أقرع بين نسائه فأيتهنّ خرج سهمها خرجت معه .

كان النبي حريصاً على العدل في كل شيء وعدله بين نسائه صورة عدله فيا لعالمين .

فلما كانت "غزوة بني المصـــطلق"خرج ســـهمي عليهن، فارتحلت معه. قالت: وكان النساء إذ ذاك يأكلْنَ العلق، لم يهيجن اللّحم فيثقلْنَ[1]، وكنت إذا رحل بعيري جلست في هودجي، ثم يأتي القوم فيحملونني، يأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه، ثم يضـــعونه على ظهر البعير ويشـــدّونه بالحبال، بَعْدَئذٍ ينطلقون. قالت: فلما فرغ رسـول الله ﷺ من سـفره ذاك، توجه قافلاً، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فباتَ فيه بعض الليل. ثم أذّن مؤذّن في النّاس بالرحيل، فتهيؤوا لذلك. وخرجت لبعض حاجتي، وفي عنقي عقدٌ لي، فلما فرغت أنســـلّ من عنقي ولا أدري، ورجعت إلى الرحل فالتمست عقدي فلم أجده!وقد أخذ الناس في الرّحيل، فعدتُ إلى مكاني الذي ذهبت إلأيه، وجاء القوم الذين كانوا يُرْحِلُوْن لي البعير-وقد كانوا

[1]تشير إلى خفة وزنها حيث لم ينتبه حاملو الهودج إليها حينما حملوه .

فرغوا عن إعداده–فأخذوا الهودج يظنّون أنيّ فيه كما كنت أصنع، فاحتملوه فشسدّوه على البعير، ولم يشكّوا إنيّ به ثم أخذوا برأس البعير وانطلقوا .

ورجعت إلى المعسكر وما فيه داعٍ ولا مجيب. لقد انطلق النّاس!قالت: فتلففتُ بجلبابي ثمّ اضطجعت في مكاني وعرفتُ أنيّ لو افتقدت لرجع النّاسُ إليّ، فوالله إني لمضطجعة، إذ مرّ بي "صفوان بن المعطل السلمي"وكان قد تخلّف لبعض حاجته، فلم يبت مع النّاس، فرأى سوادي فأقبل حتى وقف عليّ–وقد كان يراني قبل أن يضربَ علينا الحجاب–فلما رآني قال: "إنّا لله وإنّا إليه راجعون"ظعينه رسول الله؟[1]. وأنا متلففة في ثيابي!! .

–ما خلّفك يرحمك الله؟قالت: فما كلمته، ثم قرّب إليَّ البعير وقال: اركبي، واستأخر عني. قالت: فركبتُ وأخذ برأس البعير منطلقاً يطلب الناس، فو الله ما أدركنا الناس وما افتقدت حتى أصبحت ونزلوا، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بي البعير، فقال أهل الإفك ما قالوا. وارتجّ العسكر والله ما أعلم بشيء من ذلك؛وكان عبد الله بن أبيّ جالساً في جماعةٍ من أصحابه، فيهم مسطح بن أثاثة وحسّان بن ثابت، لما مرّ بهم صفوان بن المعطل يسوق البعير بعائشة فقال الشّقي: هذا صفوان بن المعطّل مع بنت أبي بكرٍ، والله ما سلمت منه ولا سلم منها. وقال أصحابه مثل قوله وفشا القول في النّاس .

الإشاعة الكاذبة من أخبث وسائل الطاغوت ودعوة الحق معرضة لكل أنواع الإشاعة الكاذبة .

[1]الظعينة: المسافرة. أي المسافرة مع رسول الله .

ثم قدمنا المدينة، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة "مرضاً شديداً"وَلَيْسَ يبلغني من ذلك شيء، وقد انتهى الحديث إلى رسولالله وإلى أبوي، وهم لا يذكرون منه كثيراً ولا قليلاً. إلاّ أنّي قد أنكرتُ من رسول الله ﷺ بعض لطفه في شكواي هذه .

فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل عليّ وعندي أمّي تمرضني، قال كيف تيكم؟لا يزيد على ذلك. قالت: حتى وَجدتْ في نفسي-غضبت-فقلت يا رسول الله-حين رأيت من جفائه لي-: لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي؟قال: لا عليك، قالت فانقلبت إلى أمّي ولا علم لي بشيءٍ ممّا كان، حتى نقهت من وجعي بَعْدَ بضعٍ وعشرين ليلة، وكنا قوماً عرباً، لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي تتخذها الأعاجم، نعافها ونكرهها، إنّما كنّا نخرج في فسح المدينة، وكان النساء يخرجْنَ كل ليلةٍ في حوائجهن. فخرجت ليلةَ لبعض حاجتي ومعي أمّ مسطح، فو الله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مرطها -ثوبها- فقالت: تعس مسطح؟فقلت: بئس (لعمر الله)ما قلت لرجلٍ من المهاجرين شهد بَدْراً!!. .

قالت: أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر؟قلتُ: وما الخبر؟فأخبرتني بالذي كانَ أهل الإفك. قلت: أو قد كان هذا؟!. . قالت: نعم، والله لقد كان. .

قالت عائشة: فوالله ما قدرتُ على أَنْ أقضيّ حاجتي، ورجعت، فوالله مازلت أبكي حتى ظَنَنْتُ أن البكاءَ سيصدع كبدي. وقلتُ لأمي: يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدّثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً؟قالت: أي بنيّة، خففي عنك فوالله لقلّ ما كانت امرأة حسناء عند رجلٍ يحبّها، ولها ضرائر،

إلاّ كثرن وكثر الناس عليها. قالت: وقد قام رسول الله ﷺ فخطبهم ولا أعلم بذلك، –فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيّها الناس ما بال رجالٍ يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق؟. والله ما علمت عليهم إلاَّ خيراً. ويقولون ذلك لرجلٍ والله ما علمتُ منه إلاّ خيراً ولا يدخل بيتاً من بيوتي إلاّ وهو معي!(قالت: وكان كبر ذلك (أصل الفتنة)عند عبد الله بن أبيّ في رجالٍ من الخزرج مع الذي قال: "مسطح"و"حمنة بنت جحش"، وذلك أنّ أختها زَيْنَب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ ولم تكنْ امرأةٌ من نسائِهِ تناصبني في المنزلة عندهُ غيرها، فأمّا زينب فَعَصَمَهَا الله بدينها فلم تقل إلاّ خيراً. وأمّا "حمنة" فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضارنّي بأختها) .

فلمّا قال رسول الله ﷺ تلك المقالة، قال أسيد بن حضير: يا رسول الله، إن يكونوا من الأوس نكفكهم، وإن يكونوا من إخواننا الخزرج فمرنا أمرك، فوالله إنهم لأهل أن تضربَ أعناقهم. فقام سعد بن عبادة–وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً–فقال: كذبت لعمرالله، ما تَضرب أعناقهم، إنك ما قلتَ هذه المقالة إلاّ وقد عرفتَ أنهم من الخزرج، ولو مانوا من قومك ما قلت هذا .

فقال أسيد: كذبت لعمر الله، ولكنك منافق تجادلُ عن المنافقين .

وتساوَرَ الناس حتى كادَ يكون بين هذين الحيّين شرّ، فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا معشر المسلمين أبدعوى الجاهلية تدعون وأنا بين أظهركم وما زال بهم حتى تفرقوا، ونزل رسول الله .ﷺ

أخطر ما تكون أفعى النفاق...
عند فورة العواطف الجامحة .

فدخل عليّ ودعا "عليّ بنَ أبي طالب"و"أسامة بن زيد"فاستشارهما، فأمّا "أسامة"فأثنى خيراً ثم قال: يا رسول الله، أهلُك، وما نعلم منهم إلاّ خيراً. وهذا الكذب والباطل! .

وأما "عليّ"فقال: يا رسول الله إن النّساء لكثير. وإنّك لقادرٌ على أن تستخلفَ، وسَلْ الجارية فإنها تصدقك .

القائد الحق. . لا يغلبه هوى نفسه في قضاء الحق ويقيم الحق في بيته كما يقيمه في الناس .

فدعا رسول الله ﷺ "بربرة"يسألها، وقام إلأيها عليٌّ فقال: اصدقي رسول الله!فتقول: والله ما أعلم إلاّ خيراً وما كنت أعيب على عائشة إلاّ أني كنتُ أعجنُ عجيني، فآمرها أن تحفظه، فتنام عنه فتأتي الشّاة وتأكله!! .

قلتُ: ثم دَخَلَ عليّ رسول الله وعندي أبواي، وعندي امرأةٌ من الأنصار وأنا أبكي وهي تبكي، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا عائشة إنّه قد كانَ ما بلغك من قول النّاس، فاتقي الله، وإن كنت قد فارقتِ سوءاً ممّا يقول الناس، فتوبي إلى الله يقبل التوبة عن عباده. . قالت: فوالله، إن هو إلاّ أن قال لي حتى قلص دمعي، فما أحسّ منه شيئاً، وانتظرتُ أبواي أن يجيبا عنّي فلم يتكلما! .

قالت عائشة: وأيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأناً من أن ينزل الله فيّ قرآناً، لكنّي كنت أرجو أن يرى النبي عليه الصلاة والسلام في نومه شيئاً يكذّب الله به عني، لما يعلم من براءتي، أمّا قرآناً ينزل فيَّ، فوالله، لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك .

قالت: فلمّا لم أَرَ أبويَّ يتكلمان!قلتُ لهما: ألاّ تجيبان رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقالا: والله لا ندري بم نجيبه؟قالت: والله ما أعلم أهل بيتٍ دَخَاَ عليهم ما دَخَلَ على آل أبي بكرٍ في تلك الأيام. ثم قالت: فلمّا استعجما علي–سكتا–استعبرت فَبكيت ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله ممّا ذكرت أبداً، والله إني لأعلم لئن أقررتُ بما يقول الناس–والله يعلم إنّي بريئة–لأقولنّ ما لم يكن، ولئن أنا أنكرتُ ما يقولون لا تصدقونني. قالت: ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره، فقلت: أقول ما قال أبو يوسف .

{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}[1] .

قد تتفاقم الإشاعة وتبلغ حداً يصعب تجاهله. .

وحركة الدعوة معرضة لذلك كل يوم .

فوالله ما برح رسول الله مجلسه حتى تغشّاه من الله ما كان يتغشّاه، فسُجي بثوبه ووضعت وسادة تحت رأسه، فأمَّا أَنَا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فوالله ما فزعت وما باليت، وقد عرفتُ أنّي بريئة، وأن الله غير ظالمي. وأمّا

[1]سورة يوسف: 18 .

أبواي فوالذي نفسي عائشة بيده ما سُرّي (كشف)عن رسول الله ﷺ حتى ظننتُ لتخرجنّ أنفسهما فَرَقاً (خوفاً) أن يأتيَ من الله تحقيق ما قال الناس، ثم سرّي عن رسول الله لجلس، وإنّه لينحدر من وجهه مثل الجمان (المطر)في يومٍ شاتٍ من شدة العرق، فجلس يمسح العرق عن وجهه ويقول: "أبشري يا عائشة، قد أنزل الله عزّ وجلّ براءتك، فقلتُ الحمد لله، ثم خرجَ إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم الآيات .

{إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[2] .

ثم أمرَ رسول الله ﷺ بمسطح بن أثاثة وحسّان بن ثابت وحمنة بنت جحش وكانوا ممّن أفصح بالفاحشةِ فجلدوا حَدَّ القذف .

مَا بَعْدَ الإفْك:

هزّت حادثة الإفك كيان المجتمع الإسلامي، وأوشكت-لولا عناية الله-أن تمزّق وحدة الجماعة المسلمة، غير أنّ الله سبحانه وتعالى رَدَّ كيد المنافقين في نحورهم وأبطل مكرهم وتدبيرهم، ولكم كيد أعداء الإسلام ما توقف، ففي شعبان من هذه السّنة بدأت قريشٌ بالإعداد لحري شاملة، للقضاء على

[2]سورة النور: 10 .

الإسـلام بتحريض زعماء اليهود، وانطلق اليهود يجيشّـون قبائل العرب الكبرى لحرب المسلمين، وخُيِّلَ إليهم أن شوكة المسلمين قد كسرت في أحد، وأنَّ على العرب أن يشتركوا جميعاً في المعركة الحاسمة لاستئصال هذه البدعة الوافدة على وثنية العرب، وخلال أقلّ من شـهرين تمكن أعداء المسـلمين من حشـد عشـرة آلاف مقاتل من قبائل العرب، وعقدت المؤامرات مع اليهود الباقين في المدينة- بنو قريظة- .

وطلب من المنافقين داخل المدينة أن يمارسـوا دورهم في إثارة الفتنة داخل جيش المسلمين .

جند الطاغوت مختلفون في كل شيء غير أنهم متفقون على حرب الحق .

وما فرغ رسـول الله ﷺ من حادثة الإفك وذيولها، حتى كانت جيوش الأحزاب بألوفها المؤلفة في طريقها إلى المدينة .

الخَنْدَقُ :

-وفي مطلع شـوال خرجت قريش بجموعها من مكّة، وصـارت كلما مرّت بحيٍّ من أحياء العرب تسـتشـيرهم وتدعوهم للخروج معها حميّة وعصـبيّة جاهلية. واجتمع لقريش نحو عشرة آلاف مقاتلٍ مِنْ قريشٍ وسُلَيْمٍ وفزارة وأسد وأشـجع وغطفان. وأرسـل أبو سـفيان إلى النبيّ ﷺ مهدداً متوعداً، وبدا لقاء

الفصل وشيكاً قريباً. وجمع النبيّ ﷺ أصحابَهُ يشاورهم في الأمر، فقال سلمان الفارسي: يا رسول الله إنّا كنّا بأرض فارس إذا خفنا العدوّ خَنْدَقْنَا علينا .

الشورى منهج إسلامي أصيل
وتجارب الأمم وثقافاتها يجب أن تستخدم في خدمة رسالة الحق .

فسُـــرّ النبيّ ﷺ بذلك، لأنها خطّةٌ ما تعرفها العرب، ورأى أن المدينة تحيط بها حرّتان–جبلان–حرّة واقم وحرّة الوبرة، وأنّ جنوب المدينة منازل اليهود من بني قريظة وهم حلفاء معاهدون، كما إن بيوت المدينة المتلاصـــقة تمنع دخول جيش قريش من جهة بني قريظة. فلم يَبْقَ إلاّ شمال المدينة بين الحرّتين، وهو موضع لا يزيد على 5. 000 آلاف ذراع–2كم تقريباً– .

الثقة بوعد الله ونصره...
لا تلغي العمل بالأسباب والتزام وسائل الحذر .

ودعا النبيّ ﷺ الناس لحفر الخندق؛واسـتجاب الأصـحابُ للنداء، وامتدت تلك الأيدي الطاهرة تنكت الأرض بالمعاول والمساحي والرفوش .

–وقام النبيّ ﷺ يشـاركهم في حفر الخندق، وكانَ أمام أصـحابه يضـرب بالمعول ويغرف بالمسـحاة وينقل التراب حتى اختلف لون بشـرته للناس. ولقد تواصـل العمل لَيْلَ نهار، فالوقت عصـيب والأحزاب في طريقهم إلى المدينة، وبلغ الإرهاق برسـول الله ﷺ مبلغاً شـديداً، حتى إنه اتكأ أَن يمرّوا به لئلا ينتبه من نومه، ثم انتبه رسول الله ﷺ فوثب يقول: أفلا أفزعتموني، ثم قام إلى العمل وراح يرتجز :

اللهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

وقلّ الطعام واشتدّ السغب على المسلمين، حتى كان رسول الله ﷺ يشدّ الحجز[1] على بطنه من شدّة الجوع .

قائدُ الدعوة أوَّل الناس تضحية وفداءً
وليس في الإسلام :
شعب خادم لسلطان مخدوم .

وجاء جابر بن عبد الله إلى النبيّ ﷺ فدعاه إلى الطعام في بيته، وكان مع النبيّ رجلٌ أو رجلان، فنادى رسول الله ﷺ في الناس "يا أهل الخندق. . إنَّ جابراً قد صنع لكم سوراً–طعاماً–فحيَّ هلا بكم، فلما دَخَلَ جابر على امرأته قال: ويحك!، جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك كم طعامك؟فقال: نعم. قالت: الله ورسوله أعلم. وبارك الله في الطعام، وصار النبيّ ﷺ يسكب بيده الشريفة من القدر، حتى أكل منه أهل الخندق جميعاً، وبقي الطعام على حاله .

عناية الله تحيط برجال الحق
في المواقف العصيبة
وأسباب السماء ووسائل الأرض في خدمة رجال الحق .

(1) فائدة: ذكر السيوطي في الحاوي للفتاوى ج1 ص369 عن ابن حبان ما نصبه:
وأما لفظ الحديث: الحجز بالزاي وهو طرف الإزار فتصحف بالراء .

وضربَ سلمان بالمعول صخرةً فانكسر معوله منها، ولم تنكسر فكررّ مراراً والصخرة على حالها. فجاء النبيّ ﷺ فضرب بمعوله ضربةً لمعت تحت المعول برقة، ثم ضرب به ضربةً أخرى فلمعت تحته برقة أخرى، ثمَّ ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى، قال سلمان: قلتُ بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب؟قال: أوقدْ رأيتَ ذلك يا سلمان؟قال: قُلْتُ: نعم، قال: أمّا الأول فإنّ الله فتح عليَّ بها اليمن، وأمّا الثانية، فإن الله فتح عليَّ بها الشام والمغرب، وأمّا الثالثة فإنّ الله فتح عليّ بها المشرق .

في أحلك المواقف وأشدها. .
لا يتزعزع يقين المؤمن بنصر الله

{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} .

–وظهر النفاق على أشدّه، وصار المنافقون يهزؤون بالنبيّ ﷺ وأصحابه ويقولون: يعدنا محمّدٌ كنوز كسرى وقيصر واليمن وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهَبَ إلى بيت الخلاء. وجعلوا يتسللون إليى بيوتهم لواذاً، ويتربصون بالمؤمنين الدوائر ويرقبون ما تأتي به الأيام، وفيهم أنزل الله :

{وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (12) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (13)

وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (14) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (15) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (16) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (17)}[1] .

وخلال ستة أيام من العمل المتواصل تمكّن المسلمون من حفر الخندق، وكان طوله نحو خمسة آلاف ذراع حوالي 2كم، وعرضه نحو تسعة أذرع حوالي (4)أمتار، وعمقه بين 10. 7أذرع حوالي (4)أمتار أيضاً .

وما إن فرغ المسلمون من حفر الخندق حتى ظهرت طلائع الأحزاب بقيادة أبي سفيان، يقرعون طبول الحرب ويأملون بغنائم المدينة وبَسَاتينها .

{وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا...}[1] .

-أما المنافقون فإنهم رأوا الأحزاب صاروا كما وصفهم الله عزّ وجلّ :

{فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ}[2] .

ولما رأى المشركون الخندق وقفوا مشدوهين أمام هذه المفاجأة الحربية وقالوا :

---

[1] سورة الأحزاب: 12-17 .

[1] سورة الأحزاب: 19 .

: [2] سورة الأحزاب: 19 .

"والله إنّ هذه لمكيدة ما كانت العربُ تكيدها" وعلم الأحزاب معركتهم ليست يوماً أو بعض يوم، وأن الحسمَ غير ممكن بالبساطة التي كانوا يحسبون!!. .

فضربوا خيامهم قريباً من الخندق، وأخذوا يبحثون عن ثغرة في الخندق يقتحمون منها على المدينة .

وما إنْ وصل الأحزاب إلى المدينة حتى قام حيي بن أخطب اليهودي، زعيم بني النضير الذين أجلاهم النبيّ ﷺ من المدينة عقب أحد، قام إلى منازل بني قريظة يغريهم بنقض العهد مع النبيّ ﷺ ، وكان هو الذي أغرى قريشاً بمهاجمة المدينة، ووعدهم مؤازرة يهود بني قريظة .

أفعى الكيد اليهودي
أشد على الإسلام من مخالب المشركين .

وبعد تردٍ قصير تمكّن حييّ بن أخطب من إقناع كعب بن أسد القرظي زعيم بني قريظة بنقض العهد مع النبيّ ﷺ ، فبلغ ذلك النبيّ، فاستوثق من الخبر فعلم صدقه، ومع أن النبيّ ﷺ كتم الخبر عن النّاس، لكن سرعان ما ذاع الخبر في الناس بدعاية المنافقين، فاشتدّ البلاء وعظم الخوف، وانتشر المنافقون يرجفون في المدينة الأراجيف ويثبطون الهمم والعزائم .

وبدأ التراشق بالنبال بين الصّفين، وصارت كل حركة في المدينة مرصودة بسهام المشركين، والرّسول ﷺ مع أصحابه صامدٌ راسخ خلف الخندق، لا يشكُّ في نصر الله ووعده الأكيد .

وتمكّن بعض فرسان المشركين من اقتحام الخندق، وكان فيهم عمرو بن عبد ودّ العامري، وكانّ فارساً فاتكاً مغواراً لا يصمد أمامه أحدٌ، وَطَلَبَ المبارزة فخرجَ له عليّ بن أبي طالب. وما زال به حتى أجهز عليه، ففرّ أصحابه وانهزمت خيولهم، ووقع أحدهم في الخندق فقتله المسلمون. واشتد هجوم المشركين على المدينة، وصمد المسلمون لهم وقاتلوهم إلى الليل حتى شغلوا عن صلاة العصر، فصلّوها بعد المغرب .

وهمّت بنو قريظة بالإغارة ليلاً على المدينة. فكلَّفَ النبيّ ﷺ خمسمائة رجُلٍ بحراسة المدينة، واشتد الأمر على المسلمين، ورسول الله ﷺ يتابع الأحداث، ويلتجئ إلى ربّه عزّ وجلّ يلتمس المعونة والتأيّيد .

وقائع القدر لا تلغي وسائل الحذر
وعناية السماء لا تلغي العمل بوسائل الأرض .

ورأى رسول الله ﷺ شدة الأمر على المسلمين، فأراد أن يصالح قبيلة غطفان، التي شاركت قريشاً في جيش الأحزاب على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة، وينصرفوا عنهم، وبعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة سيّدي الأنصار يستشيرهما في ذلك فقالا: يا رسول الله أهو أمر تحبّه فنصنعه، أم شيءٌ أمرك الله به، فلا نترك أمر ربنا، أم هو شيء تصنعه لنا؟فقال: بل شيءٌ أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلاّ لأنني رأيت العرب قد رمَتْكم عن قوسٍ واحدة، وكالبوكم من كلّ جانب .

دعوة الحق دعوة سلام
قد تتخلى عن مكاسب تجارية
في سبيل حماية السلام .

فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كُنّا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبدُ الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلاَّ قِرَىً أو بيعاً، أفحينَ أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزّنا بك وبه نعطيهم أموالنا، والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلاّ السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فسُرَّ رسول الله ﷺ من ثبات المسلمين وصبرهم وقال له فأنت وذاك. فقام سعد بن معاذ فمزق الصحيفة، ولما تبرم .

وكان النبيّ ﷺ حريصاً أن يحقن دماء الناس ما استطاع، ومن أجل ذلك احتفر الخندق، وهمّ بمصالحة غطفان، ولقد كانت قريش من خلف الخندق تنعت المسلمين بالجبن والخوف، وتحثّهم على الخروج إليها، والرسول ﷺ صامت خَلْفَ خندقه، لا يَرُدُّ جهلهم بجهلٍ ولا طيشهم بطيشٍ .

وممّا قاله في ذلك شاعر المشركين (عمرو بن عبد ودّ العامري) :

ولقد بححت من الصياح لجمعهم هل من مبارز؟
ووقفت إذ جبن المشجع موقف القرن المناجز

وقال في ذلك شاعر قريش: (ضرار بن الخطّاب بن مرداس):

فأحجرناهم شهَراً كرتياً	وكنّا فوقهم كالقاهرينا
نراوحهم ونغدوا كل يومٍ	عليهم في السّلاح مدججينا

بأيدينا صوارم مرهفات		نقدُّ بها المفارق والشؤونا
فلولا خندقٌ كانوا لَدَيْهِ		لدمّرنا عليهم أجمعينا
ولكن حال دونهم وكانوا		به من خوفنا متعوذينا

وقال عبد الله بن الزّبعرى السّهمي :

شهراً وعشراً قاهرين محمّداً وصحابه في الحرب خير صحاب
لولا الخنادق غادروا من جمعهم قتلى لطير سغَّبٍ وذئاب

القائد الحكيم راسخ متين...
لا تزحزحه عن مواقفه معركة كلام فارغ .

كلّ ذلك كان يقع في سمع النبيّ ﷺ فلا يخرج عن حزمه وصبره، ولا ينفك عن إرادته في حقن دماء النّاس .

واستمر الحصار قرابةَ شهرٍ، والمسلمون بين ثلاثة قوى من المكر والحصار :

1-قريش والأحزاب شمال المدينة ومن حولها .

2-يهود بني قريظة جنوب المدينة .

3-المنافقون داخل المدينة .

والصحابة في صبرهم وإيمانهم يرقبون نصر الله، وكانوا يقلبون أبصارهم في السماء، يرقبون نصر الله، فالأمر جدّ، وقد بذلوا ما أمكنهم غير أن ما أحاط بهم من الجهد كان أقسى من احتمالهم .

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} .

وعلم الله صدق إيمانهم، وتدخَّلَت جنود الله فغيّرت الأحوال بأيسر السبل: { وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ}[1] .

وفي ذلك الموقف العصيب، جاء نعيم بن مسعود الأشجعي إلى رسول الله ﷺ مسلماً، وقال يا رسول الله: إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال رسول الله :ﷺإنّما أنت فينا رجلٌ واحد، فخذّل عنّا إن استطعت، فإنّ الحربَ خدعة! .

رجل الحق خبير بصير
وثيق الصلة بالحياة والواقع
يدبر المعركة بقانون الحرب
ويسوس الأمة بشريعة السلام .

فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال: يا بني قريظة قد عرفتم ودّي إياكم وخاصّة ما بيني وبينكم قالوا: صدقت لَسْتَ عِنْدَنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشـــاً وغطفان لا تؤثرّ فيهم الهزيمة، فالبلاد ليســـت بلادهم، أمّا بنو قريظة، فإن كانت الهزيمة فستدور الدائرة عليهم وعلى

[1] سورة المدثر: 31 .

أعراضهم، وقال لهم: فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم، فقالوا: لقد أشرتَ بالرأي .

ثم خرج نعيم حتى أتى قريشاً، فقال لهم: قد عرفتم ودّي لكم، وإنّه قد بلغني أمرٌ قد رأيت عليّ حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم، فاكتموه عنّي، فقالوا: نفعل فقال: تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمّد، وقد أرسلوا إليه، إنّا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ من القبيلتين، من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك، على من بقي منهم حتى نستأصلهم، فأرسل إليهم أن نعم. فإنْ بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً!. .

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم ما قاله لقريش. ولما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان عكرمة بن أبي جهل إلى بني قريظة، يطلبُ منهم الاستعداد للقتال في الغد، فقالت اليهود: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ولسنا مع ذلك نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقةً لنا، فإنا نخشى إن اشتد القتال أن تعودوا إلى بلادكم، وتتركونا والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه. فلمّا رجعَ عكرمة إلى قريش رهناً أبداً، فاخرجوا معنا إن شئتم، وإلاّ فلا عهد بيننا وبينكم، فقال بنو قريظة: صدق والله نعيم بن مسعود .

وخذل الله بينهم واختلفت كلمتهم .

رب حيلة أغنت عن قبيلة
كلمة الحكمة خير من طيش النصال .

ومكث المشـركون حول المدينة يوماً وليلة، حائرين لا يدرون ما يصـنعون، بعد أن استقّر في نفوسهم أنّ يهودَ بني قريظة قد تخلّوا عن مؤازرتهم ومناصرتهم. واشـتد البرد عليهم، وسـلّط الله عليهم ريحاً شـديدةً كفأت قدورهم وأطفأت نيرانهم، وانتزعت خيامهم وانكشـفوا أمامَ نبال المسـلمين، فعقدوا عزمهم على الرّحيل .

{فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (12) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ}

وقام أبو سفيان خطيباً في القوم يقول :

-يا معشـر النـاس، ارتحلوا فـإني مرتحـل,وَجَعَـلَ النـاس يلتقطون متـاعهم ويجمعونَ حوائجهم، بعد أن فرقتها الرّيح، وما طلع الصـبح إلاّ وقد صـرف الله كيد المشركين وردّهم بغيظهم لم ينالوا خيراً .

ونزل في ذلك قول الله عزّ وجلّ :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَـلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِـيرًا إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْـفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَـارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا}[1] .

[1]سورة الأحزاب: 9-10-11 .

وفيهم أنزل الله عزّ وجلّ :

{وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا}[2] .

-وتهلّل وجه النبيّ ﷺ وهو ينظر إلى أطلال القوم، وقال في ثقة :

"**الآن نغزوهم ولا يغزوننا**" .

وهتف المسلمون بلسان النّصر والشّكر:

لا إله إلاَّ الله وحده...

صدق وعده، ونصر عبده...

وأعزّ جنده وهزم الأحزاب وحده...

لا شيءَ قبله ولا شيء بعده... .

* * *

غزوةُ بَنِيْ قُرَيْظَة :

ولما انصرفَ رسول الله ﷺ من غزوة الخندق، وردّ الله الذين كفروا بغيظهم، كان لا بدّ أن يفرغ النبيّ ﷺ لأولئك الذين نقضوا العهد، ومارسوا الغدر، وكادت مؤامرتهم أن تزلزلَ دولة الإسلام، وهم يهود بني قريظة .

---

[2] سورة الأحزاب: 25 .

دعاة الحق لا يعرفون الراحة
فهم أبداً كموج البحر الهادر
لا يتراجع إلا ليتوثب ولا يْنحَسِر إلا ليشتد

وجاء جبريل الأمين إلى النبيّ ﷺ فقال: أوقد وضعت السلاح يا رسول الله...؟. فما وضعت الملائكة السلاح بعد، فإنّ الله عزّ وجلّ يأمرك بالمسير إلى بني قريظة! .

فنادى المنادي: من كانَ سامعاً مطيعاً فلا يصلينَّ العصر إلا في بني قريظة .

فخرج رسول الله ﷺ وأصحابه من فورهم، وما وافى المساء إلاّ وهم مجتمعون حول حصين بني قريظة. وأحكم النبيّ ﷺ الحصار حول القوم خمساً وعشرين ليلةً، حتى أجهدهم الحصار وقلّت مؤونتهم وأشرفوا على الهلاك .

وأرسل زعيمهم كعب بن أسد القرظي إلى النبيّ ﷺ يسأله العفو عن بني قريظة على أن يرحلوا بدمائهم وأموالهم .

فرفض النبيّ ﷺ ذلك، ثمّ عَرَضُوا أن يتركوا أموالهم ويفرّوا بدمائهم، فرفض النبيّ ﷺ لأنه علم أنهم ما يخرجون إلاّ ليواصلوا كيدهم ومكرهم للإسلام. فقد كان نقضهم للعهد وتآمرهم مع المشركين كلّه من صنيعة حيي بن أخطب زعيم بني النضير الذين عفا عنهم رسول الله ﷺ بعد يوم أحد. ولكنّ رسول الله ﷺ طلبَ إليهم أن يختاروا رجلاً من المسلمين يحكم بينهم، فاختاروا سعد بن معاذ، وكان حليفاً لهم وبينهم وبينه معاملات وتجارات، فرضي رسول الله ﷺ بذلك، وأرسل في طلب سعد بن معاذ، وكان سعد قد تخلف في المدينة لجراحةٍ

أصابته يوم الخندق، فجيء بسعد بن معاذ محمولاً على البعير، وصار المنافقون من حلفاء بني قريظة يسرّون في أذنه أن يحسنَ إلى القوم، ويعدونه ويمنونه وهو صامت لا يردّ .

حتى إذا نول عن ناقته واجتمع حوله رؤساء بني قريظة ورؤساء الصحابة، فقال سعد لليهود: عليكم عهد الله وميثاقه إن الحكم فيهم لما حكمت؟قالوا: نعم، ثم أشار إلى الناحيّة التي فيها رسول الله ﷺ وقال: وعلى من هنا؟فقال النبي :ﷺنعم .

فقال سعد بن معاذ: قد آن لسعدٍ أن لا تأخذَهُ في الله لومةُ لائم. ثم قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرّجال وتقسّم الأموال وتسبى الذراري والنساء فقال له النبيّ :ﷺ

لقد حكمت فيهم حكم الله من فوق سبع سموات[1] .

المسلم الحق لا تصرفه عواطفه عن كلمة الحق. . ولا يبالي بمصالحه في سبيل مصلحة الأمة .

[1] تعرضت قصة بني قريظة لمبالغات كثيرة وذهب بعض المؤرخين ان القتلى تجاوزوا الألف، وفي الواقع فإن سياق الروايات يدل ان الرسول الكريم عاقب عدداً من رؤوس الخيانة الذين اتصلوا بقريش وأغروها بغزو المدينة، وأولى الروايات بالقبول هي رواية ابن زنجويه في كتابه الأموال وفيها أن مجموع القتلى تسعة وثلاثون يهودياً، ومع ذلك فلم تذكر كتب السير إلا سبعة أسماء من قريظة تم قتلهم، أما السبايا فلا يوجد في كتب السنن ما يشير إلى سبايا قرظيات، وأغلب الظن أن النبي الكريم حجز النساء لايام أو لأسابيع ثم اطلقهن، ومنهن ريحانة القرظية التي كانت في سهم رسول الله فأعتقها وأكرمها، وكذلك فعل بباقي النساء، ومنهن مثلاً صفية بنت حيي التي كانت يوم قريظة ولم تقتل وإنما غادرت مع قومها إلى خيبر

وقدمت تلك الرؤوس الغادرة تفوح منها رائحة المكر والشّر والغدر، واصطفت بانتظار جزائها العادل، وعلا بكاء النّساء ونحيبهنّ وصراخهنّ، ولكن ما كان لهذا البكاء أن يثلم سيفَ العدالة والقسط، وما كان للنبيّ أن يفلت هذه العقارب والأفاعي لثغاء مباضعها وفحيح ذراريها، بعد إذ مكّنه الله من سمّها ونارها. وأمرَ بالرّجالِ فضربت أعناقهم إلاّ أفراداً منهم، صدق إيمانهم وتوبتهم ووزّعت سباياهم وذراريهم وأموالهم على المسلمين. وبذلك أراح النبيّ ﷺ المدينة مما بقي من سرطانها الخبيث .

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى .

–وفي منتصف ذي الحجّة عاد المسلمون إلى مدينتهم، بعد أن ردَّ الله كيدَ الأحزاب وخلّصهم من مكر يهود قريظة، ونزل في ذلك قول الله عزّ وجلّ:

{وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا}[1] .

وكان أوّل ما أصابهم في المدينة وداعهم لسعد بن معاذ، فقد انفجر به جرحه الذي أصابه يوم الخندق، وودّع الحياة راضياً قريرَ العين، بعد أن كتبَ اللهُ على يده شفاء المدينة من هذا الطاعون المزمن، طاعون المكر اليهودي .

---

[1] سورة الأحزاب: 25 .

ورُؤِيَ رسـولُ الله ﷺ يمشـي في جنازة سـعد على رؤوس أصـابعه، فسـئل في ذلك فقال: لقد شيَّعَهُ سبعون ألفاً من الملائكة!!...

السَّنَةُ السَّادِسَةُ لِلهِجْرَةِ "18 بَعْدَ البَعْثَةِ"

أهم حوادث السنة السادسة للهجرة :

1-استئناف إرسال سرايا الدعاة.

2-تطهير أطراف المدينة من بقايا اليهود ومقتل أبي رافع .

3-التفكير في موادعة قريش ومعاهدتها .

4-الخروج للحديبية وبيعة الرضوان .

5-صلح الحدبية وفيه :

1-اعتراف قريش بالدولة الإسلامية .

2-وضع الحرب عشر سنين .

3-قطع الأحلاف بين قريش واليهود .

6-فتح خيبر. . آخر معاقل الغدر في جزيرة العرب.

7-نزول سورة الفتح .

مضت خَمْسُ سنواتٍ والنبيّ ﷺ في المدينة لا يهدأ من تلقي الصدمات مواجهة المكائد .

وفي السّنة السادسة هدأ وضعُ المدينة بعد خلاصها من بني قريظة، وكسرت شوكة النفاق، ولم يبق في المدينة مصرّح بنفاقٍ بعد أن رأوا ما جرى لإخوانهم يوم الخندق وبنو قريظة، وأَمِنَ المسلمون في المدينة سائر هذه السّنة، باستثناء بعض الأخبار التي كانت تردُ عن عزم بعض القبائل على الاعتداء على المدينة. فكان

النبيّ ﷺ يذهب لتأديب هذه القبائل، أو يرسل مَنْ يؤدبها قَبْلَ تجمعَ قوتها لحرب المسلمين .

–سَرَاْيَا السّنة السّادسة :

–لقد كان جوّ الجزيرة العربية قبلياً، وكانت الحروب شائعة بين القبائل بهدف السلب والنهب، وكانت شريعة الصحراء :

"ومَنْ لاَ يَظْلِمِ النّاسَ يُظْلَمِ" .

وكان فيما حول المدينة أعرابٌ جاهليّون من بني فزارة وتميم، تحمشهم الحرب فيغيرون على بعض أطراف المدينة، وينهبون ويسرقون.

فكان النبيّ يرسل السرايّا المختلفة لردّ هذه الغزوات قبل أن تحصل .

فقد سار النبيّ ﷺ لغزو بني لَحيان، وهم الذين غدروا بأصحابه في الرّجيع فهربّ القوم ولم يلق قتالاً ً .

وسار إلى ماء "ذي قرد" إلى عيينة بن حصن الفزاري، وكان قد أغار على المدينة، وسلب ونهبَ وَقَتَلَ راعياً كانَ يرعى غَنَماً بظاهر المدينة، ولكنّ عيينة فرّ بمن معه، فلم يبق يلقه النبيّ ﷺ ، .

وأرسل سريةً إلى ذي القصَّة والجموم، وهي أسماء مواضع بظاهر المدينة فيها قبائل الأعراب .

وأرسل سريّة إلى العيص تعترضُ تِجارةً لقريش، فغنمت القافلة وأَسَرَتْ رجالها .

وأرسل سريةً إلى الطرف ووادي القرى ودومة الجندل والهجع، وكلّها لم يحصل فيها قتال، ولكنّها كانت تُرهب جموعَ الأعراب المتربصة بغنائم المدينة .

مقتل أبي رافع:

وفي شهر رمضان أرسل النبيّ ﷺ خمسةً من أصحابه من الخزرج لقتل أبي رافع "سلاّم بن أبي الحَقْيق، وكان أبو رافع من زعماء بني النضير، وساهم في جيش الأحزاب وأمدّهم بالمال وهو تاجرُ الحجاز الأكبر، ثم لجأ إلى يهود خيبر وأخذ يحرضهم على حرب رسول الله ﷺ ، فذهب الصحابة إليه وقتلوه في داره، فدفعوا بقتله حرباً كانت وشيكة الوقوع .

يختار أهون الضررين. .
إن كان لا بد من دم يراق. .
فدم الأفاعي أولى من دم الحمام .

-ولم تكنْ هذه السّرايا والغزوات التأديبيّة ذات أثر كبيرٍ على المدينة، فالعدد الذي كان يخرج فيها قليلٌ ولم يحدث ضجّة في المدينة، وهذا ما جَعلَ المدينة في أمانٍ واستقرارٍ .

وَفَرَغَ النبيّ ﷺ ليعلم النّاس دينهم ويوضح لهم أحكام الشّريعة، وكان ممّا شرّع في هذه السّنة الحج والعمرة .

-صَلْحُ الحُدَيْبِيَة:

في آخر السّنة السادسة وفي شهر ذي القعدة، رأى رسول الله ﷺ في الرؤيا أنّه يطوف بالبيت مع أصحابهِ، ورؤيا الأنبياء حق، فما هي إلا أن ذكرها لأصحابه حتى هاج شوق الصحابة لزيارة البيت، ويطوفوا به .

واجتمع حول النبي ﷺ ألفٌ وأربعمائة من أصـــحابه، كلهم يريد زيارة بيت الله الحرام .

وفي ذي القعدة خرج النبيّ ﷺ بهم معتمراً لا يريد حرباً، وســـاق معه الهدي، وأحرم بالعمرة ليأمن النّاس من حربِهِ، وليعلموا أنّه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظّماً له .

وارتفعت أصوات الصحابة من حول النبيّ ﷺ وهم يهلّلون ويكبرون :

"لبيك اللّهم لبيك، لبيك لا شـريك لك لبيك، إن الحمدَ والنعمة لك والملك لا شريك لك..." .

دعاة الحق رجال أشواق. .
حنينهم إلى السجود أعظم من فرحهم
بالغنائم وشوقهم إلى الله أكبر من حرصهم
على الحياة .

قريش تستعد لمواجهة الرسول :

وخرجَ رسول الله ﷺ حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي، فقال: رســـول الله، هذه قريشٌ قد سمعت بمســـيرك، فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل (وهي النوق الحلوب وأولادها) وقد نزلوا "بذي طوى" يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدّموها إلى "كراع الغميم". فقال رســـول الله :ﷺيا ويح قريش! لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين ســـائر

العرب، فإن هم أصـــابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني اللهُ عليهم دخلوا في الإسـلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوّة، فما تظن قريش؟فوالله لا أزل أجاهدُ على الذي بعثني الله به حتى يظهرهُ اللهُ أو تنفردَ به هذه السالفة!!. .

الرّسول يغيّر طريقه :

ثم قال: مّنْ رجلٌ يخرجُ بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟فقال رجل من بني أسلم: أنا يا رسول الله. فسلك بهم طريقاً وعراً كثير الحجارة بين شعاب، فلما خرجوا منه وقد شـقّ ذلك على المسـلمين، وأفضـوا إلى أرضٍ سـهلةٍ عند منقطع الوادي، قال رسول الله ﷺ للناس: "قولوا نستغفر الله ونتوب إليه". فقال: والله إنها للحطَّة[1] التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها .

وهكذا فإنَّ النبيّ ﷺ جهد أن لايلقى خيل قريش، حرصـــاً على حقن الدماء ونشـــر الإخاء، ومازال في مســـيره الذي ســـار فيه حتى نزل في ثنية المرار قرب الحديبية .

تجنب السفهاء سياسة حكيمة. .
ودعاة الخير لا يشغلهم نزاع طائش
عن مقاصدهم في نشر الإخاء .

فلمّا اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بديل بن ورقاء الخزاعي رسولاً من قريش في رجالٍ من خزاعة. فكلموه وسـألوه: ما الذي جاء به؟فأخبرهم أنه لم يأت يريد حَرْباً، وإنما جاء زائراً للبيت، ومعظّماً لحرمته، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان، فرجعوا

[1]إشارة إلى قوله تعالى" {وقولوا حطةٌ} ومعناه: اللهم حطّ عنا ذنوبنا.

إلى قريش فقالوا: يا معشـــر قريش، إنّكم تعجلون على محمدٍ، إنّ محمّداً لم يأتِ لقتالٍ وإنما جاء زائراً هذا البيت .

فاتهموهم وجبَّهوهم[1]وقالوا: وإن كان جاء لا يريد قتالاً، فوالله لا يدخلها علينا عنوةً أبداً، ولا تحدّث بذلك عنا العرب .

وكانت خزاعة على كفرها تنصح لرسول الله ﷺ ، مسلمها ومشركها، لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة .

ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف، فلما رآه رسـول الله مقبلاً قال: هذا رجلٌ غادر، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلمّه، قال له رسول الله ﷺ نحواً ممّا قال لبديل وأصحابه، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله .ﷺ

ثم بعثوا إِلَيْهِ الحُلَيْس بن علقمة–أو ابن زبان–، وكانَ يَومئذٍ سيّدُ الأحابيش وهم حلفاء قريش بمكة، فلما رآه رســـول الله ﷺ قال: إنّ هذا من قومٍ يتألّهون يعبدون الله ويعظمونه، فابعثوا الهدي[1]في وجهه حتى يراه .

رجل الدعوة خبير حكيم. .

يخاطب كل قوم بما يفقهون

ويسلك إلى قلوبهم أقوم طريق .

فلما رأى الهدي يســـيل عليه من عُرْض الوادي في قلائده، وقد أكل أوباره من طولَ الحبس عن محله، رجع إلى قريش ولم يصـل إلى رسـول الله ﷺ إعظاماً لما رأى.

---

[1]جبهّه: خاطبه بما يكره.

[1]الهدي: هو الأنعام التي يسوقها الحجاج للنحر في البيت الحرام.

فقال لهم ذلك، فقالوا له: اجلسْ فإنما أنت أعرابي لا علم لك. فغضب عند ذلك وقال: يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم!. أيصد عن بيت الله من جاء معظّماً له؟!والذي نفس الحليس بيده لتخلنّ بين محّمدٍ وبين ما جاء له أو لأنفرنَّ بالأحابيش نفرةَ رجلٍ واحد!فقالوا له: مه، كفَّ عنا حُلَيْس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي، فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ ، فجلس بين يديه ثم قال: يا محمّد، أجمعت أو شاب النّاس[2]ثم جئت بهم إلى بيضتك[3]لتفضّها بهم[4]؟إنّها قريش قد خرجت، معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوةً أبداً. وأَيْمُ الله لكأنّي بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً! .

فوثب أبو بكر الصديق وكان خلف النبي ﷺ فقال: امصص بظر اللاّت، أنحن نتكشّف عنه؟قال: مَنْ هذا يا محمّد؟قال: هذا ابن أبي قحافة. قال: أما والله لولا يدٌ كانت لك عندي لكافأتك بها، ولكن هذه بها .

ثم جَعَلَ يتناول لحيةَ رسول الله ﷺ وهو يكلمه. والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله في الحديد، فجعل يقرع يده إذا تناوَلَ لحية رسول الله ﷺ ، ويقول: اكْفُفْ يدك عن وجه رسول الله قبل أن لا تصل إليك!فيقول عروة: وَيْحَك!ما أفظّك وأغلظك! فتبّسم رسول الله ﷺ ، فقال له عروة: مَنْ هذا يا محمّد؟قال هذا

---

[2]الأوشاب: الأخلاط.

[3]بيضة الرجل: قبيلته وعشيرته.

[4]تفضّها: تكسرها.

ابنُ أخيك المغيرة بن شـــعبة. قال: أي غُدَر!. . ، وهل غســـلت ســـوأتك إلاّ بالأمس[1]، فكلمّه رسول الله ﷺ بنحو مما كلّم به أصحابه، وأخبره أنه لم يأتِ يريد حرباً .

فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه، لا يتوضأ إلاّ ابتدروا وضوءه، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلاّ أخذوه. فرجع إلى قريش فقال: يا معشـر قريش، إنيّ جئت كسـرى في ملكه، وقيصـر في ملكه، والنَّجاشـيّ في ملكه، وإنّي والله ما رأيت ملكاً في قومٍ قط مثل محّمدٍ في أصـحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيءٍ أبداً فروا رأيكم .

آداب الحب. . . .
تتلقاها الجوارح عن القلوب العاشقة
لا عن الخطب المدبجة .

وإنّ رســـول الله ﷺ دعا خُراشَ بنَ أميّةَ الخزاعي، فبعثَهُ إلى قريش بمكة، وحمله على بعيرٍ له يقال له: "الثعلب" ليبلغَ أشـــرافهم عَنْهَُ ما جاء له، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله، فمنعته الأحابيش فخلوا سبيله، حتى عاد إلى رسول الله ﷺ.

-الرّسول يرسل عثمان لقريش مفاوضاً :

ثم دعا النبي ﷺ عمرَ بنَ الخطاب ليبعثهُ إلى مكة فيبلغ عنه أشـــرافَ قريش ما جاء له، فقال: يا رسـول الله، إني أخاف قريشـاً على نفسـي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكني أدّلك على رَجُلٍ أعزّ بها منّي: عثمان بن عفان .

---

[1] كان المغيرة ثقفياً من قوم عروة وكان قد قتل قوماً في الجاهلية فوداهم عروة.

فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفّان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنّه لم يأتِ لحربٍ، وأنّه إنما جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمته .

المؤمن الحق. . لا يستنكف عن أمر قائده. ولكنه لا يوفر رأياً حكيماً فيه مصلحة الأمة .

فخرجَ عثمان إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حينَ دَخَلَ مكةَ أو قبلَ أن يدخلها، فحَمَلهُ بين يديه، ثم أجاره حتى بَلَغَ رسالةَ رسول الله ﷺ فانطلقَ عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغَ من رسالةِ رسول الله ﷺ إليهم: إنْ شئتَ أن تطوفَ بالبيت فطف. فقال: ما كنت لأَفْعَلَ حتى يطوفَ به رسول الله ﷺ ، واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان بنَ عفّان قد قتل .

بَيْعَةُ الرّضوان :

ولما بَلَغَ النبي ﷺ ما تَحدّث به الناس من قتل عثمان غضب غضباً شديداً، ثم جمع أصحابهُ تحت شجرةٍ قربَ ماء الحديبية، فدعاهم إلى المبايعة على الموت .

المؤمنون جسد واحد. .
إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى يحلمون. . ولكن لا يجبنون. يغضبون. . ولكن لا يظلمون .

فاجتمع حوله الأصحاب فبايعوه واحداً واحداً إلاّ رجلاً واحداً كان ضعيف الإيمان فاختبأ تحت ناقة. وفي هذه البيعة الصادقة نزل قول الله عزّ وجلّ :

{لَقَدْ رَضِـــيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّـــجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}[1] .

وإنّما سُمّيت بَيْعَةُ الرّضوان، لأنَّ الله رَضيَهَا وأثنى على أهلها .

ثم أتى رسول الله ﷺ أنّ الذي ذُكِرَ من أمر مقتل عثمان باطل .

ولما علمت قريش بما كان من أمر البيعة، وأيقنت أن المســـلمين قد عقدوا العزم على دخول البيت، بعثت ســهيل بن عمرو مفاوضــاً ومصــالحاً. وكان ســهيل بن عمرو وخطيب قريش، وكان زعيماً مطاعاً فيها، فلما رآه النبيّ ﷺ قال: أبشروا فقد سهل أمركم .

وقام النبيّ ﷺ إلى ســـهيل بن عمرو ويخبره بغاية قدومه، وأنّه جاء معتمراً زائراً للبيت، لا يريد حرباً ولا قتالاً، وســـهيل بن عمرو يلظُّ بالباطل ويراوغ في القول، حتى اتفق مع النبيّ ﷺ على صـــلح توضـــع فيه الحرب ويأمن الناس في شـــروط، ظاهرها لَيْسَ في مصلحة المسلمين .

رجل الهدى. . لا يوفر صلحاً فيه حقن الدماء.
.
إلا ويسعى إليه .

ثم دعا رسـول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب، فقال: اكتب بسـم الله الرحمن الرّحيم فقال ســـهيل: لا أعرفُ هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم، فقال رســـول الله :ﷺ اكتب باسمك اللهم، فكتبها، ثم قال: اكتب هذا ما صـــالح عليه محمد رســـول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل: لو شهدت أنّك رسول الله لم أقاتلْكَ، ولكن اكتب اسمك واسـمَ أبيك!فقال رسـول الله :ﷺوالله إني لرسـول الله ولو كذبتموني، ولكن اكتب: هذا ما صالح عليه محمّد بن عبد الله سهيل بن عمرو، .

---

[1]سورة الفتح: 17.

دعوة الحق لا يهمها لون الشعارات
طالما كانت مضامينها مبادئ راسخة .

واصطلحا على وضع الحرب عن النّاس عشر سنين يأمن فيها النّاس ويكفّ بعضهم عن بعض، على أنّه من أتى محمّداً من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممّن مع محمّد لم يردوه عليه! .

ومما جاء في نص الصلح: "وإن بيننا عيبة مكفوفة[1]وأنّه لا إسلال وإغلال-(لا سرقة ولا خيانة)-وأنّه من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

وأنّك ترجع عنّا عامَكَ هذا فلا تدخل علينا بمكة، وأنّه إذا كانَ عام قابل خرجنا عَنْك فدخلتها بأصحابِكَ، فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الرّاكب، السيّوف في القرب لا تدخلها بغيرها. " .

وثار الأصحاب لهذا الصّلح الظّالم في ظاهره، ووثبَ عمر بن الخطاب فأتى أبا بكرٍ فقال: يا أبا بكرٍ أَلَيْسَ برسول الله؟قال: بلى. قال: أولسنا بالمسلمين؟قال: بلى قال: أوليسوا بالمشركين؟قال: بلى. قال: فعلام نُعطِي الدّنية في ديننا!! .

قال أبو بكر: يا عمر ألزم غرزه-أمره-فإنّي أشهد أنّه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنّه رسول الله! .

ثم أتى رسول الله، فقال: ألست برسول الله! قال: بلى قال: أَوَلَسْنَا بالمسلمين!قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدّنية في ديننا؟ .

---

[1]ذكر في لسان العرب: أن الأزهري قال: أراد به أن الشر بيننا مكفوف.

قال: "أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره ولن يضيّعني" .

قيادة الدعوة. .
لا تقاد من عواطف الشباب الثائرة
بل من حكمة الشيوخ الناضجة .

وجعل معسكر الصحابة يغلي بالوجد، والنبيّ ﷺ فرحٌ راض بما أمضى مع القَوْمِ مِنْ مِيثاق .

طعم النصر. . قد يكون مراً كالعلقم للحاضر الشاهد
ولكن تأتي الأيام ببركاته وحلاوته
فتشرق بها أنفس الذين لا يتعجلون .

{وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}

-ولما أمضى رسول الله الكتابَ وأشهد عليه جماعةٌ من المؤمنين ورجالاً من الكافرين، جاء إلى معسكر المسلمين أبو جندل بن سهيل بن عمرو، وكان شاباً قد أسلم فوثقه أبوه سهيل بن عمرو بالحديد، لئلا يهاجر إلى المدينة وفيما كان أبوه يفاوض النبي، أعانّهُ بعض المستضعفين في مكة، ففكَّ أغلاله، وخرج إلى رسول الله بالحديبية .

فلما رآه سهيل بن عمرو وقامَ إليه يضربُ وجهه ويأخذ بثوبه، ثم قال: يا محمّد قد لُجَّتِ القضيّة بيني وبينك قبل أن يأتيَ هذا!. قال: صدقت .

فَجَعَلَ سهيلٌ يدفع أبا جندل ويلطمه، وأخذ غصناً من شوك فَجَعَلَ يضربه على وجهه إمعاناً في المكابرة، وإصراراً على الباطل .

وجعل أبو جندل يقول: يا معشر المسلمين، أَأُرَدُّ المشركين يفتنونني في ديني .

ورســـول الله يقول: يا أبا جندل، إنّا قد أعطينا القوم عهودنا ومواثيقنا، وإنّ اللهَ جاعلٌ لما ترى فَرَجاً ومخرجاً .

القائد الحكيم. .
يختار مواقفه على أساس من الخبرة والتفكير العميق
ولا تزحزحه عنها المواقف الهائجة. .
ولو تفطرت منها القلوب .

وانقلب الأصــحاب وبهم من الهم والغمّ ما لا يعلمه إلاّ الله، ووثبَ عمر بن الخطاب فمشــى إلى جانب أبي جندل، وجعل يدني مقبض السّـيف من كفّ أبي جندل ويقول: يا أبا جندل، إنما هم المشــركون وإنما دم أحدهم دم كلبٍ، وكان يريد أن يأخذ أبو جندل السّـــيف فيضـــربَ به أباه، وقال أبو جندل بعدئذٍ: والله ما منعني أن أصدّ أبي إلاّ خشية أن ينتقضَ ميثاق النبيّ .ﷺ

ثم قال رســـول الله ﷺ لِمَنْ معه من الناس: "قوموا فانحروا، واحلقوا وحلّوا، فلم يجبه أحدٌ إلى ذلك بعد أن بَلَغَ بهم الذهول كل مبلغ، فدخل مغضـباً على أم ســـلمة فقال لها: هلك الناس أمرتهم فلم يمتثلوا!!. . قالت أمّ ســـلمة: يا رسول الله، إنّ النّاس قد دخلهم أمرٌ عظيمٌ مما أدخَلْتَ على نفسكَ من المشقة في أمر الصـلح، ورجوعهم بغير فتح، فاخرج يا رسـول الله فلا تكلم أحداً حتى تنحر بدنَكَ، وتدعو حالقك فيحلقك .

فلما رأى الناس ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضـــهم يحلق لبعضٍ حتى كادَ بعضهم يقتل بعضاً من شدّة الغم .

الزوجة الصالحة. . تؤدي دورها الكبير. . بصدق وكفاءة إلى جانب الدعاة .

ولما انصرف رسول الله من الحديّبية، أنزل الله عليه :

{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}[1] .

فأقَبَلَ عمر بن الخطاب على النبيّ ﷺ وقال: يا رســـول الله، أو فتحٌ هو يا رسـول الله؟. فقال نعم والّذي نفسـي بيده إنّه لفتح. فعاد عمر يسـأل قال: يا رسـول الله، أَلَسْـتَ كنت تحدثنا أنّا سـنأتي البيت ونطوف به؟فقال النبيّ :ﷺ أكنت حدثّتكم أنّكم تدخلون هذا العام؟قال: لا. قال: فإنك آتيه فمطوف به إن شاء الله .

المؤمن ليس معصوماً من الشك. . يتردد ولكن لا يتمرد، لا يزال سؤولاً عقولاً حتى يبلغ اليقين .

[1] سورة الفتح.

وسأله عمر: فقال يا رسول الله كيفَ نردّ مَنْ جاءنا مسلماً ولا يردّون مَنْ رَجَعَ إليهم؟!...

فقال النبي :ﷺ"مَنْ ذَهبَ منا فلا ردّه الله، وَمَنْ جاءنا منهم فرددناه فإنّ الله سيجعل له فرجاً ومخرجاً" .

{وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}[1] .

وانقلب المسلمون إلى المدينة مع نبيّهم ﷺ وهم في حيرةٍ من أمرهم، فهم لا يشكون أنّه فتحٌ مبين، ولكنهم لا يفهمون كيف يكون ذلك الصلح المجحف نصراً مبيناً"!! .

وقد جاءت الأيام بصدق ما بشرهم به النبيّ .ﷺ

فقد كان العهد اعترافاً رسمياً بدولة الإسلام من أشد خصوم الإسلام عداوةً في جزيرة العرب .

وإذا عاهد القوي ضعيفاً كان معناه الإذلال والتوهينا

وقد انقطع بهذا الحلف كل نشاط النّفاق في المدينة، وصارت العرب تنظر إلى المسلمين نظرةً أخرى .

وهكذا ودّع رسول الله ﷺ السّنة السادسة، بعد أن هيأ فرصة السّلام الرابحة والتي ستعود على الإسلام بأعظم البركات في أمدٍ قريب... .

---

[1] سورة آل عمران: 144.

فتح خيبر :

بعد عودة النبيّ ﷺ من الحديبيّة بعشرين عاماً، نادى في المسلمين بنفير الجهاد إلى خيبر. فوصلها في أواخر ذي الحجة ومعه ألف وستمائة مقاتل. . وخيبر هي معقل اليهود المركزي في جزيرة العرب، ففيها قلاعهم وحصونهم وأموالهم، وإليها لجأ يهود قينقاع والنضير بعد إجلائهم من المدينة، وقد بدؤوا يعدّون العدة، ويستعدون للانتقام من المسلمين بعد أن رأوا ما حلّ بإخوانهم يهود بني قريظة .

وكان تحالف قريش مع اليهود أكبرَ خطرٍ يهدد الجماعة المسلمة في كل حين، فكانَ صلح الحديبية بمثابة قطعٍ لحلف التآمر بين يهود وقريش .

وكان مع النبيّ ﷺ ألفٌ وستمائة رجل، جلُّهم ممن شهد الحديبية، فضرب الحصار من فوره حول قلاع خيبر وحصونها، وتجهّز اليهود في ألفٍ وأربعمائة مقاتل، ولاؤهم مع سلام بن مشكم، فمكث المسلمون ستة أيامٍ، فلم يفتح عليهم أي حصنٍ من حصونها .

ثم قال رسول الله :ﷺلأعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبُّ اللهَ ورسولهَ ويحبّه اللهُ ورسولهُ!

فبات النّاس يذكرون أيهم يعطاها؟ .

فلما أصبحوا غدوا إليه متطلعين إلى أخذها، فنادى النبيّ ﷺ علي بن أبي طالب فأعطاه إياها، فقال عليّ: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟قال: أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ من أن يكون لكَ حمر النّعم .

وإنما ساقَ رسولُ الله هذا النّصح الرّشيد حتى يقطع تطلّع النفوس إلى المغانم المعجّلة، فإنّ ثروة اليهود (إذا هزموا) ضخمة. ولكن ثوابَ مقاتليهم إذا اهتدوا أكبر!!. .

الجهاد في الإسلام...
رسالة دعوة إخاء لا وسيلة كسب وثراء إن الله أرسل محمداً هادياً ولم يرسله جابياً .

-وابتدأ القتال حول الحصون، فجعلت تسقط واحداً إثر واحدٍ في أيدي المسلمين، فسقط حصن ناعم ثم حصن القموص بعد عشرين يوماً. وكانوا كلّما تهاوى حِصنٌ لجأوا إلى الذي يليه، حتى اجتمعوا في حصني الأظبية والوطيح، وتحصّنوا فيهما أشدّ التحصين، واستمر القتال أربعة عشر يوماً حول هذا الحصن، وبرز فيه من مقاتلي المسلمين عليّ بن أبي طالب وأبو دجانة، وكان حصناً منيعاً صعباً حتى نصبَ رسول الله المنجنيق وهم بهدمه .

ولما تيقنوا من عزم النبيّ ﷺ على هدم حصونهم، ورأوا أنهم مغلوبون لا محالة نزلوا فاستسلموا. وقد صالحهم رسول الله ﷺ بما صالح به بني النضير من قبل، على أن يخرجوا من خيبر ولهم ما حملت إبلهم فرضوا بذلك، ثمّ إنهم تضرعوا إليه أن يبقيهم على أرضايهم، بحيث يزرعونها بنصف ما تخرج من غلال، على أن تكون ملكيتها للمسلمين، فرضي رسول الله ﷺ بذلك على أن يخرجهم منها متى شاء .

وقد بقي اليهود في خيبر يزرعونها بنصف ما تخرجه من غلال، طيلة حياة النبيّ وخلافةَ أبي بكرٍ وشطراً من خلافة عمر، حيث أخرجهم منها لوقوع الغدر منهم في عهده .

وعقب انصرافه ﷺ من خيبر، أدرك أصحابه الكرام وهم يسوقون الغنائم العظيمة من خيبر أدركوا معنى الفتح الذي بشرهم به الله عقب الحديبية، وأنزل الله

عز وجل: {وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا} .

يهود فدك:

كانت فدك أرضاً من خيبر تسكنها يهود، ولم تكن ذات قلاع وحصون، ولذلك فإنهم ما إن انكشفت معركة خيبر حتى سارعوا في الدخول فيما دَخَلَ فيه إخوانهم في خيبر، وقسّمت أرضهم قسمة الفيء، بينما قسّمت أرض خيبر قسمة الغنائم.

زواج النبي ﷺ بصفية:

وعاد النبيّ ﷺ إلى مثل ما فعل مع بني المصطلق بزواجه من ابنة زعيمهم جويرية بنت الحارث، فتزوّج من ابنة زعيم بني النضير صفيّة بنت حيي بن أخطب، وكانَ أبوها قد خرج مع بني النضير يوم خرجوا إلى بني قريظة، وحرضهم على نقض العهد يوم الخندق، ثم خرجت هي مع زوجها سلام بن مشكم إلى خيبر، وقد قتل أبوها

يوم قريظة وقتل زوجها يوم خيبر وكانت هي في السبايا، فأعتقها رسول الله ﷺ وأكرمها وتزوّجها، وصارت من أمهات المؤمنين .

الداعية الحق. .
شديد الرحمة بالخلق. .
يبذل من راحة بيته ونفسه. .
ليخفف آلام الآخرين. . ولو كانوا على غير دين .

وبذلك فقد اندفع الناس إلى الإحسان في سباياهم وأسراهم من يهود خيبر، وذلك إكراماً لزوجة النبي .ﷺ

ورجع رسول الله ﷺ إلى مكّة بعد فتح خيبر في مطلع السّنة السّابعة .

خبر أبي نضير :

-أمّا مالظت فيه قريش من الباطل في صلح الحديبية فقد عادَ وبالاً عليها، إذ جاء إلى المدينة أبو بصير عتاب بن أسيد مسلماً فارّاً من قريش. وما هي إلا أن جاءت قريش في طلبه، فدفعه رسول الله ﷺ بحسب الميثاق والمعاهدة وقال :

"يا أبا بصير إنَّا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق إلى قومك" .

ومضى أبو بصير مع الرّجلين حتى خرجوا جميعاً من المدينة، حتى وفى بذمّة النبيّ ﷺ لكنّه أبى أن يسلم عنقه إلى جلاديه، وحاكمهم قبل أن يحاكموه، واحتال في الطريق عليهما فأخذ سَيْفَ أحدهما فضربَ به عنقه وفرّ صاحبه مذعوراً حتى أتى النبيّ ﷺ فأخبره بما كان، فما هي إلاّ أن طلع أبو بصير والسّيف بيده فقال: يا رسول الله قد وفيت بذمتك، وأدى الله عنك، أسلمتني بيد القوم وامتنعت بديني أن أفتن فيه! .

المؤمن. . حين يدعى للحق فهو حبيب وديع ولكنه حين يقاد لحكم الغاب أسد منيع!. .

فقال رسول الله: "ويل أمّه، مسعر حربٍ لو كان معه رجال" .

وخرج أبو بصير إلى ساحل البحر في موضع يقال له "العيص"، وأقام معتصماً بدينه معتزّاً بما استنار به قلبه من الإيمان، وقد أدرك أنه لا مأمَنَ له في مكة، ولا مقام له في المدينة، وصار يهدد قوافل قريش .

وتسامع المستضعفون المعذّبون في مكة بخبر أبي بصير، فرأوا في ذلك فرصةً يخلصون بها من أذى المشركين، ولا يحرجون رسول الله ﷺ فيما عاهد به القوم .

وكانَ أوّل من لحق بأبي بصير أبو جندل بن سهيل بن عمرو، وتبعه إخوانه من الضعفاء، حتى اجتمع إليه نحو سبعين، فكانوا أوّل منظمة فدائية في الإسلام، وجعلوا يهدّونَ كل قوافل قريش الظالمة، بعد أن منعتهم من حرية الاعتقاد في مكة، ونعمة الهجرة إلى المدينة .

يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم .

ولم يطل ذلك بالقوم، فسرعانَ ما جاء إلى النبيّ ﷺ وفدٌ من قريش، يرجونه أن يقبل أبا بصير ومَنْ معه في المدينة، وأن يلغي الشرط الثاني من شروط صلح الحديبية، والّذي ينصّ على عدم قبول المهاجرين إلى المدينة .

أمّا المهاجرات فلم يردَّ رسول الله ﷺ منهنّ أحداً أصلاً، فقد نزل عليه قولُ الله عزّ وجلّ :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ}[1] .

[1]سورة الممتحنة: 10.

السَّنَةُ السابعة لِلهِجْرَةِ "19 بَعْدَ البَعْثَةِ"

أهم حوادث السنة السابعة للهجرة :

1-عودة مهاجري الحبشة .

2- بدء قدوم وفود القبائل الملسلمة .

3-قدوم الأشعريين .

4-تعديل صلح الحديبية لمصلحة المسلمين بطلب قريش بعد قيام حركة أبي بصيرز

5- زواج النبي برملة بنت أبي سفيان وبدء تحول قريش إلى الإسلام .

6- إرسال الرسل إلى الملوك .

7- إسلام المنذر بن ساوى والنجاشي .

8-عمرة القضاء أول عرض حي للإسلام أمام عيون القرشيين .

دَخَلَتْ السّنة السابعة وقد استراحَ رسول الله ﷺ فيها من خصومه الرئيسيين. أما قريش فقد صالحها على أن يضع الحرب معها عشر سنين.

وأمّا اليهود فقد دكَّ آخر معاقلهم في خيبر، وصاروا أجراء المسلمين بلا عهدٍ ولا عقدٍ. وآن له ﷺ أن يهنأ بالسلام ليكون رجل السلام كما كان رجل الحرب .

عودة مهاجري الحبشة:

بعد صلح الحديبية مباشرةً، أرسل رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمّري إلى الحبشة، ليعود بالمهاجرين الأوائل إلى النبيَّ ﷺ وليخطب له رملة بنت أبي سفيان. فالتقى عمرو بالنجاشي وأخبره الخبر، فقدّم النجاشي سفينتين للمهاجرين، وبعثَ بشكره وهداياه للنبي ﷺ مع العائدين.

ووصل وفد المهاجرين إلى النبيّ ﷺ وهو في خيبر، فسُرَّ بهم سروراً عظيماً، وعانق ابنَ عمّه جعفر بن أبي طالب وكان رئيس الوفد، وقال: والله لا أدري بأيّهما أسرّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟. .

وكان قدوم المهاجرين بدايةً لمرحلة جديدة من الدعوة والجهاد، وسمّوا (أصحاب الهجرتين).

الزّواج برملة بنت أبي سفيان (أم حبيبة):

كان صلح الحديبية في الظاهر هدنة عسكرية بين طرفين متحاربين، ولكنّهُ كانَ عند النبيّ ﷺ بدايةَ ثورةٍ إصلاحيّة في جزيرةِ العربِ عموماً، وفي قريش بشكل أخصّ .

وقد انتقى ﷺ ألدَّ أعدائه من قريش (أبو سفيان) ليخوضَ معه هذه المرّة حرباً بلا سنان، غايتها قتل العداوة المستحكمة في قلبه .

-فأرسل إلى الحبشة عمرو بن أمية الضمري ليخطبَ له رملة بنت -أبي سفيان وذلك قبل أن يرجع المهاجرون إلى المدينة، وكانت من المسلمات اللواتي هاجرنَ إلى الحبشة، وكان زوجها عبيد الله بن جحش قد تنصّر فبقيت وحدها غريبة في

الحبشـــة، فزوجها له خالها عثمان بن أبي العاص، ودفع النّجاشـــي صـــداقها وهو أربعمائة دينار، وبعثَبها إلى النبيّ .ﷺ

فكان هذا الزّواج الكريم نقطة تحوّلٍ في حياة زعيم الشـــرك والوثنية في قريش أبي سفيان، ولما بلغه حبرُ الزواج وأن رسول الله قد غدا صهره لم يتمالك نفسه أن قال: "هو الفحل لا يجدع أنفه"، وذلك على عادته في الفخر والتعالي .

وبدأ بذلك غلواء الحقد الجاهلي العمى يتلاشى شيئاً فشيئاً .

كل الوسائل. . يستخدمها الداعية الحق

في تحويل البغضاء إلى محبة

وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين .

* * *

وهكذا. . فإنه ما إن صـــمتت طبول الحرب. . واجتمع شمل الأصـــحاب في المدينة، حتى انطلقت جحافل الهداية ومواكب الدعاة إلى الآفاق :

{يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا}[1]

ولول مرة طرقـت أسمـاع ملوك الروم والعجم وزعمـاء القبـائـل الكبرى دعوة التوحيد.

فكيف كان الجواب؟؟...

الدعوة الإسلامية. . دعوة سلام لا دعوة حرب. .

[1] سورة الحزاب: 39.

والعهد الذهبي لانتشار الدعوة، كان في شهور السلام التي تخللت كفاح النبي ﷺ.

مكاتبة الملوك :

كانت شعوب العالم في عهد البعثة تزرح نير الظلم والجهل والاستبداد، وكان لابدّ لنور النبوة أن يشرق في العالمين.

ولما استقرّ الأمرُ للنبيّ ﷺ بعد صلح الحديبية وفتح خيبر، تفرّغ للدعوةِ إلى الله عزّ وجلّ، فكتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام .

إلى هِرَقْل :

كانت بلادَ الشام تحت حكم الرّومان البيزنطيين؛وكانت عاصمتهم في القسطنطينيّة، وكان هرقل عاملاً للقيصر على بلاد الشام، وكان من أهل الكتاب وله علم بالكتب والنبوءات، وكان مراد النبيّ ﷺ أن يرفَعَ تسلطه عن أهل الشام، ليختاروا من الدين ما يرون أنه الحق، فأرسل إليه دحية بن خليفة الكلبي بكتاب هذا نصّه :

"بسم الله الرّحمن الرّحيم"

"من محمّد بن عبد الله، عبد اللهِ ورسوله إلى هِرَقْلَ عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتكَ اللهُ أجرَك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين .

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} .

وختمه بخاتمه الذي نقش عليه، محمّد رسول الله .

الداعية الحق. .
يختار أوسع الأبواب إلى قلوب محاوريه
فيسلك إليها بالحكمة والموعظة الحسنة .

فلما قرأ هرقلُ الكتابَ، أدرك بما أوتي من علم سابق أنّه النبيّ الموعود .

وَطَلَبَ من رجالِهِ أن يحضروا له وفداً من تجار مكّة الذين اعتادوا أن يتجروا في الشام فحضروا، وكان فيهم أبو سفيان بن حرب فاستنطقه أمام قومه، وأمرهم أن يكذبوه إذا كذب، فسأله: كيف نسبه فيكم؟فقال: هو فينا ذو نسب، فسأله: هل كانَ من آبائه من ملك؟قال: لا، فسأله: هل قال هذا القول منكم أحدٌ قبله؟، قال: لا، فسأله: فأشراف النّاس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟قال: بل ضعفاؤهم، فسأله أيزيدون أم ينقصون؟قال: بل يزيدون، فسأله: هل يرتد أحدٌ منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه؟قال: لا. فسأله هرقل: هل قاتلتموه؟قال: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إيّاه؟قال: الحرب بيننا وبينه سجال ينال منّا وننال منه، فسأله ماذا يأمركم؟ قال: اعبدوا الله وحده لولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصّلة. فقال هرقل لترجمانه: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه ذو نسبٍ فيكم، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحدٌ منكم هذا القول فذكرت أنه لا، فقلتُ لو كانَ أحدٌ قال هذا القول قَبْلَهُ لثقلت

رجلٌ يتأسى بقولٍ قيلَ قبله، وسألتك هل كانَ من آبائه من ملكٍ فذكرت أنّه لا، فلو كانَ من آبائه من ملك لقلتُ رجلٌ يطلب ملك أبيه. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قَبْلَ أن يقول ما قال فذكرت أَنْ لا، فقد أعرف أنّه لم يكن ليذر الكذبَ على الناس ويكذب على الله، وسألتك أَأَشْرافُ النّاس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحدٌ منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أَنْ لا، وكذلك الإيمان حين تخالطُ بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر فذكرت أَنْ لا وكذلك الرسل لا تغدر .

سلوك الدعاة جزء من رسالتهم دعوة الحق.
. شريفة الغاية نظيفة الوسيلة .

وسألتك بم يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصّلاة والصّدق والعفاف، فإنْ كانَ ما تقول حقّاً فسيملك موضعَ قدميَّ هاتين، وقد كنت أعلم أنّه خارج، ولم أكن أظنّ أنّه منكم، فلو أعلم أني أخلص إليه، لتجشّمت لقاءه، ولو كنتُ عنده لغسلْتُ عن قدميه .

الحق أبلج. . واضح من ذاته. . لا تنكره نفس
حر ما إن تشرق شمسه حتى يحس القلب دفئها
وحنانها .

ولما خرج أبو سفيان قال لأصحابه: لقد أُمِرَّ أمرُ ابن أبي كبشة، إنّه يخافه ملك بني الأصفر، وكان يقول بعد أن أسلم: ما زلتُ منذ لقيت هرقل موقناً أنه سيظهر

حتى أدخل الله عليَّ الإسـلام. ثم إن هرقل جمع دهاقنته وبطارقته وعظماء الرّوم في قاعة مغلقة، وخطب فيهم فقال:

"يا معشـر الروم: هل لكم في الفلاح والرّشـد وأن يثبت لكم ملككم. فاتبعوا هذا النبيّ"فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلّقت .

فلما رأى هرقل قد أغشى بصرَه بعد أن استبان له نور الحق، وأصمَّ أذنيه بعد أن أذن لصوت الإيمان .

عبيد الطين. . قلوبهم خربة
لا تقوى على مقاومة غرائز الطين
رغم ما ظهر لها من قوة الحق .

إلى كسرى :

-كانت العراق وفارس نحا الحكم السـاساني الفارسـي، وكان كسـرى هو الإمبراطور الفارسي عليها، وعاصمته المدائن، فأرسل رسول الله ﷺ إليه عبد الله بنَ حذافة السّهمي، وحمّله رسالةً هذا نصّها :

"بسم الله الرّحمن الرّحيم"

من محمّد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس، سلامٌ على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسـوله، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شـريك له، وأن محمّداً عبدُه ورسـوله، أدعوك بدعاية الله، فإنّي أنا رسـول الله إلى الناس كافة، لأنذر مَنْ كانَ حيّاً، ويحق القول على الكافرين. أسلم تسلم فإنْ أبيتَ فإنّما عليك إثم المجوس .

المؤمن الحق. . واثق بدعوته راسخ اليقين ينطق
بلسان الحق ور يرهب سيف الظالمين .

فلما قرأ كسرى الكتابَ مزّقه وصرخ في وجه الرّسول، ويلك. . لولا أن الرسل لا تقتل لمزقت جِلْدَكَ .

ثمَّ أرسل إلى (باذان) عامله على اليمن يأمره أن يوجه إلى محمّد ﷺ رجلين يحضرانه إليه ليضربَ عنقهُ .

فأرسلَ باذانُ رجلين في طَلَبِ النبيّ ﷺ، فقال لهما: من أمركما بهذا؟فقالوا ربنا (يريدان كسرى)فقال لهما: أبلغا صاحبكما أنّ ربّي قتل ربّه كسرى في هذه الليلة، وأنّ الله تبارك وتعالى سلّط عليه ابنهُ شيرويْه فقتله، فعادَ الرجلان وأخبرا باذان بخبر رسول الله ﷺ فما مكثوا غير بعيدٍ حتى وافت الرّسل مِنْ لَدُنْ فارس بما صنع الله بكسرى كما أخبر النبيّ ﷺ تماماً، وفي اليوم والساعة نفسها، وكان ذلك سبباً في إسلام باذان وَمَنْ معه من أهل اليمن، وقدومهم على النبيّ ﷺ في عام الوفود كما سنرى فيما بعد...

وهكذا...فإنّ كسرى ردّ أبشع ردّ، وأنكر أشدَّ الإنكار، ومزّق كتاب النبيّ ﷺ وما هي إلاّ بضع سنين حتى كانت جيوش القادسيّة تقرع باب المدائن، وتمزّق ملك كسرى وامبراطوريته، "ومانَ حقاً علينا نَصْرُ المؤمنين"...

إلى النّجاشيَ :

أما النجاشي فقد سبقت منه المودة وظهر منه التصديق، وأكرم وفادة المهاجرين وفاضت عيناه بالدمع لما سمع من الحق .

فأرسل إليه النبيﷺ عمرو بن أمية الضمري، وكان واحداً من أبرع الناس فصاحة ومنطقاً، وحمَّله كتاباً جاء فيه :

"بسم الله الرحمن الرحيم"

من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة .

أما بعد :

فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم الطاهرة البتول، الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه الله تعالى من روحه، ونفخه كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده، لاشريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني، فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى" .

الداعية الحكيم
يخاطب الناس بلسان المحبة والمودة والرحم
رغم ما في عقائدهم من انحراف وفساد .

فلما قرأ النجاشي الكتاب، تأثر به ونزل عن سريره وجلس على الأرض وقال: "لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته".

وتكلّم عمرو بن أميّة فأثنى على النَّجاشي لحبّه للحق، وأظهر له حبَّ النبيّ ﷺ له، وكان عمرو بن أميّة الضمّري حكيماً رائعاً في دعوته للنجاشي، فقال له:

"يا أصحمة...(وهو اسم النجاشي)إنّ عليَّ القول وعليك الاستماع، إنّك كأنّك في الرّقة علينا منّا، وكأنا في الثقة بك منك، لأنّا لم نظنُّ بك خيراً قط إلاّ نلناه، ولم نخفك على شيءٍ إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك، الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يردّ، وقاضٍ لا يجوز. وفي ذلك توقع الجَدّ، وإصابة الفصل، وإلاّ فأنت في هذا النبيّ الأمي كاليهود في عيسى بن مريم، وقد فرقّ النبيّ ﷺ رسله

في الناس فرجاك لما لم يرجهم، وأمنِك على ما خافهم عليه، بخير ســـالف، وأجرٍ ينتظر".

الداعية الحكيم لطيف القول منبسط الوجه يتحسس مساقط التأثير في القلوب الشاردة فيفيء بها إلى الحق .

ثم قال النّجاشي: "أشهد أنّه النبيّ الأمّي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل، وإن العيان لَيْسَ أشفى من الخبر، ولكنَّ أعواني من الحبشة قليلٌ، فانظرني حتى أكثر الأعوان وأُلَيِّن القلوب.

ثم كتب إلى رسول الله كتاباً دفعه إلى عمرو بن أميّة الضمري وفيه :

"بسم الله الرّحمن الرّحيم"

إلى محمّد رسول الله ﷺ من النّجاشي أصحمة، سلامٌ عليكَ يا نبيّ الله من الله ورحمة الله وبركاته، الله الذي لا إله إلاّ هو، أمّا بعد فقد بلغني كتابك يا رســول الله فيما ذكرت من أمر عيســى، فوربَّ السّــماء والأرض إنّ عيســى لا يزيد على ما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقد عرفنا ابن عمّك (جعفر بن أبي طالب) وأصــحابك، فأشــهد أنك رســول الله صــادقاً مصــدّقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمّك، وأسلمت على يديه لله ربِّ العالمين.

لقد علم النّجاشــي أن معرفة الحقّ تستلزم اتباعه، فلم يبال بعرشــه ولا بملكه في سبيل اتباع الخير والحق والهدى.

-إلى المنذر بن ساوى :

كان المنذر بن ساوى والياً على البحرين فكتب إليه النبيّ ﷺ كتاباً، يدعوه فيه وقومَهُ إلى الإسلام، وأرسله مع العلاء بن الحضرمي، فتكلم العلاء وعرض له الإسلام وأحسن في الكلام، فكان مما قال له: يا منذر: إنك عظيم العقل في الدنيا فلا تقصرنّ عن الآخرة، إنّ هذه المجوسيّة شرّ دين، لَيْسَ فيها تكرم العرب، ولا علم أهل الكتاب، ينكحون ما يستحيا من نكاحه ويأكلون ما يتكرم (ما يتنزه) عن أكله، ويعبدونَ في الدّنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة، ولَسْتَ بعديم عقلٍ ولا رأيٍ، فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب أن لا تصدقه، ولمن لا يخون أن لا تأمنه، ولمن لا يخلف أن لا تثق به، ولا زال العلاء يعرض عليه الإسلام، ويقيم له الحجج والبراهين حتى أسلم المنذر، .

دعاة الحق. . رجال موهوبون. في كلامهم حكمة وذكاء. . وفي وجوههم رحمة وشفاء .

ودعا قومه للإسلام، فمنهم من أسلم ومنهم من بقي على دينه، فأرسل إلى النبيّ ﷺ يستأذنه فيهم، فنهان النبيّ ﷺ أن يكرههم على الإسلام. ثم تتالى دخول الناس في الإسلام بعد، فما بقي في البحرين أحدٌ لم ينطق بشهادة الحق. وأقرّ رسول الله ﷺ المنذر على البحرين توفي في السنّة الحادية عشرة.

إلى مَلِكِ عُمَان :

كانت عُمَان تَرتبط ولاءً بقياصرة الرّوم، وكان لها ما يشبه الحكم الذّاتيّ، وقد وُليَّ الحكم عليها أخوان هما :

جيفر بن الجلندي وأخوه عبد بن الجلندي، فكتب إليهما رسول الله كتاباً مع عمرو بن العاص جاء فيه :

"بسم الله الرّحمن الرّحيم"

"من محمّد رسول الله إلى جيفر وعبد ابنّي الجلندي، سلام على من اتبع الهدى، أمّا بعد: فإني أدعوكم بدعاية الإسلام أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى النّاس كافّة، لأنذر مَنْ كان حياً ويحقّ القول على الكافرين، وإنكما إن أسلمتما وليتكما، وإنْ أبيتما أن تقرَّا بالإسلام فإنَّ ملككما زائل عنكما وخيلي تحلّ بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما".

ومضى عمرو بن العاص بالكتاب إلى عمان، فدخل على عبد بن الجلندي وهو الأصغر والأحلم منهما، فما زال به حتى أسلم، ثم أعانه على إسلام أخيه الذي راوغ واستكبر، ثم ما لبثَ أن فاءَ إلى الحقّ وهداه الله.

بعض الناس أقرب للهدى من بعض
والداعية الحكيم. .
يعالج نفور البعيد بإيناس القريب .

إلى المُقَوْقِسِ:

كانت مصر تحت حكم الرومان أيضاً، وكان لها ما يشبه الحكم الذاتيّ، والسيطرة فيه للأقباط وهم الغالبيّة من أهل مصر، ولقب زعيمهم "المقَوْقس"، فأرسل رسول الله ﷺ إليه حاطب بن أبي بلتعة، وحمّلَهُ كتاباً جاء فيه: "من محمّد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلامٌ على من اتبع الهدى، أمّا بعد: فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، أسلمْ يؤتك اللهُ أجرَك مرتين، وإنْ تولَيْتَ فإنما عَلَيْكَ إِثْمُ أَهْلِ القبط {ويا أَهل الكتاب إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألاّ نعبدَ إلاّ الله ولا نشركَ به شيئاً ولا يتخذ بعضُنَا بعضاً أرباباً من دونِ الله، فإنْ تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون}" .

فقال المقوقس: ما منعه إن كانَ نبيّاً أن يدعُوَ على مَنْ خالفه وأخرجَهُ من قومه؟فقال حاطب: ألسْتَ تشهد بأنّ عيسى بن مريم رسول الله، فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه ألا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله حتى رفعه الله إليه؟

الداعية الحق. . حاضر الحجة. .
قوي البرهان. . واسع الثقافة .

فأعجب المقوقس بذلك ورضيه، وكانَ قد سمع شيئاً عن الإسلام. ثم أنّه أَحْسَنَ وفادة حاطب وأكرمه وأحســـنَ منزله، وكتب إلى النبيّ ﷺ كتاباً فيه اعتذارٌ رقيق، وقولٌ شـــفيق، وأرســـل مع حاطب بن أبي بلتعة جملة هدايا النبيّ ﷺ فيها طبيبٌ وجارية، وهي (مارية القبطّية) التي أعتقها النبيّ ﷺ وتزوّجها، وأنجبت له ولده إبراهيم الذي مات صغيراً.

الجماعة المسلمة. .
توفي بعهد حليفها المسالم. .
ولو لم يوافقها في كامل الاعتقاد .

وقد بشرّ النبيّ ﷺ أصحابه بفتح مصر فقال:

"ستفتح عليكم مصر بعدي، فاستوصوا بالأقباط خيراً، فإنّ لكم فيهم صهراً ورحماً"، ولم يدخل المقوقس في الإسلام .

هذه بعض الكتب التي وصلتنا من مكاتبات رسول الله للملوك، وكما ترى فإنها وَصَلتْ إلى أعظم الملوك يومئذٍ، وكم كُنَّا نتمنى لو نقل لنا التاريخ بدقةٍ أكبر كل

الكلمات التي قالها أولئك الدّعاة، الذين خرجوا في الآفاق يبلغون رسالات النبيّ ﷺ.

وكان من أثر هذه المكاتبات أن دَخَلَ ملوك الحبشة وعمان واليمن والبحرين في الإسلام، ولا شك أنّ ذلك كانَ من أعظم الفتوح في الإسلام .

وحقق الإسلام في شهور قليلة بعد الحديبية ما لم يتحقق له طيلة فترة الرسالة، وما ذلك إلاّ لأنّ الإسلام دعوةُ فكرٍ وقلبٍ، تحتاج إلى ظروف الأمن والسلام، ليحمل دعاتُها نور هديها بالحجة الواضحة والبلاغ المبين، وهذا معنى قول الله عقب الحديبية: {إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً} .

قال الزهري :

"ما فتحٌ في الإسلام قبل الحديبية فتحٌ أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب، وأمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، لم يكلّم أحدٌ بالإسلام يعقل شيئاً إلاّ دخل فيه، ولقد دخَلَ في ذْينكِ السنتين بعد الحديبية مثل ما كانَ في الإسلامَ قيل ذلك أو أكثر!!. .

عُمْرَةُ القَضَاْءِ:

-وفي آخر هذه السّنة مضى النبيّ ﷺ في ألفٍ وخمسمائة من أصحابه، لأداء العمرة بحسب ما تنص عليه شروط عقد الحديبية: أن يعودوا في العام القابل فيقيموا ثلاثة أيّامٍ، واحتاط النبيّ ﷺ من غدر قريش، فجلب معه السّلاح وتركه قريباً من مكة، وخلّف عنده مائتي رجلٍ لحراسته .

المؤمن وفيّ طيب .

لكنه لا يفرط بوسائل الحيطة والحذر .

وصل رسول الله ﷺ مكة في اليوم السّابع من ذي القعدة، ليس معه إلاّ سلاح المسافر، السيوف في أغمادها. دخلوها مهللين مكبرين.

كان رسول الله ﷺ قد أعدّ لهذه الأيام الثلاثة برنامجاً متكاملاً، يعرض فيه الإسلام نظاماً وحيوية وقوة انسجاماً .

وكانَ دهاقنة قريش ورؤوس الكفر فيها قد توقعوا ذلك، فأمروا الناس أن يخرجوا من مكة طيلة هذه الأيام الثلاثة، حتى لا تقع أبصارهم على صورةٍ حيّة ناطقة لدين الحق فيميلوا إليه .

عقيدة الحق. . لا تحتاج إلى بريق السيوف ليظهر لألاؤها بحسبها أن تجد أذناً صاغية لتجد طريقها إلى القلوب .

غير أنّ عامّة أهل مكة لم يخرجوا ولم يستجيبوا، وشاهدت أعينهم لأوّل مرةٍ صورةً حيّة ناطقةً عن الإسلام الحق في المسجد الحرام والبيت الحرام. وبالفعل فقد بدأ رسول الله ﷺ ينفذّ ما رسمه وخططه، فكانَ للطواف والسّعي وأصوات التكبير والتهليل المنسجمة الصادقة، أعظم الأثر في نفوس عامّة قريش. وكان المشركون من قريش قد أشاعوا في الناس أن المسلمين أصيبوا بحمىً يثرب، وقد صفّوا له عند دار النّدوة لينظروا إليه وإلى أصحابه، فلما دَخَلَ رسول الله ﷺ المسجد اضطبع بردائه[1]وأخرج عضده اليمنى، ثم قال: رحم اللهُ امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوةً، ثم استلم الرّكن، وخرج يهرول وأصحابه معه، حتى إذا واراه البيت منهم واستلم الرّكن

[1]اضطبع: أدخل بعضه تحت عضده اليمنى وجعل طرفه على منكبه الأيسر.

اليماني، مشى حتى استلم الرّكن الأسود، ثم هرول كذلك ثلاثة أطوافٍ ومشى سائرها .

وكانَ لصوت بلال في الأذان سحر سرى في نفوس القرشيين، ورأى المستضعفون منهم كيف صعد ذلك العبد المعذّب في الهجير إلى ظهر الكعبة ليقول: الله أكبر. . الله أكبر .

وخلال هذه الأيام الثلاثة التقى رسول الله سراً وجهراً بعددٍ من سادة قريش، وكتب إلى آخرين يدعوهم إلى الإسلام، ويرفع من قلوبهم الشحناء.

وخلال هذه الأيام الثلاثة أيضاً، اختار رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث الهلاليّة، و كانت من شريفات قريش، وكلّف عمّه العباس أن يخطبَها له، وتمت الخطوبة في هذه الأيام الثلاثة، وتقرّر أن يكون الزّواج في اليوم الرابع. وهكذا فقد أراهم النبيّ ﷺ خلال هذه الأيام من قوته ما أراهم من حبّه، واراهم من عظمة الإسلام وعزّة أهله ما أراهم من بساطته وفطريته ورحمانيته .

...وفي اليوم الثالث انتقى رؤوس الكفر أشدهم غلظةً وفظاظةً، (حُوَيطب بن عبد العُزّى) ليقوم بإخراج النبيّ ﷺ من مكة .

فخرج حويطب في جماعة من المشركين إلى النبي ﷺ ثم قال :

يا محمد قد انقضى أجلك فاخرج عنّا! .

فقال النبي ﷺ: وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم وصنعت لكم طعاماً فحضرتموه .

فقال حويطب غاضباً: يا محمّد لا حاجة لنا في طعامك، فاخرج عنّا! .

فهمّ أصحاب النبيّ ﷺ ان يطردوا حويطب، وصرخ فيه سعد بن عبادة: كذبت، والله لا يبرح منها إلاَّ طائعاً راضياً. ليست بأرضك ولا بأرض أبيك، غير أنَّ النبي ﷺ نهاهم عن ذلك وقال برقة وحنان: يا سعد. . لا تؤذوا قوماً زارونا في رحالنا! .

الكلمة الطيبة. . عنوان دائم على شفة الداعية الحكيم
وهي أفعل في الإصلاح من الجيوش الجرارة .

ومع ذلك كلّه فقد خرج رسول الله من مكة كما يريدون، لكنّه أقام بـ"سَرِف"، وهو موضع جميل يبعد عن مكة نحواً من ستة أميال وهناك أقام حفلة الزّفاف ودعا إليها أهل مكة، وجعلَ الناس في مكة يتسربون إلى حفلة "سرف" بالرّغم من حنق سادتهم وغضبهم.

كل وسائل الألفة والحب. . في خدمة رسالة السلام
كل مصاهرات النبي. . كانت لخدمة الرسالة .

وفي "سرف" بسطت الموائد لوليمة هائلة كانت مليئة بالبهجة والسرور، ولم يبقَ واحد ممن حضـــر الوليمة من أهل مكة-وما أكثرهم-إلا وقد ارتفعت من قلبه البغضـــاء والشـــحناء التي اجتهدت قريش في زرعها فيهم طيلة عشـــرين عاماً من العداء المجنون.

وفي عمره القضاء جاء تصديق قول الله عز وجل: { لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ

بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}[1] .

وخرج رسول الله ﷺ من عمرة القضاء، وقد أدّى ما جاء من أجله في غاية النجاح، وقذف الرّعب والحب معاً في نفوس قريش، وهيأهم بذلك للدّخول في الإسلام فيما بعد .

وأفهمهم أنّهم بدخولهم في الإسلام سيكونون أكثر عزّاً، وأجمع كلمةً، وأكثر تعظيماً للبيت الحرام والشّهر الحرام .

وهكذا. . فقد كانت عمرة القضاء معرضاً إسلامياً ناجحاً في قلب عاصمة المشركين، جاءت ثمراته بعد حين .

[1] سورة الفتح: 27-29.

السنة الثَّامِنَةُ لِلهِجْرَةِ "20 بَعْدَ البَعْثَةِ"

أهم حوادث السنة الثامنة للهجرة:

1- القبائل المهتدية بسرايا الدعاة ترسل وفودها إلى المدينة.

2- إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة.

3- تمرد الحارث الغساني وقتله لرسول النبي ﷺ.

4- غزوة مؤتة أول لقاء بين المسلمين وبين الروم.

5- وفاة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة يوم مؤتة.

6- نقض بني بكر حلفاء قريش لصلح الحديبية واشتراك قريش معهم في محاربة خزاعة (حلفاء النبي ﷺ).

7- الفتح الأعظم "فتح مكة".

8- إسلام أبي سفيان.

9- إسلام معظم زعماء قريش.

10-الخروج لملاقاة هوزان وغطفان في غزوة حنين.

11-حصار الطائف إلى دخول الشهر الحرام.

12-توزيع غنائم حنين ثم رد السبايا إلى أهاليهن.

13-عمرة الجعرانة.

14-تعيين عتاب بن أسيد والياً على مكة وإعلانها مدينة إسلامية.

15-عودة النبي ﷺ إلى المدينة.

بعد مكاتبة الملوك ودخول بعضهم في الإسلام وبعد عمرة القضاء، وما تركته من أثر طيّب في نفوس القرشيين، وما دخلهم من حب وإكبار للنبيّ ﷺ وأصحابه، أدرك السادة في مكة أنّه لم يعد بالإمكان جرّ الناس إلى حرب جديدة مع النبيّ ﷺ ، وبدأ عقلاء مكة تدريجياً يتحولون إلى الإسلام.

إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة:

كانت قريش تعدّ خالد بن الوليد ليتبوأ مكانة أبيه "الوليد بن المغيرة" شريف قريش وسيدها، وهو الذي قال فيه المشركون ما حكاه الله عنهم:

{وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ}[1].

فالقريتان: مكة والطائف، وعظيم مكة: الوليد بن المغيرة، وعظيم الطائف: عروة بن مسعود الثقفي. والحق أنّ خالداً كان يملك من صفات الزعامة والسيادة ما كان لأبيه، وقد كان قائد الخيل في حروب قريش، وكانت خيله هي التي التفت خلف المسلمين يوم أحد، وغيّرت نتيجة المعركة. وقد عَرَفَ رسول الله ﷺ منزلة خالد، فَجَعَلَ يدعوه إلى الإسلام ويرغبه به. وكانَ الوليد بن الوليد أخو خالد قد أسلم وهاجر إلى المدينة، وصحب النبي ﷺ ، فأمر النبي ﷺ أن يكتب لخالد بن الوليد فكتب إليه:

---

[1] سورة الزخرف: 31.

"بسم الله الرّحمن الرّحيم"

أمّا بعد: فإني لم أر أعجبَ من ذهاب رأيك عن الإســـلام، وعقلك... عقلك، ومثل الإسـلام يجهله أحدٌ؟! وقد سـألني رسـول الله عنك فقال: أين خالد؟! فقلت: يأتي الله به فقال: ما مثله يجهل الإســـلام، ولو كانَ يجعل نكايته مع المســـلمين على المشـــركين لكانَ خيراً له، ولقدمناه على غيره. فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة".

توجيه الدعوة إلى الأشراف
يأتي بمن وراءهم من الناس.

وما زال خالد في صـــراع بين هوى نفســـه وفطرة قلبه، حتى كان يوم عمرة القضاء، ووقع في قلبه حسن ما رأى من صلاة المسلمين، وطوافهم، وكتب إلَيْهِ النبيّ ﷺ خفية: "يا خالد.... أسلمْ أَعْطِكَ أعنّة الخيل".

الداعية الحكيم. . يسلك مع الناس كل سبل الهداية
بإقناع العقل. . وري القلب. . وإرضاء الطموح.

أما عمرو بن العاص فلم يكن يقل عن خالد شأناً ودهاءً، وكان أبوه العاص بن وائل من دهاة قريش وسادنها، وقد هيأ ولدَهُ عمراً لتسلّم الزعامة في قريش، وكان عمرو من أفصـح النّاس منطقاً وأحسـنهم وجهاً، وكان عمر بن الخطاب إذا رأى رجلاً عاثراً أو عيياً يقول: أشهد أن خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد، وقد أقام عمرو بدهائه وشـخصـيته الفذة صـداقات حميمة مع عددٍ من الملوك، أشهرهم النّجاشي ملك الحبشة.

وبذلك ترى أنّ خالداً وعمرو كانت تتنازعهما قوتان، قوة الزّعامة التي كانت تمد لهما أسبابها، وقوة الإيمان الذي بدأ يشرق في النفس.

أعظم الناس عقولاً ومعرفة
هم أجدر الناس بمعرفة الحق.

فما هي إلا أن انصرف النبيّ ﷺ من عمرة القضاء، حتى خرج خالدٌ في إثره يتطلب سبيل الحق، ولقي في الطريق عثمان بن طلحة يبتغي الإسلام والهجرة، وهو ابن طلحة بن أبي طلحة سادن الكعبة وكانَ قد قتل يوم أحد، فكانت السدانة لولده عثمان فسار الرّجلان يقصدان المدينة المنورة، ولقيا في الطريق عمرو بن العاص، وكانَ قد وقع في قلبه ما وقع في قلب خالد، فسار الثلاثة حتى أتوا رسول الله ﷺ ، فلمّا رآهم سُرَّ بهم وقال لأصحابه: رمتكم مكة بأفلاذ أكبادها (خير أبنائها)، وتقدّم خالدٌ فقال: إنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك رسول الله، فقال له النبيّ ﷺ: **"الحمد لله الذي هداك، قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلاّ إلى خير"**، فقال خالد: يا رسول الله ادع الله أن يغفر لي تلك المواطن التي كنت أشهدها عليك، فقال له: **"الإسلام يجبُّ ما كان قبله"** ثم تقدم عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة فبايعاه على الإسلام.

تجدون الناس
معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا.

سرايا الدّعاة:

-السـرّية هي الجماعة التي تخرج بأمر النبيّ ﷺ في مصـلحةٍ من مصـالح المسـلمين، وقد بَعَثَ رسـول الله ﷺ في حياته ما يزيد على الثلاثين سـرية، تعددت أغراضها.

وفي هذا العام أكثر النبيّ ﷺ من سرايا الدّعاة إلى سائر الجزيرة العربية.

مجموعة كعب بن عمير:

أرسل النبيّ ﷺ كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر داعياً إلى بني قضاعة من أرض الشّام، فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم، وكان ردُّهم أبشع ردّ، ثم إنهم عمدوا إلى رسل النبيّ ﷺ يقتلونهم، فدافع الأصحاب عن أنفسهم حتى اشتدّ ضرب المشركين، وقضوا شهداءَ أبراراً وهم يبلغون رسالة الله.

الدعوة تضحية وفداء.
كانوا يخرجون من أجلها عن ديارهم وأموالهم.

مجموعة أبي عبيدة بن الجراح:

وفي رجب أرسـل أبا عبيدة بن الجرّاح في ثلاثمائة رجلٍ فيهم عمر بن الخطاب، بغرض نشر الدّعوة بين القبائل السّاحليّة.

وهكذا فقد انتشر المئات من أصحاب رسول الله ﷺ في مختلف أنحاء الجزيرة العربيّة ينشـرون الدعوة، ويعلمون الناس أمر دينهم، وكان الكثير من الدّعاة ينزل عند القوم ويقيم فيهم، ويموت عندهم، وهو يبلغهم رسـالة الله. وقد آتت تلك البعوث أكلها، وبدأت الوفود تقدم على النبيّ ﷺ مبايعةً على الإسلام.

وقد جعلْنَا الحديث عن الوفود في السنة التاسعة، لأنها سميّت: "عام الوفود"، ، وإنْ كانَ الكثير من الوفود قد حضر قبل ذلك.

غزوة مؤتة: (جمادى الأولى):

تسمّى معركة مؤتة: (غزوة مؤتة) مع أنّ النبيّ ﷺ لم يشهدها، وهي السّرية الوحيدة التي سميّت "غزوة" من سرايا النبيّ ﷺ ، وذلك للظروف التي أحاطت بها، ولضخامة جيش الرّوم فيها، وسبب هذه الغزوة أن النبيّ ﷺ كان قد أرسل الحارث بن عمير إلى ملك بصرى، يدعوه إلى الإسلام، وقبل أن يصل، تمنع قَتْلَ الرسل والسّفراء والتعرض لهم، فكانت هذه الحادثة تحدياً للمسلمين، وصارت بمثابة إعلان الحرب عليهم، فلم يكن أمام النبيّ ﷺ بدٌّ من إرسال جيشٍ لقتال الرّوم، فأرسل في جمادى الأولى من هذه السنة جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، وقال لهم: أمير القوم زيدٌ بن حارثة، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، فإن قتل فليرتض المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم.

الأمة المسلمة. . وديعة طاهرة
لكنها لا تسكت على ضيم يقترفه الطاغون
دم المسلم أمانة غالية في عنق المسلمين
لا ترفأ جفونهم حتى تعود للأمة عزتها.

وانطلق الجيش من المدينة قاصداً بلاد الشّام مزّوداً بوصايا رسول الله ﷺ ، مشيّعاً بدعوات المسلمين، وعلم الروم بخروج جيش المسلمين، فجيشوا جيشاً كبيراً: مائة ألف من الروم، ومائة ألفٍ من نصارى العرب. وتردد المسلمون في دخول هذه المعركة غير المتكافئة مطلقاً 200/3؟!!. .

إلاّ أنّ عبد الله بن ر واحة قام فقال: يا قوم إن التي تكرهونها لهي الشهادة التي خرجتم تطلبونها، والله ما كنّا نقاتل الناس بكثرة عددٍ ولا بكثرة سلاح ولا بكثرة خيول، وما نقاتلهم إلا بهذا الدّين الذي أكرمنا الله به، انطلقوا فوالله لقد رأيتُنا يوم بدرٍ ما معنا إلاّ فرسان، ويوم أحد ما معنا إلا فرسٌ واحد، انطلقوا فإنّما هي إحدى الحسنيين، إمّا ظهورٌ عليهم فذلك ما وعدنا الله ورسوله، وإمّا الشهادة. فنلحق بإخواننا نرافقهم في الجنان.

وألهبت هذه الكلمات جيش المسلمين، فَمَضوا إلى لقاء العدو لا يبالون بشيءٍ، والتقى الجيشان في قرية مؤتة، وقاتل زيدٌ براية رسول الله ﷺ حتى قتل، فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب فقاتل بها حتى قطعت يمينه، فأخذَ اللّواء بيساره فقطعت يساره فاحتضنه بعضديه حتى قتل، وقد أصيب بتسعين طعنة، .

المسلم الحق. .
يموت وراية الإسلام نصب عينيه.

فأخذ الراية عبد الله بن رواحة وقاتل بها أشدّ القتال، حتى نسي نفسه وصار يرتجز:

-يا نَـفْـسُ إلاّ تـقـتـلـي تمـوتي		هـذا حيـاض الموت قـد صـــليـتِ
-ومـا تمـنـيـتِ فـقـد أعـطـيـتِ		إن تـفـعـلـي فـعـلـمـهـا هُـديْـتِ

فجاءه ابن عمّ له بقطعةٍ من اللحمِ، وقال له: شـدّ بهذا صُـلْبَكَ فإنّك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت فأخذها، وأكل منها لقمةً ثم سمع صَـوتاً من جانب الميدان، فرمى بالطعام وقال لنفسه: وأنتِ في الدّنيا!!، وقام فقاتل حتى قتل.

وهكذا فقد قضى الشهداء الثلاثة في ساعات قليلةٍ نحبهم، وسقطت الرّاية.

واجتمع ناس من أصـحاب النبيّ ﷺ حول الرايّة، فدفعوها إلى خالد بن الوليد، فكانت معه إلى آخر النهار.

وجمع خالد بن الوليد إخوانه في اللّيل، ورأى أن الحكمة تقضـي أن يضـع حداً للمعركة، فالحماس وحده لا ينفع شيئاً في هذه المعركة غير المتكافئة.

الحرب خدعة.

والقائد الحكيم. . لا تقوده الشجاعة إلى الانتحار

ولا يحمله ضعف موقفه على الفرار.

وقد ظهرتْ عبقرية خالد العسـكريّة في هذه الغزوة حيث أمن انسـحابَ الجيش ببراعة، من غير أن يسـيء إلى سمعته، وبأقل الخسـائر الممكنة فجعل الميمنة محل القلب، والقلب محل الميسـرة، والميسـرة محل الميمنة، وأمرَ رجالاً أن يثيروا نقع الغبار بخيولهم كل ساعة.

فلما أصبح الرُّوم، ورأوا اختلاف الوجوه والرايات ثم رأوا نقع الغبار يثور كل ساعة، وقع في نفوسهم أن مدَدَ القوم متصل، وأن النّجدات تردهم كل ساعة ففتر حماسهم، ووقع الخوف في نفوسهم، فناوشهم خالد حتى ألجأ بعضهم إلى الفرار ثم رجع بجيشه إلى الصحراء، فظنّ الروم أنه يستدرجهم إليها فلم يتبعوه.

وبذلكَ ضَمِنَ خالد سلامة الجيش الصغير، وعاد به إلى المدينة، بعد أن ترك الجيش الرّومي الجرّار في حيرةٍ خائبة: لا يدرون أهم في نصر أم هزيمة؟!...

ولا يفهمون، هل انتهت المعركة أم هم في مناورةٍ غير مفهومة؟. .

ولما رجع خالد بجيش مؤتة، صار الأطفال والنّساء في المدينة يقولون: أنتم الفرّارون.

فنهاهم رسول الله ﷺ وقال: بل أنتم الكرّارون إنْ شاء الله. وسمّى النبيّ ﷺ خالداً ذلك اليوم: سيف الله المسلول.

قد يُغلب المسلم يوماً
ولكن لا يجوز أن تغلب إرادته.

وما كان رسول الله ﷺ ليترك يوم مؤتة لشماتة خصوم الإسلام، وتجرؤ الأعراب والرّوم على المدينة، فأرسل سرية أخرى بقيادة عمرو بن العاص، وأردفها بسرية أبي عبيدة بن الجّراح فقامت بمطاردة الأعراب الذين اشتركوا مع الرّوم يوم مؤتة، وسميت هذه الغزوة: ذات السلاسل. ولم يحصل في تلك الوقائع قتال يذكر، غير أنها قطعت شماتة الأعراب يوم مؤتة.

وهكذا فإنه باستثناء سريتي مؤتة وذات السلاسل، فإن الفترة التي أعقبت صلح الحديبيّة وفتح خيبر كانت فترة سلام وأمن، وقد قام دعاة الإسلام فيها بدورهم الكبير في هداية النّاس وتعليمهم وإرشادهم.

ولكن بقيت عيون المؤمنين معلّقة بمكة، وهي بحسب صلح الحديبية، ستبقى تحت حكم قريش عشر سنين، ولَيْسَ للمؤمنين أن يدخلوها إلا بإذن قريش وإشراف رقبائها. وصارت قلوب المؤمنين تسأل الله مكة...فماذا كانَ خلف ستار الغيب. . ؟...

نَقْضُ صُلْحِ الحُدَيْبِيَة:

كانت خزاعة قد دخلت في حلف النبيّ ﷺ بعد الحديبية، كما دخلَ بنو بكرٍ في حلف قريش، وكان بين الحيين ثأر جاهلي قديم.

وفي شعبان من السّنة الثامنة ثار بنو بكر على خزاعة، يصيبون منهم ثأرهم، ولجأت خزاعة إلى الحرم تستجير به، فلم تهدأ ثائرة بني بكرٍ وجعلت قريش تظاهرهم وتؤيدهم حتى أصابوا من خزاعة مقتلةً عظيمة.

وسارعت خزاعة إلى المدينة المنورة تناشد النبيّ ﷺ حلفها المتين، وقال رسولهم: عمرو بن سالم:

-يا رب إنّي ناشدٌ محمداً	حِلْفَ أبينا وأبيه الأتلْدا[1]

[1] الأتلد: القديم.

-إنَّ قريشاً أخلفوك الموعدا		ونقضوا ميثاقك المؤكدا
-هم بيَّتونا بالوتير هجّدا		وقتلونا ركّعاً وسجّداً
فانْصُرْ هداك الله نصراً أعتدا[2]		

-فلم يزد النبيّ ﷺ أن قال: "نصرت".

القائد الحكيم. . حريص على الوفاء لأحلافه لكن مواقفه لا ترسمها المواقف الهائجة.

-وأدركت قريش سوءَ صنيعها، وعلمت أن النبيّ ﷺ وعد خزاعة بالنصرة، وانخلعت لذلك قلوب المشركين، وسرعان ما جاء أبو سفيان إلى المدينة. وكان النبيّ ﷺ قد قال: كأنّي بأبي سفيان قد جاءكم ليشدّ في العقد ويزيد في المدة.

وكلَّم أبو سفيان النبيّ ﷺ في أمر الصلح، فلم يردَّ عليه بشيءٍ ثم غدا إلى أبي بكر وعمر وعلي فلم يشفعوا له بشيء.

ودخل على ابنته رملة زوجة النبيّ ﷺ ، وكانت قد هاجرت إلى الحبشة، ثم تزوّجها النبيّ ﷺ على ما بيَّنا، فطوت عنه الفراش، فعجب أبو سفيان وقال: يا بنيّة "ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني، فقالت: بل هو فراش رسول الله، وأنت رجلٌ مشرك، فخرج من عندها خائباً منكسراً لم يظفر بشيء.

الإسلام...نَكَّس قيم الجاهلية

[2]أعتد: من العتيد وهو الحاضر.

ونصب مكانها قيم الحق.

وارتدَّ أبو سفيان عائداً إلى مكة من غير أن يفهم شيئاً، فلا هو ظفر بعفو النبيّ فيطمئن؟. ولا هو فهم نيته فيستعد!.

وباتت قريش لياليها شرّ ليال، لا تدري ما الله صانع بها؟!

فتح مكة

ولم يحدّث رسول الله ﷺ أحداً من أصحابه بعزمه، غير أنَّه أمرهم أن يتجهزوا، حتى اجتمع معه نحو عشرة آلاف رجل ودخل أبو بكرٍ على ابنته عائشة رضي الله عنها فقال: أَيْ بنيّة، أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه؟قالت: نعم فتجهّز، قال: فأين ترينْهُ يريد؟. قالت: لا والله ما أدري. ثم سار رسول الله ﷺ بمن معه من الناس نحو الشّام، حتى تحدث الناس أنّه يريد الرّوم، وانصرفت عيون قريش في المدينة تطمئن أهل مكة أنّ النبيّ ﷺ ماضٍ إلى الشآم يؤدبُ الرّوم بعد وقعة مؤتة.

وعادت قريش إلى غفوتها ورقادها بعد أن طمأنها المنافقون، ولم يعد يقلقها إلاّ كلمة النبيّ لرسول خزاعة: عمرو بن سالم: "نصرت"!.

استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان

القائد الحكيم. . لا يجعل أسرار تدبيره على ألسنة خلانه.

ولما جاوز رسول الله ﷺ حرتي المدينة، أخبر أصحابه بعزمه السّيرَ إلى مكة، وضـــربَ حول الجيش طوْقاً من أصـــحابه، فلا يدخل فيه أحدٌ ولا يخرج منه أحد، ثم تحوّل الجيش على طريق ساحل البحر إلى مكة.

وكان خروج رسول الله ﷺ من المدينة يوم العاشر من رمضان، وكان سيره عشـــرة أيام، وفيها هاجر العباس بن عبد المطلب بأهله مســـلماً، ويرى بعض أهل السّير أنّ هجرته كانت أسبق من ذلك.

وقد استبقى النبيّ ﷺ العباس معه، وأرسل أهله إلى المدينة.

وفي الطريق أيضـاً جاء أبو سـفيان بن الحارث ابن عمّ النبيّ ﷺ ، وعبد الله بن أبي أميّة بن المغيرة يريدان الإســـلام، وكان أبو ســـفيان هذا، قد أفرط في حرب النبيّ ﷺ وهجائه رغم ما بينها من رحم، ورغم طول ما صـــحبه قبل البعثة، وعرف خلقه وأمانته، وكان شِـعْرُهُ شـديداً على الإسـلام، وكان كلامه يقع في عقول النّاس، لما يعرفون من قرابته ورحمه مع النبيّ ﷺ.

شدة القرب حجاب.

والناس ما لم يتجردوا من أنانيتهم وحظوظهم فلن ترى أبصارهم نور الحقيقة.

فلما استأذنت لهما أم سلمة على النبيّ ﷺ قالت: يا رسول الله ابن عمّك وصهرُك فقال: لا حاجةَ لي بهما، أمّا ابن عمّي فهتك عرضي، وأمّا ابن عمّتي وصهري فهو الذي قال بمكة ما قال...

ولكن توبة الرجلين كانت صادقة، وقال أبو سفيان بن الحارث والله ليأذنن لي أو لآخذن بيد ولدي هذا، ثم لنضـــر بنّ في الأرض حتى نموت جوعاً وعطشاً.

وقال له عليٌّ بن أبي طالب يا أبا ســـفيان: إنّ النبيّ ﷺ لا يحب أن يكونَ أحدٌ أحسنَ منه جواباً، فأته من قِبَلِ وجهه، فَقُلْ كما قال إخوة يوسف:

"تالله لقد آثرك الله علينا وإنْ كنّا لخاطئين" ففعل أبو ســفيان ما أمره علي، فرقَّ لهما النبيّ عليه الصلاة والسّلام وقال:

"لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الرّاحمين"

الحق سلطان في النهاية. .
ولكن هيهات أن يبلغ الذين حجبتهم
أهواؤهم مقام الأولين السابقين.

وأخذ الجيش العظيم طريقه بصــمت حتى بلغَ "مرّ الظهران" على مشــارف مكة، ولما صارت مكة في قبضةِ الجيش الظافر، أمر رسول الله سائِرَ الناس أن يوقدوا النّار، فأوقدت عشـــرة آلاف نارٍ في لَيْلَةٍ واحدة، وبدا الجيشُ كما لو كانَ مائةَ جيشٍ.

إسلامُ أبي سفيان بن حرب:

فلمّا رأى العبّاس ذلك قال: وإصباح قريش! والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنّه لهلاكُ قريش إلى آخر الدّهر.

قال العبّاس: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخّرجت عليها حتى جئت الأراك، فقلت: لعليّ أجدُ بعض الحطابة أو صاحب لبن، أو ذا حاجة، يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ، ليخرجوا إليه فيستأمنوا قبل أن يدخلها عليهم عنوةً: قال: فوالله إنيّ لأسير عليها وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبُدَيل بن ورقاء وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيتُ كاللّيلة نيراناً قط ولا عسكراً. ويقول بُدَيل: هذه والله خزاعة حمشتها الحرب[1]ويقول أبو سفيان: خزاعة أذلّ وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها!.

قال: فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة!فعرف صوتي فقال: أبو الفضل؟قلتُ: نعم. قال: مالك فداك أبي وأميّ؟قلتُ: ويحكَ يا أبا سفيان!هذا رسول الله ﷺ في النّاس، وإصباح قريش والله!قال: فما الحيلة، فداك أبي وأمي؟قلتُ: والله لَئِنْ ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ ، فاستأمنه لك.

---

[1]حمشتها الحرب: أحرقتها وصليت بنارها.

فركب خلفي ورجع صاحباه. فجئت به كلّما مررت بنارٍ من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا: عمُّ رسول الله ﷺ على بغلته.

حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: من هذا؟وقام إليَّ، فلمّا رأى أبا سفيان على عجز الدّابة قال: أبو سفيان عدوّ الله! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقدٍ ولا عهدٍ. ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ ، وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرّجل البطيء. فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ، ودخل عليه عمر فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقدٍ ولا عهد، فدعني فلأضربْ عنقه.

قلتُ: يا رسول الله، إنّي قد أجرته!ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه فقلت: والله لا يناجيه الليلة دوني رجل!فلما أكثر عمر في شأنه قلتُ: مهلاً يا عمر، فوالله لو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا، ولكنّك قد عرفت أنّه من رجال بني عبد مناف.

فقال: مهلاً يا عباس، فلإسلامك يوم أسلمت كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلم. فقال رسول الله ﷺ: اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به.

القائد الحكيم. . لا يقضي في أمرٍ
حتى يُقَلِّبَهُ من سائر وجوهه.

قال العباس: فذهبت به إلى رحلي فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: وَيحَكَ يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟. . قال: بأبي أنت وأميّ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننتُ أن لو كانَ مع الله إله غيره، لقد أغنى عني شيئاً بعد!قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم تعلم أنّي رسول الله؟قال: بأبي أنت وأميّ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك!أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً فقال عمر مغضباً: لو قطعنا رأسك لزال الشكّ كلّه!!...

فورة الشباب وهياجه. .
لا تستوعب حكمة الشيوخ وتجاربهم
والداعية الحكيم ينطلق في رعاية مبادئه
من خبرة وحكمة واستبصار.

فقال له العباس: ويحك!أسلم وأشهد أم لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، قبلَ أن تضرب عنقك.

قال: فشهد شهادة الحق فأسلم.

-مَنْ دَخَلَ دار أبي سفيان فهو آمن:

قال العباس: قُلْتُ يا رسول الله، إنّ أبا سفيان رجلٌ يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً. قال: "نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومَنْ دَخَل المسجد فهو آمن".

الداعية الحكيم. .

ينزل الناس منازلهم، ويعرف أقدارهم.
ويقنعهم أنهم بالإسلام يكونون أكثر عزاً.

وصار أبو سفيان سيد قريش المطاع يتقلّب في كفّ النبيّ ﷺ حائراً قلقاً، لا يجد من البأس ما يدفع به جيش النبيّ ﷺ عن مكة، ولا يجد من الإيمان ما يغلبُ به شهوته، ويدخل فيما دخل فيه الناس.

وصـــار رســـول الله ﷺ يتألفه بالمودة والعطاء، ويخلع قلبه بما يريه من بأس جيش المسلمين.

فلما ذَهَبَ لينصـرفَ قالَ رسـولُ الله ﷺ: يا عباس احبسـه بمضـيق الوادي عند خطم الجبل[1]حتى تمرّ جنود الله فيراها.

عبقرية الإصلاح.
أن تملأ أعدائك خوفاً وحباً.

قال العباس: فخرجت حتى حبسـته بمضـيق الوادي حيث أمرني رسـول الله ﷺ أن أحبســـه، ومرّت القبائل على راياتها، كلّما مرت قبيلة قال: يا عباس، من هذه؟فأقول سُـلَيْم فيقول: ما لي ولسُـلَيم. ثم تمرّ القبيلة فيقول: يا عبّاس، من هؤلاء؟فأقول: مزينة. فيقول: ما لي ولمزينة. حتى نفذت القبائل، ما تمر به قبيلة إلا يســـألني عنها، فإذا أخبرته بهم قال: ما لي ولبني فلان، حتى مرَّ به رسول الله ﷺ في كتيبته "الخضراء"[1]فيها المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم،

---

[1]خطم الجبل: ملتقى الجبل بالوادي.

[1]إنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها.

لا يرى منهم إلاّ الحدق من الحديد، فقال: سبحان الله يا عبّاس، مَنْ هؤلاء؟قلتُ هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار.

قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة!والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً!!قلت: يا أبا سفيان إنها النبّوة!. قال: فنعم إذن. قلتُ: النّجاء[2]إلى قومك. فخرج أبو سفيان مذعوراً حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن!.

الحكمة والمداراة.
جعلت رؤوس الكفر وطواغيت الحرب
سفراء السلام وداعة الصلح.

فقامت إليه زوجته هند بن عتبة، فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا هذا الحميت الدَّسِم الأحمس[3]قُبَّحَ من طليعة قوم!...

قال: ويلكم، لا تغرنَّكم هذه من أنفسكم، فإنَّه قد جاءكم ما لا قِبَلَ لكم به، فَمَن دَخَلَ دار أبي سفيان فهو آمن.

قالوا: قاتلك الله، وما تغني عنّا دارك؟قال: ومن أغلق عليه بابهُ فهو آمن، ومنْ دخل المسجد فهو آمن!فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

---

[2]النّجاء: الإسراع.

[3]شبهته هند بالأحمس شديد اللحم لضخامته وسمنه.

وأسقط في يد قريش، بعد أن رأت زعيمها الأكبر ينهار حائراً كاسفاً، فما وجد الناس ما يقولون، حتى كان جيش الفتح يدخل مكّة من شعبها الأربع:

1-فرقة الزّبير بن العّوام من جهة الشرق.

2-وفرقة أبي عبيدة من جهة الشمال.

3-وفرقة سعد بن عبادة من جهة الغرب.

4-وفرقة خالد بن الوليد من جنوب مكة.

وكان أمره لسائر الصحابة أن لا يريقوا شيئاً من الدماء.

رسالة الحق. . رسالة سلام وحب
ليس في قاموسها باب للتشفي والانتقام.

ودخل رسول الله ﷺ مكّة والناس من حوله، خاشعاً لربّه يضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن عثنونه (لحيته) ليكاد يمسّ ظهر راحلته.

المؤمن الحق. .
لا يغيب عن باله ذكر الله وشكره
إذا اتسع ملكه شعر بفقره إلى الله
وإذا عظم نصره أحسن بذلّته بين يدي
الله.

ومضى كذلك حتى دخل البيت مهللاً ملبيّاً وهو يقرأ سورة الفتح:

{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا [1] لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}[1].

وبلغ الكعبة، فاستلم الحجر وطاف بالبيت، وكان حول الكعبة ثلاثمائةٍ وستون صنماً، فَنجَعَلَ يطعنها بعودٍ كان في يده فتتهالك وهو يقول: الله أكبر. . جاء الحق وزهق الباطل. . إنَّ الباطل كان زهوقاً!. .

وكانَ يوماً عجباً. . ورأت الدّهماء من أهل مكة أن تلك الآلهة التي كانت ترجوها وتخشاها، خرّت بطعنة عودٍ، ورأت أنهم لا يستطيعون نصر أنفسهم. . وأنهم يَهْلكون ولا يُهْلِكُوْن.

أول أركان الأمة المسلمة
صفاء التوحيد.

ثم دعا النبيّ ﷺ عثمان بن طلحة الحجبي، وكان صاحب مفتاح الكعبة، فجاءه بالمفتاح، فدخلها ﷺ آمناً مطمئناً راضياً، وكانت قريش قد جعلت آلهتها "هبل" في جوف الكعبة. فكسره رسول الله ﷺ وأخرجه من الكعبة، وكانَ فيها تصاوير إبراهيم يستقسم بالأزلام، فطمسها رسول الله ﷺ بيده الشّريفة، ثم صلّى بين الساريتين في جوف الكعبة والناس من حول البيت، يرقبون بعيونهم وقلوبهم تلك اللّحظات الحاسمة في تاريخ العرب.

وأمر النبيّ ﷺ بلالاً فصعد الكعبة، ورفع صوته بالآذان، حتى اجتمع الناس، مؤمنهم وكافرهم حول البيت، وخرج النبيّ ﷺ وقال:

---

[1] سورة الفتح.

"لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزابَ وحده، لاشـــيء قبله ولا شـــيء بعده جاء الحق وزهد الباطل، إنّ الباطل كان زهوقاً" ثم التفت إلى رؤوس قريش، ولم تكن بأيديهم تلك الســيوف التي طعنوا بها أصحابه!ولم يكن على أكتافهم حديدٌ يدرؤون به سيف العدل. وقاموا بين يديه صاغرين، وقد انفرط عقدهم، وتفرّق جمعهم، وتقطعت بهم الأسباب.

فقام فيهم موقف العزيز من الذّليل وقال: "ما تظنّون أنّي فاعلٌ بكم؟".

قالوا: خيراً. . أخ كريم وابن أخٍ كريم.

-زكّرت لحظاتٌ قاسية...تحسّس فيها المجرمون أعناقهم، وهم يذكرون سنّي الظلم والعنت التي صــرفوها في حرب الإســلام، والظالم يخشــى ســطوة الحق، وصولَة العدل...

وأشرق وجه النبيّ ﷺ وقال: "اذهبوا فأنتم الطّلقاء".

رسالة الحق

ليست غايتها قتل الكافرين

بل غايتها قتل الكفر والحقد المستكن في صدورهم.

الطلقاء. . تحولوا بسرعة من أخصام عنيدين للإسلام إلى رجال البلاغ والفتوح في الآفاق.

وراحت الكائنات جميعاً جذلانة فرحة، تتحدث بيوم المنّ الأعظم، يوم المرحمة.

سدانة البيت

وجاء العباس إلى النبيّ ﷺ، وسأله أن يعطيه مفتاح البيت ليجتمع له شرف الرفادة والسدانة، فدفعه إليه ﷺ فجاء عثمان بن طلحة إلى النبي ﷺ يسأله المفتاح، وقد وجد في نفسه موجدة بالغة، فما هي إلا لحظات حتى نزل الوحي بقول الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}[1].

فدعا البي ﷺ عثمان بن أبي طلحة فدفع إليه المفتاح، ثم قال: "خذوها يا بني شيبة لا يأخذها منكم إلا ظالم".

الإسلام دين الوفاء. ومن أجل إعادة مفتاح...نزل وحي من السماء.

ولا يزال مفتاح الكعبة إلى اليوم في ولد عثمان من بني شيبة.

ومكث ﷺ أياماً يبايع الرّجال والنساء في مكة، وَدَخَلَ الناس في دين الله أفواجاً وقبل رسول الله ﷺ من رؤوس مكة دخولهم في الإسلام، وهو أعلم بدخائل نفوسهم التي كانت لم تزل في شكٍّ مريب. .

[1] سورة انساء: 58.

هدم الأصنام:

هدم رسول الله ﷺ بيده (360) صنماً كانت حول البيت، وهدم صنم هيل الذي كان بداخله، ومحا ما كان فيه من تصاوير إبراهيم وإسماعيل وعيسى ابن مريم.

ثم نادى فقال: "من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره".

وأرسل خالد بن الوليد في ثلاثين فارساً فهدم العزى. وبعث عمرو بن العاص إلى سواع فهدمها، وبعث سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة فهدمها، وبذلك اطمأن النبي ﷺ على عقيدة التوحيد وقد هدم ما بقي من أوثان العرب.

بالدعوة الصادقة وبالحكمة والموعظة الحسنة تحول سدنة الأوثان وعبادها إلى صقور حازمة تحطم بفأس العدل أوهام الوثنية الجاهلية.

غزوة هوزان (حنين):

مضى شهر رمضان وفيه كانت الضربة القاصمة للوثنية العربية، وتلقى النبي ﷺ أنباء سراياه التي عادت من كسر الأصنام غانمة ظافرة.

وكان لمكة جارتها التاريخية: الطائف التي تقاسمها الشـــرف والقوة منذ الجاهلية، وفيها هوزان وثقيف من أمنع قبائل العرب وأقواها.

وكان سقوط قريش لهم ليسودوا بذلك العرب، فبدؤوا يجمعون جموعاً عظيمة للإغارة على البلد الحرام، وإخراج المســـلمين منها قبل أن يحل بهم ما حل بقريش.

وعلى الفور أمر النبي ﷺ المســـلمين أن ينفروا نفرة رجل واحد إلى هوزان، فوافاهم عند وادي حنين وقد جمعوا نحواً من ثلاثين ألف مقاتل من ثقيف وجشـــم ونضـــر وقيس بن عيلان، ورئيســـهم مالك بن عوف، وفيهم دريد بن الصمة من عباقرة الحرب والعرب.

وكان النبي ﷺ قد أخذ من صفوان بن أمية سلاحاً كثيراً–عارية مؤداة–وهو يؤمئذٍ رجل مشـــرك، كما أخذ من رؤوس قريش مالاً وخيلاً يســـتعين به على قتال القوم. وتقدم المسلمون وهم اثنا عشر ألف مقاتل إلى وادي حنين، وقبل أن يتمكنوا في الوادي ويتوزعوا فيه، انقضـــت عليهم كتائب المقاتلين من هوزان جماعات جماعات، وكانت مباغتة عنيفة ولى على أثرها المســـلمون الأدبار لا يلوي أحد على أحد. وجعل رســـول الله ﷺ ينادي: أنا الرســـول لا كذب أنا ابن عبد المطلب، والناس يفرون من كل جانب، ولم يثبت معه ﷺ إلا نفر لا يتجاوزون المائتين، وقال بعضهم: لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً.

وفي ســـاعة العســـرة العصـــبية ظهر النفاق على أشـــده، وراح أولئك الرؤوس المكّيون الذين خرجوا مع النبي ولما يتمكن الإيمان في قلوبهم، راحوا يبشـــرون

بأفول دولة الإسلام، وظهر منهم الحقد والشماتة، وقال أبو سفيان: والله لا تنتهي هزيمتهم دون البحر!وقال آخر: بطل السحر اليوم!. .

ولم تضعف عزيمة النبي ﷺ بل دعا عمه العباس، وكان جهوري الصوت، فجعل ينادي المهاجرين والأنصار: يا أصحاب بدر، يا أصحاب الشجرة، حتى التفَّ الناس حول النبيّ ﷺ، .

المواقف العصيبة ليست هي التي تصنع الرجال إنها-فقط-تكشف عن معادنهم وحقائقهم.

وأمسك النبي بحفنة من تراب فذرها في المشركين وهو يقول: شاهت الوجوه، فما بقيت عين إلا دخلها التراب، وانكشف المشركون وتبعهم الأصحاب، وركبوا بهم السيف حتى دفعوهم إلى أسفل الوادي، ففر قوم إلى أوطاس وقوم إلى حصن الطائف فتحصنوا فيه تاركين نساءهم وأموالهم وذراريهم غنائم في يد المسلمين.

أوطاس:

فأرسل رسول الله ﷺ إلى من اجتمع في أوطاس أبا عامر الأشعري في رجال المسلمين، فقُتل أبو عامر وحمل الراية ابن عمه أبو موسى الأشعري فنصره الله وغنم مغانم كثيرة. وبقي أمام النبيّ ﷺ يوم ينتصف فيه ممن لجأ من هوزان إلى حصن الطائف.

غنائم حنين:

كانت غنائم حنين عظيمة كبيرة فيها سبي ومال، وكان سبب ذلك أنهم أخرجوا أموالهم ونساءهم معهم حتى لا يجبنوا عن القتال.

وقد اختار النبيُّ ﷺ أن يترك الغنائم بلا قسمة رجاء أن يسلمَ أصحابُها، أو يساومهم بها على عقد حسن جوار. وبقيت الغنائم مجموعة في الجعرانة إلى حين فرغ النبي من غزوة الطائف.

غزوة الطائف:

توجه النبيّ ﷺ إلى تلك الألوف المؤلفة من هوزان التي لجأت إلى حصون الطائف، فما كان النبيّ ﷺ ليتركهم فيها يهددون الحرم الآمن وجماعة المسلمين من غير أن يضع حداً لعدوانهم وبأسهم.

وخرج النبيّ ﷺ إلى الطائف بمن معه من الناس، وكانت مدينة محصنة ذات أسوار عالية وأبواب متينة، فحاصرها النبي ﷺ شهراً كاملاً، وطال الحصار، واتخذ رسول الله ﷺ المنجنيق والدبابات لهدم الحصون، ولكنها كانت أمنع من ذلك، وجعل الصحابة يقطعون أعناب مزارع الطائف، فأرسل أهل الطائف إلى النبي ﷺ يتوسلون إليه أن يتركها فنهى المسلمين عن قطعها، ثم أعلن النبي ﷺ أنه سيعتق كل عبد يأتيه من الطائف، فتسلل إليه عدد منهم، فعلم النبي ﷺ منهم أن أهل الحصن قد جهزوا أنفسهم لحصار سنة، وأنهم عازمون على

البقاء حتى نفاد الزاد، ثم يقاتلون بعده حتى لا يبقى رجل منهم، فرأى النبي ﷺ أن الحصار لا يجدي وأن العدو قد انكسرت شوكته وأُمِنَ مكره وشره، ورأى أن الأشهر الحرم قد أهلت فرحل بأصحابه قافلاً، إلى مكة.

وفي الطريق قال له أصحابه: يا رسول الله، ادع الله على ثقيف، فلم يجبهم رسول الله ﷺ وإنما نظر إلى حصون ثقيف التي أغلقت منافذ الاستجابة للحق، وعزمت على الكيد له ثم نظر إلى السماء وقال: **"اللهمَّ اهد ثقيفاً وأت بهم"**...وهذا ما حصل بعد حين.

توزيع الغنائم:

وغادر رسول الله ﷺ الطائف قافلاً إلى الجعرانة حيث ترك الغنائم الوافرة نحو شهر كامل...رجاء أن يسلم أصحابها فتعود لهم.

ولم يسبق للمسلمين أن نالوا في غزوة ما نالوا في حنين من الغنائم، فقد خرج المشركون بكل ما لديهم من المال والنساء والأولاد فكانوا غنيمة المسلمين.

وأحصيت غنائم حنين فكانت أربعة وعشرين ألفاً من الإبل، وأربعين ألفاً من الغنم، وأربعة أوقية من الفضة، وستة آلاف من النساء والبنين، وبدأ النبي ﷺ بتوزيع المال.

ولجأ النبي ﷺ إلى استخدام سلاح المال لقتل العداوة في قلوب نفر من أشراف قريش وسادات العرب، ومن ثم تأليف قلوبهم إلى الإسلام، فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ–وهو الذي قال ما قال عند ظهور هزيمة المسلمين في

أول حنين–فقال له: يا رسول الله أصبحت أكثر قريش مالاً، فتبسم عليه السلام، فقال أبو سفيان: أعطني من هذا يا رسول الله، فقال ﷺ: يا بلال زن لأبي سفيان أربعين أوقية وأعطوه مائة من الإبل، فقال أبو سفيان: ولا بني يزيد، فقال ﷺ: زنوا ليزيد أربعين أوقية وأعطوه مائة من الإبل، فقال أبو سفيان: ولا بني معاوية يا رسول الله، فقال ﷺ: زن له يا بلال أربعين أوقية وأعطه مائة من الإبل، فقال أبو سفيان: إنك كريم، فداك أبي وأمي، والله لقد حاربتك فنعم المحاربَ كنت، ثم سالمتك فنعم المسالَم أنت، جزاك الله خيراً.

وأعطى رسول الله ﷺ–صفوان بن أمية مائة من الإبل، ثم مائة ثانية، ثم ثالثة، ثم رآه ينظر إلى شعب مملوء نعماً وشاء، فقال له: أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب؟قال: نعم، قال ﷺ: هو لك بما فيه، فما كان من صفوان إلا أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

تألف القلوب سياسة حكيمة والداعية الحكيم ينتزع البغضاء من قلوب الناس بكل الوسائل ثم يرسخ فيها غراس الحب والوئام.

وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل، والأقرع بن حابس مثلها، وأعطى أناساً آخرين يتألف بها قلوبهم، وكانت تلك حكمة عظيمة من النبي ﷺ، فما تزال مصالح أقوام أقوى من عقائدهم، وقطع بذلك دسائس ومؤامرات كثيرة كان يمكن أن يكيدوها للإسلام وأهله، ولما دخل نور الإيمان إلى قلوبهم صاروا كالسابقين الأولين في بذلهم وجهدهم وجهادهم، وأخرج الله من أصلابهم

وذراريهم قادة لجيوش الفتح الإسلامي، وأعلاماً نشروا رسالة الحق والخير في ربوع الأرض.

ثم أحصى النبي ﷺ ما بقي من الغنائم ووزعه على المجاهدين، فاجتمع عليه الأعراب وهم يلحون عليه ويقولون: يا رسول الله اقسم علينا فيئنا فما زالوا به حتى ألجؤوه إلى شجرة، فعلق بها رداؤه فقال لهم: أدول علي ردائي أيها الناس فوالله لو كان لي عدد شجر تُهامة نعمٌ لقسمتها عليكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً. . ثم أخذ وبرة من بعير وقال: والله ما لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس، والخمس مردود عليكم.

ووثب أعرابي إلى رسول الله ﷺ فجذبه جذبة شديدة من برده الخشن أثرت في عنق رسول الله ﷺ وقال له: مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فضحك رسول الله ﷺ مع ألمه وأمر له بعطاء.

وبلغه قول بعض الأعراب: إن هذه لقسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله، فغضب وقال: ومن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر!...

ليس الزهد في الدنيا مطلباً سهلاً
ولا تزال شهوات الدنيا تقوم وتنام في نفس
المسلم حتى يكتمل لديه اليقين.

والحق أنه لم تكن فتنة غنائم حنين بأقل من فتنة الهزيمة في أولها، حتى أن الأنصار أنفسهم قد خفيت عليهم حكمة توزيع الغنائم على المؤلفة قلوبهم،

وخصـــوصـــاً من قريش وحرمانهم منها، فقال بعضـــهم: إن هذا لهو العجب، يعطي قريشـــاً ويتركنا وســـيوفنا نقطر من دمائهم!وكثر الحديث في ذلك بين الأنصـار، فجاء سـعد بن عبادة إلى النبي ﷺ وقال: يا رسـول الله: أعلمت ما قالت الأنصـــار؟، فقال: ما قالوا؟، قال: يا رســـول الله إنهم يقولون: إنك أعطيت قومك وعشـيرتك، وهم حديثو عهد بالإسـلام وتركت الأنصـار!!. . فقال: فما تقول أنت يا سـعد، قال: يا رسـول الله، والله ما أقول إلاّ كما قال قومي، فقال النبيّ ﷺ، فادعهم لي يا سـعد، فدعاهم سـعد، فلمّا اجتمعوا عند النبيّ ﷺ قال لهم:

يا معشـــر الأنصـــار: ما قالة بلغتني عنكم، وجدةٌ وجدتموها عليَّ في أنفسـكم؟ألم آتِكُمْ ضـلاّلاً فهداكم الله بي وعالةً فأغناكم الله بي، وأعداءً فألّف الله بين قلوبكم، قالوا: بلى، واللهُ ورسـولهُ أمنُّ وأفضـل، ثم قال: ألا تجيبونني يا معشـر الأنصـار، قالوا بماذا نجيبك يا رسـول الله؟فقال: أما والله لو شـئتم لقلتم فلصدقتم وصدِّقتم: أتيتنا مكذَّباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك، أوجدتم يا معشـر الأنصـار في أنفسـكم في لعاعة من الّدنيا– نعيمها–تألفت بها قلوب قوم ليسـلموا، ووكلتكم إلى إسـلامكم، ألا ترضـون يا معشـــر الأنصـــار أن يذهب الناس بالشـــاة والبعير، وترجعوا برســـول الله إلى رحالكم، فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنتُ امرؤاً من الأنصـــار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً، لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار.

فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً. .

نعيم الحب الصادق
أعظم حضوراً في القلب من كل نعيم الدنيا
ووقود الدعوة الناجحة
الحب الصادق بين المربي والمريد.

وبعد أن أنهى النبيّ ﷺ قسمة الغنائم، جاءه وفد من هوزان يستعطفون في ردّ أموالهم وأهليهم، فخيرّهم بين المال والأهل فاختاروا الأهل، فنزل لهم النبيّ ﷺ عمّا كان له ولبني عبد المطلب، وخطب الناس فقال لهم، أمّا بعد: فإنّ إخوانكم هؤلاء جاؤوا تائبين، وإني قد رأيت أن أردّ عليهم سبيهم، فمن أحبَّ أن يطيب بذلك فليفعل، فردّ الناس عليهم سباياهم، وَحَبَس النبيّ ﷺ أهل زعيمهم مالك بن عوف وقال لهم: أخبروه أنه إن أتى مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل، فأخبر مالك بذلك، فأعظم في نفسه هذا الكرم، وتسلل من قومه خفية إلى رسول الله ﷺ، فأعلنَ إسلامه وحسن إسلامه، وأمّره النبيّ ﷺ على من أسلم من قومه.

العودة إلى المدينة:

وبعد أن فرغ رسول الله ﷺ من أمر الغنائم، خرج من الجعرانة معتمراً حتى دخل البيت والأصحاب معه.

وكانت عمرته ﷺ في آخر ذي القعدة. وخشيت الأنصار أن يبقى رسول الله ﷺ في مكة ويتركهم ومدينتهم، فقال بعضهم لبعض: أترون رسول الله إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟!فقال لهم النبي ﷺ: معاذ الله...المحيا محياكم، والممات مماتكم يا معشر الأنصار.

المؤمن وفي كريم
لا ينسى عند الرخاء من واساه يوم الشدة.

ثم استخلف رسول الله ﷺ على مكة عتاب بن أسيد وهو شاب لم يجاوز العشرين من عمره، وفي هذا حكمة كبيرة، فعتاب شاب لم يشترك من قبل في معركة، وليس لأحد من قريش عنده دم ولا مال، وقريش وإن أسلمت إلا أن حمية الجاهلية لم تتلاشَ من قلوبها بعد، فلا يصلح لها إلا مثل عتَّاب.

الداعية الحكيم
حريص على دفن أحقاد الجاهلية
لا تحمله نشوة النصر على التشفي والانتقام.

وجعل له النبي ﷺ أجراً: درهم في كل يوم، فقال عتاب للناس: أجاع الله كبد من جاع على درهم، لقد رزقني رسول الله درهماً كل يوم فليست بي حاجة لأحد.

وكذلك فإن رسول الله ﷺ خلف أيضاً معاذ بن جبل في مكة، يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن.

دعوة الإسلام تسير بخطين متوازيين متكاملين
سياسة وثقافة، دولة وفكر، خليفة وعالم.

وهكذا طوى النبي ﷺ العام الثامن قرير العين هني البال بعد أن فتح الله عليه بلده، وأمنه من عدوه، وعاد إلى المدينة ليستأنف الدعوة من جديد.

وفي هذه السنة حج بالناس عتاب بن أسيد، ولم يشهد النبي ﷺ الحج، ولا أرسل أميراً من قبله على الناس، وأديت مناسك التوحيد في الحج لأول مرة رغم وجود أفراد من المشركين من قبائل العرب.

السَّنَةُ التَّاسِعَةُ لِلهِجْرَةِ "21 بَعدَ البَعْثَةِ"

أهم حوادث السنة التاسعة:

1–إرسال السرايا لهدم الأصنام في جزيرة العرب.

2–دخول قبائل العرب الكبرى في الإسلام.

3–استقبال وفود كافة القبائل العربية تقريباً، وتعيين الولاة والأمراء على أقاليم الجزيرة العربية.

4–وفاة النجاشي.

5–إسلام ثقيف آخر المدن الكبرى في جزيرة العرب.

6–خروج النبي لملاقاة جيش الروم في تبوك.

7–عقد الأحلاف مع عرب الروم والفرس وضمان الحدود الشمالية للدولة الإسلامية.

8–نزول سورة التوبة.

9–انحسار النفاق وموت رأس المنافقين عبد الله بن أبي.

10–حج أبي بكر.

دخلت السنة التاسعة وقد فرغ النبي ﷺ من خصوم الإسلام في جزيرة العرب، وصارت أعظم قوتين في جزيرة العرب–مكة والطائف–مدينتين إسلاميتين.

ولما تم للنبي ﷺ ذلك، أدى عمرة الجعرانة شكراً لله وانصرف إلى المدينة فوصلها مطلع ذي الحجة.

وأقام رسول الله ﷺ طيلة السنة التاسعة في المدينة المنورة، يستقبل الوفود التي قدمت تعلن دخولها في الإسلام، لم يخرج منها إلا خمسين يوماً في عزوة تبوك.

ومع أن الوفود بدأت في السنة السابعة عقب صلح الحديبية إلا أنها بلغت أوجها في السنة التاسعة، حتى سمي هذا العام "عام الوفود" لكثرة ما جاء النبي ﷺ من الوفود.

وكانت هذه الوفود ترد إلى المدينة فيضرب لهم رسول الله ﷺ منزلاً لرواحلهم قرب مسجده الشريف، فيقيمون فيه أياماً ضيوفاً مكرمين، فيسمعون من النبي ﷺ بيانه وموعظته، وينتدب لهم من علماء الصحابة من يجيبهم عما يسألون، ويشرح لهم ما يجهلون، ثم يدعوهم إلى الإسلام في رفق ولين، بعد أن يكونوا قد رأوا بأعينهم حال المؤمنين في توادهم وتراحمهم وعشرتهم وتعاونهم وعبادتهم فتقترب بذلك قلوبهم من الحق.

وكان النبي ﷺ يعين للقوم إذا أسلموا أميراً منهم، ويرسل معهم من أصحابه من يعلمهم أمور دينهم، ويقوم بنشر الدعوة فيما يليهم من القرى والقبائل.

{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[1].

وقل أن يأتي وفد من قبائل العرب إلى المدينة ثم يرجعوا ولم يعمر الإيمان قلوبهم.

---

[1] يوسف: 109.

وهكذا...فقد سارت حركة الدعوة في بلاد العرب تنتشر بالحوار والإقناع، وما انتشر الإسلام في جزيرة العرب إلا عبر مئات من أولئك الدعاة، الذين خرجوا إلى القبائل مهاجرين صادقين، مخلفين وراءهم متاع الدنيا وبهارجها، مؤذنين في صحراء العرب ووهادها بأفول الشرك. . وبزوغ فجر الإسلام.

ولسنا نملك وسيلة كافية نحصي بها الدعاة الذين خرجوا في هذه الرسالة الشريفة، ولا نعرف على وجه الدقة ترتيب تلك الوفود التي قدمت المدينة بتأثير أولئك الدعاة الصادقين. ولكنا نسردهم سرداً كما وردوا في كتب السير.

سرايا الدعاة:

فور وصوله ﷺ إلى المدينة بعد الفتح بدأ بإرسال سرايا الدعاة من جديد إلى قبائل العرب، يدعوها إلى الإسلام، وينظم لها أمور دينها، ويرد كيد من يدبر للمسلمين ويكيد لهم.

إلى قبيلة صداء:

فأرسل قيس بن سعد في أربعمائة من أصحابه إلى قبيلة صداء في اليمن ليدعوهم إلى الإسلام، وكانوا قد دخلوها في الإسلام قبل أن يصلهم وفد رسول الله ﷺ، ولما وصل الوفد أقام فيهم يعلمهم مبادئ الإسلام.

إلى بني كعب:

وأرسل بشر بن سفيان إلى بني كعب لأخذ صدقاتهم، فمنعهم بنو تميم من ذلك، فأرسل إليهم رسول الله ﷺ عيينة بن حصن في خمسين فارساً، فحاربوهم وأسروا عدداً منهم، فجاء في أثرهم وفد من تميم ونزلوا على رسول الله ﷺ، فما زال بهم حتى أسلموا، فرد عليهم أسراهم، وأقاموا مدة في المدينة يتعلمون القرآن ويتفقهون في دين الله قبل عودتهم إلى بلادهم.

إلى طيء:

وأرسل علي بن أبي طالب في خمسين فارساً لهدم صنم طيء (الغلس) فهدمه وأحرقه، فحاربته طيء، فتغلب عليهم وأسر عدداً منهم، وكان في الأسرى سفانة ابنة حاتم الطائي (كريم العرب)، فلما قامت بين يدي رسول الله ﷺ أكرمها إليها ثم أطلقها، فأخبر بذلك أخوها عدي بن حاتم فسارع إلى رسول الله ﷺ، فلما لقيه أكرمه وأحسن وفادته ثم أخذه إلى منزله، فلقيته في الطريق امرأة عجوز، فأخذت تسأل النبي ﷺ وهو ينصت لها ولا يأنف منها حتى طال مقامها، قال عدي: فوقع حب النبي ﷺ في قلبي وقلت في نفسي: هذا خلق الأنبياء لا خلق الملوك، ولما دخلا البيت تناول ﷺ وسادة فقدمها لعدي وجلس هو على الأرض، فزاد حب عدي للنبي ﷺ.

ثم جلس رسول الله ﷺ يحاوره في النصرانية، وطال مجلسهما، وما زال به حتى هداه الله للإسلام، وعاد عدي إلى قومه داعياً أميناً، وثبت على إيمانه يوم الردة، وحمل زكاة طيء إلى أبو بكر، وشهد المشاهد في العراق، وروى الحديث عن النبي ﷺ.

إلى اليمن:

وأرسل رسول الله ﷺ إلى اليمن رسولين ثم عززهما بثالث:

أرسل أولاً: معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري، وجعل كل واحدٍ منهما على مخلاف من مخاليف اليمن، وكان اليمن مخلافين-أي قسمين-وأمرهما بالحكمة والموعظة الحسنة، وأمرهما فقال: **"يسرّوا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفروا"**.

ومضى الداعيان العظيمان، كل منهما في المخلاف الذي حدده رسول الله ﷺ، وصارت بيوتهما قبلة لأهل اليمن، يرحلون إليها فيتعلمون أمر دينهم ويسلكون إلى ربهم، وصارت وفود اليمن تقدم إلى المدينة تبايع النبي ﷺ، وتدخل في الإسلام بدعوة أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل، رغم أن أبا موسى كان عمره لا يزيد على 28سنة.

كما أن معاذاً كان يبلغ من العمر 27 سنة.

الشباب. . عماد الدعوة الإسلامية
وعلى أكتافهم تقوم أعظم حركات الإصلاح.

وكانت بعض قبائل اليمن قد سبق منها الإيمان والتصديق، ولكن لم يكن اليمن ليصبح إقليماً إسلامياً خالصاً لولا جهاد هذين الشابين الناجحين من دعاة الإسلام ورجاله.

إلى همدان:

ثم أرسل رسول الله ﷺ إلى همذان–خاصة وهي كبرى قبائل اليمن أرسل علي بن أبي طالب في جماعة من الدعاة، فيهم: البراء بن عازب، وكان خالد بن الوليد قد أقام في همذان ستة أشهر من قبل فلم يفلح في دعوتهم للإسلام.

فلما وصل علي بن أبي طالب إلى القوم خرجوا إليه، فصف أصحابه صفاً واحداً ثم تقدم فصلّى بهم ركعتين، وهمذان ينظرون ويعجبون، حتى إذا أخذ الجلال مأخذه من القوم وانشرحت صدورهم لرسل الهداية والخير تقدّم علي بن أبي طالب فأمرهم ونهاهم وبشرهم وأنذرهم، وكان قد أوتي من الفصاحة والبلاغة ما لم يؤته إلا رسول الله ﷺ. فلما اطمأنت قلوب القوم قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ يدعوهم فيه إلى الإسلام، فأسلمت همذان جميعاً.

الداعية الحكيم بارع في إلقاء الموعظة
لا يلقي بذار الحكمة إلا بعد أن يهيئ الأرض الصالحة.

فكتب علي إلى رسول الله ﷺ يخبره بإسلام القوم، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خرّ ساجداً لله، ثم رفع رأسه وقال: "**السلام على همذان السلام على همذان**".

وأقام علي في القوم مدة يعلمهم الإسلام، ويرسل دعاته في أطراف البلاد حتى دخلت همذان وما حولها في الإسلام، وراحت رسلهم إلى النبي ﷺ في المدينة تبايعه على الإسلام على ما سنبينه في خبر الوفود-إن شاء الله-.

وفود العرب:

كان الدعاة الذين انتشروا في الآفاق بدءاً من السنة السادسة للهجرة عقب صلح الحديبية قد أدوا رسالتهم على أتم وجه، وبدءاً من السنة السابعة صارت وفود القبائل العربية التي اهتدت بالدعاة تصل إلى المدينة المنورة، لتبايع النبي ﷺ وتحظى بصحبته ولقياه.

وفي الحق فإن تاريخ هذه الوفود لم يدرون على وجه الدقة، وإنما نلتقطه التقاطاً من كتب السيرة التي أوردته متناثراً بين السنين، ولكنه بمجمله يرسم لنا صورة صادقة عن تأثير أولئك الدعاة في مختلف الأماكن التي نزلوها، وبه تعلم أن السبيل الأول لنشر الإسلام في سائر بقاع الجزيرة العربية إنما كان الحجة والإقناع، وليس القتال والسيف، وإن كان السيف قد جرد في كثير من المواطن، فإنه كان لحماية الدعوة والدعاة، والدفاع المشروع عن النفس، ولم يكن في يوم من الأيام عدواناً بادئاً.

وفد الأزد:

كانت منازل الأزد بين عمان وحضرموت إلى جوار جبل يقال له: "كشر"، وكان أول من أسلم منها "صرد بن عبد الله الأزدي" في وفد من أصحابه، قدموا فبايعوا النبي ﷺ، فأرسلهم النبي ﷺ إلى بلادهم دعاة مصلحين، فساروا فيهم بسيرة النبي ﷺ، فآمنت طائفة من قومهم وكفرت طائفة، وما زالوا بهم حتى وقعت بين الحيين وقعة كانت العاقبة فيها للمتقين. وجرت الوقعة في مدينة قريبة من "كشر" اسمها جُرش.

{آلم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}.

وبعد الوقعة كسرت شوكة المشركين، وزال خوف الضعفاء من بطشهم وعلوهم، فتحول أكثر الأزد والجرشيين والخثعميين إلى الإسلام، ووفدوا على النبي ﷺ فبايعوه، فأحسن ضيافتهم وجائزتهم وقال لهم: في أي بلاد الله جبل "شكر"؟

قالوا: يا رسول الله في بلادنا جبل يقال له"كشر". قال: إنه ليس بكشر بل هو "شكر"، وسمي الجبل في يومها "جبل الشكر"، وعادت وفود الأزد إلى بلادهم وأميرها "صرد بن عبد الله الأزدي"، ولا زال "صرد" عاملاً على جرش لرسول الله ﷺ حتى توفي.

وفد بني عبد القيس:

كان بنو عبد القيس من "ربيعة" وكان النبي من "مضـــر"، ومضـــر وربيعة أعظم حيين من أحياء العرب، وقد قام التنافس الشـــديد بينهما في الجاهلية، حتى صار الجمع بين الحيين ضرباً من المستحيل.

وكانت منازل بني عبد القيس قريباً من البحرين، وكانت النصـــرانية قد تســـربت من نجران إلى بعض بيوت بني عبد القيس، فأضـــعفت في نفوســـهم العصبية الوثنية التي كانت فاشية في أحياء العرب.

وقد وصـــل بعض دعاة رســـول الله ﷺ إلى نواحي منازل بني عبد القيس، فانتظر حكماؤهم دخول الأشـــهر الحرم، حيث توجه وفد منهم إلى المدينة المنورة وفيهم زعيمهم: الجارود بن بشـر بن المعلى، وكان رجلاً نصـرانياً، فأنزلهم النبي ﷺ في المسجد، وضرب لهم فيه قبة خاصة، وأحسن ضيافتهم، وخلا بهم مراراً يدعوهم إلى الإسلام حتى شرح الله صدورهم للحق، فآمنوا جميعاً ثم انقلبوا إلى بلادهم ينشرون الإسلام في كل وجه.

{وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَـــارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ}.

إسلام دوس:

كـانـت منـازل دوس في اليمن، وهي بطن من بطون الأزد. وكـان أول من أسلم من دوس "الطفيل بن عمرو الدوسي"، وكان امرءاً شاعراً حكيماً مطاعاً في قومه، قدم مكة ورســـول الله ﷺ فيها قبل أن يهاجر، ولما وصـــل مكة أحاطت به قريش تحذره أمر النبي ﷺ، ولم يزالوا به حتى حشا آذانه بالكرسف

لئلا يسمع صوت النبي ﷺ، غير أنه أعرض عن ذلك ونزع الكرسف من أذنيه وقال: والله إني لرجل لبيب شـــاعر ولا يخفى علي أمرٍ هذا الرجل، فما يمنعني أن أسمع ما يقول؟فإن كان حسناً قبلته وإن كان قبيحاً تركته.

لا شيء أخوف على الباطل من مواجهة الحق
ولا شيء أشهى للحق من مقارعة الباطل.

ثم مضى إلى بيت النبي ﷺ فخلا به، وجعل يسأله عن الإسلام ورسول الله ﷺ يخبره ويدعوه، ويتلو عليه من القرآن الكريم حتى شرح الله صدره للإسلام، فأقام في مكة أياماً يتعلم خلالها أمر دينه، ثم غدا إلى دوس بعد أن اســـتأذن رسول الله ﷺ في دعوتهم للإسلام، فأذن له وباركه ودعا له.

وبدأ الطفيل بدعوة عشيرته وخاصته، فدخل أهله في الإسلام، ثم بدأ بدعوة قومه فتأخّروا عنه وامتنعوا منه، وإنما أخرهم عن الإســـلام انغماســـهم في الزنا والشـهوات، فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره خبرهم، وسـأله أن يدعو عليهم، فقال النبي ﷺ: **"اللهم اهد دوسـاً، اللهم اهد دوسـاً"** ثم قال للطفيل: **"ارجع إلى قومك فادعهم إلى الله تعالى وارفق بهم"**.

الإيمان حبيب قريب. .
وإنما يحول بين الناس وبين الهدى
مواقع الشهوات في نفوسهم.

ورجع الطفيـل إلى دوس بعـد أن أقـام أيامـاً عنـد النبي ﷺ، تعلّم من بره وحكمته ودعوته، واســتأنف الدعوة في قومه من جديد، يســتأني بهم ويترفق،

وما زال بهم حتى تحولوا إلى الإسلام راغبين، وكان من أشهر من آمن بدعوة الطفيل: المحدث الكبير أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي.

وعند انصراف النبي ﷺ من فتح خيبر وصل إلى المدينة وفد دوس، وأميرهم الطفيل وفيهم أبو هريرة، فخرج بهم النبي ﷺ وأكرمهم وقسم لهم من غنائم خيبر، وخلف فيهم من أصحابه من يعلمهم ما نزل من القرآن الكريم.

إسلام طيء:

تنتشر قبائل طيء في منطقة الأحساء جنوب بادية الشام، وقد بدأ الإسلام في حاتم الطائي الذي صار مضرب المثل في الكرم والجود، غير أنه لم يدرك النبي ﷺ.

أما ولده عدي بن حاتم خليفته في الكرم والسؤدد، فإليك خبر تحوله إلى الإسلام كما يرويه بنفسه "من رواية البخاري":

قال عدي بن حاتم: "لما بعث النبي ﷺ كرهته كراهية شديدة، فانطلقت حتى كنت في أقصى الأرض مما يلي الروم، فكرهت مكاني أشد مما كرهته فقلت: لو أتيته فإن كان كاذباً لم يخف عليّ وإن كان صادقاً اتبعته، فأقبلت فلما قدمت المدينة استشرفني الناس، فقالوا: عدي بن حاتم فقال لي: يا عدي أسلم تسلم، قلت: إن لي ديناً قال: أنا أعلم بدينك منك، ألست ترأس قومك؟قلت: بلى، قال: ألست تأكل المرباع؟قلت: بلى، قال: فإن ذلك لا يحل لك في دينك، .

يعرف شرائع الأولين كما يعرفها أربابها
ثم يحاكمهم إلى شريعة الحق.

ثم قال: أسلم تسلم قد أظن أنه إنما يمنعك غضاضة تراها ممن حولي، وأنك تركت الناس علينا إلباً[1] واحداً، قال: هل أتيت الحيرة؟قلت: لم آتها وقد علمت مكانها، قال: يوشـــك أن تخرج الظعينة منها بغير جوار حتى تطوف بالبيت، ولتفتحن علينا كنوز كســـرى بن هرمز، فقلت: كســـرى بن هرمز؟قال: نعم وليفيضـــن المال حتى يهم الرجل من يقبل صـــدقته، قال عدي: فرأيت اثنتين الظعينة وكنت في أول خيل أغارت على كنوز كســـرى، وأحلف بالله لتجيئن الثالثة".

وأقام عدي في المدينة زمناً يتعلم من النبي ﷺ، ثم انقلب إلى قومه وقد فشـا فيهم الإسلام، فأقام فيهم يدعوهم ويعلمهم حتى دخلوا جميعاً في الإسلام.

وفي الســنة العاشــرة، حضــر وفد طيء إلى النبي ﷺ ولم يكن فيه عدي بن حاتم، بل كان فيه زيد الخيل وهو من رؤســـاء طيء وأجوادها، ولما دخل على النبي ﷺ سماه: زيد الخير وقال: **"ما ذكر لي رجل من العرب بفضل، ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل، فإنه لم يبلغ كل ما فيه"**.

الإسلام شريعة النفوس السامية.
وخيار الناس وأجوادهم أقربهم إلى الهدى والنور.

[1] إلباً واحداً: من التألب، وهو الاجتماع على الأذى.

وبعد موت النبي ﷺ ارتدت طيء إلاّ عدي بن حاتم الذي نشط في هدايتهم وإصلاحهم، وحمل زكاة قومه إلى أبي بكر، وما زال يستأني بهم ويترفق حتى ردهم إلى الإيمان.

وإذا لم يكن دخول طيء في الإسلام على يد عدي وحده فقد كانت توبتهم من الردة، وعودتهم إلى الإسلام على يد عدي بن حاتم وحده بلا ريب.

إسلام كندة:

كندة من أكبر قبائل العرب، وزعماء كندة من بين سائر العرب كانوا يسمون بالملوك "ملوك كندة"، وكانت منازلهم شرق الطائف، غير أنه لم يكن للروم ولا للفرس عليهم أي سلطان. وكانت لهم عاصمة مركزية اسمها "الفاو" وهي اليوم قرية صغيرة. وقد وصل دعاة النبي إلى كندة بعد صلح الحديبية، كما كان لخروج النبي ﷺ إلى تبوك في السنة التاسعة، وتحالفه مع القبائل من حول كندة أثر في تحديد موقفهم من النبي ﷺ.

وقد حضر وفد كندة إلى النبي ﷺ في ثمانين راكباً، رئيسهم الأشعث بن قيس، وهو من أجود العرب وفرسانهم، وكانت بينه وبين العباس بن عبد المطلب تجارات، فجعل النبي ﷺ يذكّره بها ملاطفاً مباسطاً، وأحسن النبي ﷺ نزلهم وأكرم وفادتهم، وعرف لهم قدرهم، وأقاموا في المدينة أياماً يتعلمون الإسلام.

ينزل الناس منازلهم ويعرف أقدارهم
ويشدهم بوشائج الذكرى والقربى والرحم.

إسلام بنو حارث بن كعب:

كانت بنو الحارث بن كعب من أمنع قبائل العرب وأقواها، وكانت منازلهم بنجران حصينة قوية، نفرتهم نفرة رجل واحد لا يظلمون ولا يُظلمون.

ولا شك أن قوماً هذه أخلاقهم ومكارمهم أسرع استجابة للحق من غيرهم، فأرسل إليهم النبي ﷺ مجموعة من الدعاة بإمرة خالد بن الوليد، فانطلقوا يضربون في كل وجه في نجران، يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وخلال شهور قليلة تحول بنو الحارث بن كعب إلى الإسلام، حتى اشتد إيمانهم، فانصرفوا وقد أمر عليهم النبي ﷺ قيس بن الحصين، وصارت منازلهم مركزاً لنشر الدعوة في جنوب الحجاز.

تجدون الناس معادن
خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا
فقهوا.

إسلام حمير:

حمير أعرق الحواضر العربية في الجنوب، وتاريخ حضارتهم طويل وحافل، وقد كان ملوك حمير يسيطرون على أكثر أرض اليمن من سواد بحر العرب، ولم يُسجل وفود دعاة عليهم قبل دخولهم في الإسلام، ويبدو أن إسلام القوم لم يكن عن معرفة ويقين، بل كان عن اعتبار سياسي، إذ ظهر لهم تحول أكثر

العرب إلى الإســـلام وانحســـار جيوش الروم أمام جيش النبي ﷺ، فأحبوا أن يدخلوا فيما يضمن لهم مواقعهم ومصالحهم.

فأرسـلوا رسـولاً إلى النبي ﷺ بنبأ دخولهم في الإسـلام، ومفارقتهم للشـرك، فوصل إلى المدينة عقب عودة النبي ﷺ من تبوك.

وقد أدرك النبي ﷺ دوافع القوم في تحولهم إلى الإسـلام، فأرسـل إليهم كوكبة من الدعاة العلماء فيهم: معاذ بن جبل، ومالك بن عبادة، وعقبة بن عمرو، ومالك بن عبدة، وعبد الله بن زيد، ومالك بن مرارة وهو رسول القوم وغيرهم.

الداعية الحق بصير حكيم لا تأخذه روعة النطق بكلمة الحق عن دراسة دوافع قائليها ومآربهم وإنما يكون إصلاحه في إكمال ما بدؤوه. وتوجيه ما عمروه.

وانطلقت كوكبة الدعاة في اليمن تؤدي رســـالتها في الدعوة والبلاغ تحت حماية ملوك حمير، الذين أعلنوا إســـلامهم: زرعة ذي يزن، الحارث بن عبد كلال، نعيم بن عبد كلال، النعمان ذي رعين.

ولم يمض وقت طويل حتى أرســـل النبي ﷺ مجموعة أخرى من الدعاة، فيهم عمرو بن حزم، تشـد أزر الجماعة الأولى، وتبلغهم ما نزل من أحكام شـرعية، وزوده النبي ﷺ بكتاب حافل، فيه تفصيل كثير من أحكام الإسلام. ولا شك أن هؤلاء الدعاة السبعة الذين ذكرنا أسماءهم ليسوا وحدهم الذين اهتدت بهم

اليمن وحضرموت، بل هناك أسماء أخرى ساهمت في ذلك الإصلاح العظيم نسيها التاريخ.

ولئن أغفلتها كتب المؤرخين فإنها لم تسقط من ديوان رب العالمين.

إسلام بني سعد بن بكر:

يعتبر بنو سعد بن بكر بطناً من بطون هوزان، وهم الذين أرضعوا النبي ﷺ، وكانت منازلهم بين الحجاز ونجد.

ولما خرجت سرايا الدعوة في الآفاق، نزل منهم طائفة في بني سعد بن بكر فأقاموا فيهم يدعونهم إلى الله، غير أن القوم لم يطمئنوا لحديثهم، فأرسلوا وافدهم إلى النبي ﷺ وهو "ضمام بن ثعلبة"، فجاء حتى قدم المدينة فانتهى إلى النبي ﷺ، فجعل يستحلفه ويستوثق منه في شأن الرسالة والدعوة، وكان ضمام شديداً في مساءلته فكان مما سأله قال:

أنشدك بالله إلهك وإله أهلك، وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك: الله بعثك إلينا رسولاً، قال: اللهم نعم.

ثم سأله عن فرائض الإسلام فريضة فريضة، وتعلم الحلال والحرام وتلاوة القرآن. وأقام ضمام في المدينة المنورة زماناً يستمع فيه إلى النبي ﷺ، ويصحب أصحابه حتى استقر في قلبه صدق النبي ﷺ، وامتلأ قلبه إيماناً وحناناً، ثم استأذن النبي ﷺ في الخروج إلى قومه ودعوتهم، فأذن له النبي فانطلق إليهم، فما تلبث إلا قليلاً حتى شرح الله صدورهم للإسلام، وما أمسى أحد في بني سعد بن بكر إلا دخل في الإسلام.

كلمة الحق من فم المخلص الأمين
قريبة حبيبة من قلوب العالمين.

إسلام تجيب:

قدم وفد نجيب من اليمن وعدده ثلاثة عشر رجلاً، ولسنا ندري سبب دخولهم في الإسلام، ولا أسماء الدعاة الذين اهتدوا بهم، وأغلب الظن أنهم اهتدوا بدعوة معاذ بن جبل وأصحابه، وقد حضروا إلى المدينة المنورة فلقوا رسول الله ﷺ، وسمعوا من أصحابه وسألوا عن علم كثير من الكتاب والسنن.

ثم تعجلوا فبادروا إلى رحالهم، فقيل لهم: ما يعجلكم؟قالوا: نرجع إلى من وراءنا فنخبرهم برؤيتنا رسول الله ﷺ، وكلامنا إياه وما رد به علينا". وانقلبوا إلى حيهم دعاة مصلحين، وقد رأت أعينهم مجتمع الهدى الحق، وما زالوا في قومهم بالدعوة والهداية حتى تحولت تجيب كلها إلى الإسلام.

وقدم وفد تجيب على النبي ﷺ مرة أخرى في حجة الوداع.

إسلام بلّي:

كانت منازل بلي في اليمن وكانوا قوماً أهل جود وكرم وضيافة.

وقد قدم وفدهم بدعوة من الصحابي الجليل رويفع بن ثابت البلوي المقيم في المدينة المنورة.

وقد نزل القوم عند رويفع، وكان قد سبق لهم أن سمعوا عن النبي ﷺ من خلال دعاته المنتشرين في الآفاق، فلما نزلوا عند رويفع وهو من قومهم،

فوعظهم وحذرهم وأنذرهم، ثم قدم بهم على النبي ﷺ مسلمين طاهرين وقال: هؤلاء قومي يا رسول الله.

المؤمن الصادق. . يحب قومه وهو إليهم حبيب وينفق من ماله ونفسه في هدايتهم إلى الله.

فسرّ بهم النبي ﷺ وحدثهم وعلمهم، ثم جعل يزورهم في دار رويفع حيث نزلوا أياماً في ضيافته. وهكذا فقد جعل رويفع داره مقرّاً لنشر الهداية واستقبال ضيوف الإسلام.

وانقلب وفد بلّي بعدئذٍ إلى بلادهم دعاة مصلحين، حتى تحولت بلي كلها إلى الإسلام.

إسلام صداء:

كانت منازل صداء باليمن كبيرة واسعة، وكان أول من أسلم منهم زياد بن الحارث الصدائي، وكان رجلاً مطاعاً في قومه، أسلم بعد عمرة القضاء، ثم مضى إلى بلاده فأخبر قومه بخبر الإسلام، وجاء بوفد منهم يعد خمسة عشر رجلاً، فبايعوا النبي ﷺ.

واستأذن سعد بن عبادة سيد الخزرج النبي ﷺ في استضافة الوفد فأذن له، فأنزلهم عنده، فأكرمهم وأحسن وفادتهم، وكان سعد من أجواد العرب وأشرافهم.

المؤمنون أعوان على الخير الدعوة إلى الله واجب لا يتخلف عنه أحد والمؤمن الحق. . حريص على أداء واجبه في البلاغ.

وجعل أصحاب رسول الله ﷺ يترددون على دار سعد، ويتعاونون في إكرام الوفد وتعليمهم أحكام الإســـلام، وإقرائهم للقرآن، وما زالوا بهم، حتى خرجوا من المدينة دعاة عاملين، تفيض نفوســهم بالإيمان، وراحوا يضــربون في أرض صداء يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وبعد نحو عامين من الدعوة المســتمرة جاء وفد من صــداء يعد مائة رجل، فلقوا النبي ﷺ في حجة الوداع، فبايعوه عن سائر "صداء" بيعة الإيمان، وانقلبوا إلى بلادهم بنعمة من الله وفضل، واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم.

إسلام غفار وأسلم:

كانت مضــارب غفار على طريق التجارة إلى الشــام، إلى جوار مضــارب أسـلم، وكان الحيان لهما منعة في الجاهلية. وقد أسـلمت غفار وأسـلم، بدعوة أبي ذر: جندب بن جنادة الغفاري، وكان رجلاً متألهاً في الجاهلية صـــادق اللهجة سليم الطوية، جاءه أخوه أنيس وكان قافلاً من مكة فقال له: قد رأيت بها رجلاً يسمى بالصابئ أشبه الناس بك يا أبا ذر.

فمضـــى أبو ذر حتى وصـــل مكة، فنزل عند علي بن أبي طالب فأكرمه وأحسـن نزله، ثم أتى به النبي ﷺ بعد ثلاث، فسـمع منه حتى اطمأن قلبه، ثم دفعه النبي ﷺ إلى أبي بكر، فما زال به يدعوه إلى الإسلام، ويناجيه هو وعلي حتى شرح الله صدره للإسلام.

وأقام أبو ذر بمكة أياماً، يسـمع من النبي ﷺ وصـاحبيه أبي بكر وعلي حتى أشـرقت نفسـه ورق قلبه، فاسـتأذن النبي ﷺ في دعوة غفار، فأذن له فمضـى

إلى قومه يدعوهم إلى الله، فأسلم أخوه ثم أمه ثم عشيرته حتى أسلمت غفار كلها، فوفد بهم مهاجراً إلى رسول الله بعد بدر، فأقام منهم من أقام ورجع منهم من رجع. وقد تأثرت قبيلة أسلم بدعوة أبي ذر أيضاً، فجاء معه أشرافها يبايعون النبي ﷺ، فقال لهم رسول الله: **"غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله"**

العارف بالله. . فاعل بطبعه
إذا سكت احترق...وإذا نطق اخترق

وبعد...هذه أخبار الإسلام ثلاث عشرة قبيلة عربية كبرى تحولت كلها إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، من خلال دعاة رسول الله ﷺ الذين بثهم في الآفاق. وقد رأيت من قبل تحول المدن الكبرى الثلاثة: مكة والطائف والمدينة إلى الإسلام.

وهناك قبائل أخرى ذكرت أخبارها كتب السير مثل: غامد وسلامان والنخع وعذرة وبهراء وخولان ومحارب وفزارة، أعرضنا عن ذكرها لأنه لم تتوفر لدينا المعلومات الكافية التي ترسم صورة تحول تلك القبائل إلى الإسلام.

والمؤسف أن أخبار إسلام القبائل لم يدون بشكل دقيق فقد كان الدعاة يخرجون إلى القبائل بدعوتهم إلى الله، فيختلطون بالناس، وقد تطول غيبتهم وقد يدركهم الموت، وربما عدا عليهم أشرار الناس فقتلوهم فيطويهم تاريخ الصحراء الصامت، ويسقطون في سفر التاريخ، وتنساهم الأيام، سيما وإن تربيتهم كانت على أساس الإخلاص لله وحده، والإعراض عن مظاهر الرياء.

ولكن هذه الأسماء العظيمة خالدة ولا شك في سفر الملكوت الأعلى عند من لا يضيع عنده أجر المحسنين.

موت النجاشي:

وفي رجب من هذه السنة، مات ملك الحبشة "النجاشي" أصحمة بن الأبجر، فحزن عليه النبي ﷺ حزناً شديداً، لما بدر منه من صدق وعناية بالصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة، ونعاه إلى أصحابه، وخرج بهم إلى المصلى وصلى عليه صلاة الغائب.

وحين مات النجاشي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مات الليلة أخوكم أصحمة بن أبحر النجاشي قوموا بنا نصلي عليه، فقال قوم من الصحابة كيف نصلي على رجل نصراني ليس على ديننا؟ فانزل الله تعالى: وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله شريع الحساب) آل عمران 199

ثم قال قوم: يا رسول الله إنه لم يكن يستقبل قبلتنا، فقد كان يصلي إلى بيت المقدس!

فأنزل الله تعالى: ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم) البقرة 115

غزوة تبوك:

لقد دانت عاصمة الجزيرة العربية مكة لرسول الله ﷺ، وهاهو الإسلام يعم جزيرة العرب ويبسط نور الله ورحمته عليها، وهذا ما كان يؤرق دولة الروم في الشمال، فقيام دولة العرب الموحدة في جوارهم يعد ضرباً لمصالحهم في جزيرة العرب، وتهديداً لاستبدادهم وظلمهم في بلاد الشام.

وراحت أنباء ظهور الإسلام في كل مكان من جزيرة العرب تطرق مسامع ملوك الروم، وكان قد زاد من رعبهم تلك الرسالة التي وجهها النبي—ﷺ-إلى ملكهم في السنة السابقة يدعوه فيها إلى الإسلام، فرأوا أنه لا مجال أمامهم إلا أن يقضوا على تلك الرسالة قبل أن تقضي على جبروتهم وملكهم.

مجتمع الإسلام مجتمع محبة وسلام
لكنه لا يواجه مكائد الطاغوت بطيب قلبه وحسن ظنه...
بل يعدُّ عدة اللقاء كما تقتضي ضرورة المواجهة.

{وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ}

وكان يوم مؤتة تجربة قاسية للمسلمين، ولكنه أفهم الروم أن المسلمين ليسوا لقمة سائغة تسخرها رومية في هواها كما هو حال حلفائها من العرب الغساسنة. ورأوا أن ثلاثة آلاف من المسلمين استطاعت أن تقف في وجه مائة ألف منهم يوم مؤتة، ثم بلغ الروم نبأ فتح مكة فأخذوا يجمعون الجيوش، ويعدون العدة لحرب رسول الله ﷺ.

وبلغ ذلك النبي ﷺ فأخذ يستعد لهذه الحرب فأرسل إلى القبائل المسلمة المجاورة، يدعوهم فيها إلى الخروج، وأمرهم بالصدقة، وحث الموسرين على تجهيز المعسرين، فتبادر الناس ينفقون أموالهم ويتنافسون في تجهيز الجيش.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ووافق ذلك عندي مالاً فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، فجئت بنصف مالي فقال لي رسول الله ﷺ: "ما أبقيت لأهلك؟"فقلت: مثله، وأتى أبو بكر ما عنده فقال: "يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟"فقال: "أبقيت لهم الله ورسوله، فقال عمر: لا أسبقه إلى شيء بعدها أبداً.

المؤمن الحق. .
لا يضن بنفسه وما له في سبيل الله

{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ}

وتصدق عثمان بعشرة آلاف دينار وثلاثمائة بعير بجهازها، حتى قال رسول الله ﷺ: لا يضر عثمان ما فعل بعدها، وتصدق كذلك عبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن عبيد الله وغيرهم بالمال الكثير، وساهمت النساء بكل ما قدرن عليه من حليهن، حتى أن المرأة كانت تلقي في ثوب مبسوط أمام رسول الله ﷺ ما معها من الأساور والخلاخيل والقلائد والأقراط.

ومع هذا لم تكف النفقة لهذا الجيش، فقد جاء نفر من فقراء المدينة إلى رسول الله ﷺ، يسألونه أن يحملهم على ما عنده من الركائب، فجعل يقول لهم

ولا أجد ما أحملكم عليه، فينصـــرفون وأعينهم تفيض من الدمع حزناً على ما فاتهم من شرف الجهاد، وصحبة النبي ﷺ في غزوة تبوك حتى سمّوا "البكَّائين".

المؤمن الصادق. .
يسارع إلى الجهاد مسارعة الناس إلى الحياة
ويشتاق إلى الله شوق الناس إلى العافية.

وجاء المنافقون والمعذرون من الأعراب، وأخذوا يلتمســـون الأعذار أمام رسـول الله ﷺ، ويسـتأذنون في القعود فيأذن لهم لا يبالي بهم. وعسـكر رسـول الله ﷺ بثلاثين ألفاً من المسلمين في ثنية الوداع، وعسكر قريباً منه عبد الله بن أبي سـلول في جمع من أصـحابه المنافقين، فلما سـار رسـول الله ﷺ بالجيش، تخلف ابن أبي مع أصـــحابه ليثبط من همة المســـلمين، وكان الناس كلما قالوا لرســـول الله ﷺ تخلف فلان أجابهم: "دعوة فإن يك فيه خير فســـيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه".

ومضى جيش العسرة: عسرة كل شيء: السفر بعيد باتجاه الشام، والوقت صـيف، والحر شـديد، والرواحل لا تكفي المسـلمين حتى كان الاثنان والثلاثة يتعاقبون على البعير، والماء قليل ، والزاد يســـير حتى أن النفر كانوا يتداولون التمرة بينهم، يمصها الأول ثم يشرب عليها ثم يمصها الثاني ويشرب عليها على قلة من الماء، ثم استسقى رسول الله ﷺ ربه فما أسرع ما جاء الغيث، فارتوى وارتوى أصحاب النبي ﷺ.

وتأخر أبو خيثمة عن الجيش وبقي مع أهله، فرجع يوماً إلى أهله في يوم حار فوجد امرأتيه في بستان له، وقد هيأتا له مجلساً وبرَّدتا الماء وجهزتا الطعام، فنظر أبو خيثمة وقال: رسول الله في لهب الشمس والريح والحر وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء في ماله مقيم، ما هذا بالعدل، فأسرع ليلحق برسول الله ﷺ حتى أدركه في تبوك فدعا رسول الله بخير.

المؤمن قد تضعف همته يوماً.
لكن ما إن يستيقظ في قلبه الإيمان، حتى يستعيد همته وعافيته

{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ}

ووصل رسول الله ﷺ تبوك، حيث كان قد بلغه اجتماع الروم فلم يجد فيها أحداً، وكانت جموع الروم قد تفرقت لما بلغها مقدم النبي ﷺ، فمكث شهراً في تبوك يرسل دعاته وسراياه إلى القبائل على أطراف الشام، فمنهم من دخل في الإسلام ومنهم من عاهده النبي ﷺ على شروط يؤديها.

ولم يرجع النبي ﷺ حتى ضمن لدولة الإسلام حدوداً آمنة على طول حدود بلاد الروم. وخلال رجوعه ﷺ، نزل عليه ما نزل من سورة التوبة (الفاضحة)، يفضح المنافقين والمتخلفين عن رسول الله ﷺ، وكانت سورة التوبة من أشد ما نزل في المنافقين.

وكان أصحاب النبي ﷺ يقولون: ما زلنا نقرأ في سورة التوبة مما نزل في المنافقين: ومنهم. . ومنهم. . ومنهم حتى خشينا ألا يبقى منا أحد!...

تخلف كعب بن مالك وصاحبيه:

لم يتخلف في هذه الغزوة عن رسول الله ﷺ أحد إلا منافق أو معذور وثلاثة من المؤمنين الصادقين: كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية، ولنترك الحديث لكعب يحدثنا عن خبر تخلفه:

يقول كعب: كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عن النبي ﷺ يوم تبوك. والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، وعدواً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ-يريد الديوان-قال كعب: فما رجل يريد أن يغيب إلا ظنَّ أن سيخفى له، ما لم ينزل فيه وحي الله. وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أتجهز بشيء، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه.

فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد للناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً.

فقلت أتجهز بعده ليوم أو يومين، ثم ألحقه فغدوت بعد أن فصلوا-خرجوا من المدينة-لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئاً.

ثم غدوت، ثم رجعت ولم أقض شيئاً.

فلم يزل بي حتى أســـرعوا وتفارط الغزو، وهممت أن ارتحل فأدركه، وليتني فعلت، فلم يقّدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس-بعد خروج رسول الله ﷺ-فطفت فيهم، أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصـــاً عليه بالنفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء.

ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب؟فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه ونظره في عطفه. فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رســـول الله ما علمنا عليه إلا خيراً. فسكت رسول الله ﷺ.

قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضـــرني همي، وطفقت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطه غداً؟واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي. فلما قيل: إن رســـول الله ﷺ قد أظل قادماً زاح عني الباطل، وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشـــيء فيه كذب، فأجمعت صـــدقه، وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له-وكانوا بضـــعة وثمانين رجلاً-فقبل منهم رســـول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله. فجئته، فلما سلمت عليه تبسم تبسمَ المغضب ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلّفك؟ألم تكن قد ابتعت ظهرك-يعني اشتريت ناقة تحملك-؟فقلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه

بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لأن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكَّن الله أن يسخطك عليَّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليَّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.

المؤمن واضح صريح مع قيادته ينظر إلى مربية نظرة المريض إلى الطبيب لا يكذبه ولا يكتمه.

فقال رسول الله ﷺ: "أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك". فقمت. وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ كما اعتذر إليه المخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك. فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي. ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟قالوا: نعم، رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك. فقلت من هما؟قالوا: مرارة بن الربيع العمريّ وهلال بن أمية الواقفيّ، فذكروا لي رجلين قد شهدا بدراً لي فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لي. ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الدنيا–تغيرت علي الدنيا– فما هي التي أعرف. فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهم يبكيان، وأما أنا فكنت أشبّ القوم وأجلدهم، فكنت أخرج

فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليَّ، وإذا التفت نحوه أعرض عني. حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ، فسلمت عليه، فوالله ما رد عليّ السلام.

فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله، هل تعلمني أحب الله ورسوله؟فسكت فعدت له فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم.

المسلمون في طاعتهم وولائهم أمة واحدة لا تبلغ بهم عواطفهم–مهما رقت–حداً يخرجون به عن الطاعة بالمعروف.

ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار...

قال: فينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟فطفق الناس يشيرون له: حتى إذا جاءني دفع إلي كتاباً من ملك غسان فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك.

المؤمن ممتحن. ومحنة العطاء أخطر من محنة الحرمان.

فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء. فتيّممت بها التنّور فسجرته بها. حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ

يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.

ولاء المؤمن لقضيته ورسالته
قبل كل ولاء، وفوق كل انتماء.

قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع، ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟قال: لا، ولكن لا يقربك. قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان أمره ما كان إلى يومه هذا. فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه. فقلت: والله لا استأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب. فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا. فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى-قام-على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر...

قال فخرت ساجداً، .

المؤمن يفرح بمغفرة الله.
فرحاً يشغله عن كل نعيم.

وعرفت أن قد جاء فرج. وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض إلي رجلٌ فرساً، وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس.

فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيَّ، فكسوته إياهما ببشراه. والله ما أملك غيرهما يومئذٍ. واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فيتلقاني الناس فرحاً يهنئونني بالتوبة، يقولون: لتهنك توبة الله عليك.

قال كعب حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني، والله ما قام إليَّ رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ وهو برق وجهه من السرور: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك. قال قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟قال: لا، بل من عند الله. وكان رسول الله ﷺ إذا سرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلستُ بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله، .

التوبة النصوح غالية عزيزة
لا ينالها إلا من تخلص من هوى نفسه.

قال رسول الله ﷺ: أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك.

قلت: فإني أمسك سهمي الذي يخيبر، فقلت: يا رسول الله، إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدّث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما أعلم أحداً من

المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث–منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ–أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت.

وأنزل الله على رسول الله ﷺ:

{لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}[1].

فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمةٍ قط–بعد أن هداني للإسلام–أعظم، في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ ألا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، فقال تبارك وتعالى:

{سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (95) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}[2].

قال كعب: وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله:

---

[1] سورة التوبة: 117.

[2] سورة التوبة: 95.

{وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[1].

وليس الذي ذكر الله خلفنا عن الغزو، إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه.

وهكذا فقد رجع النبي ﷺ إلى المدينة من تبوك في أواخر شعبان وقد ضمن حدود الدولة الإسلامية من جهة الروم، وقطع كثيراً من أحلافهم في العرب.

وظهر للناس أن سلطان دولة الروم قد أخذ يتراجع أمام سلطان دولة الحق، ولم يعد الخوف يمنع أحداً من الدخول في الإسلام بعد أن تبين لهم الهدى والحق.

وعاد النبي ﷺ إلى المدينة ليجد وفود العرب في انتظاره فيها، وليستأنف رسالته في الدعوة والبلاغ من جديد.

وفد ثقيف:

كان النبي ﷺ قد انصرف من غزوة الطائف وثقيف في حصونها عند اقتراب دخول الشهر الحرام ذي القعدة، وإنما تركهم رجاء أن يصرف الله قلوبهم عن غوايتهم إلى الحق المبين.

فما لبث أن جاءه عروة بن مسعود الثقفي، وهو من رؤوس ثقيف وخيارهم، فأقام في المدينة ما شاء الله، ثم اطمأن قلبه بالإسلام فأسلم بين يدي النبي، ثم سأله أن يرجع إلى قومه ثقيف فيدعوهم إلى الإسلام، فقال له النبي ﷺ مشفقاً عليه: "إنهم قاتلوك" ولكن عروة وقد أشرق في نفسه الإيمان، وغلبه الحنان على قومه،

---

[1] سورة التوبة: 118.

رجا أن يهديهم الله عز وجل كما هداه، وذكر حبهم وإعظامهم له فعاد يستأذن النبي ﷺ في دعوتهم وقال: "يا رسول الله "لو وجدني قومي نائماً ما أيقظوني"، فقال له النبي ﷺ: "أنت وذاك".

فخرج يدعوهم إلى الإسلام، فما تلبثوا حتى رموه بالنبل من كل وجه فأصابوه، فقال وهو في سكرات الموت: كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إلي.

فقال فيه رسول الله ﷺ: "إن مثله في قومه كمثل صاحب ياسين في قومه".

ثم أقامت ثقيف على ذلك شهراً، ثم شرح الله صدورهم للإسلام، ورأوا أن العرب تدخل فيه أفواجاً، وأيقنوا أن لا عزة لهم بعدئذٍ إلا بالإسلام، فأرسلوا عبد يا ليل بن عمرو إلى المدينة المنورة مفاوضاً، يضمن لثقيف امتيازاتها في جزيرة العرب، ولما حضر وفد ثقيف أكرمهم النبي ﷺ وسر بهم، وضرب لهم خيمة في ناحية المسجد رجاء أن تلين قلوبهم للإسلام بما يرون من سلوك أصحاب النبي ﷺ، وكأنه أراد أن يدخل الإيمان إلى قلوبهم من أعينهم قبل أن يدخله من آذانهم.

وكان هؤلاء يترددون على رسول الله ﷺ، ويخلفون في رحالهم عثمان بن أبي العاص وكان أصغرهم سناً، فكان عثمان إذا رجع قومه إلى رحالهم مضى إلى رسول الله ﷺ يتعلم من القرآن، فإذا وجده نائماً ذهب إلى أبي بكر وتعلم منه حتى تعلم شيئاً كثيراً من القرآن.

ولم يطل بهم الوقت وهم يرقبون جلال الإسلام، فما لبث الإيمان أن دخل إلى قلوبهم.

الإسلام. . أعذب من الماء البارد على القلوب الظامئة ما إن تراه الأنفس في جلاله وجماله. .

حتى تحن له وتستسلم إليه.

لكنهم أرادوا أن يساوموا في شيء من حقوق الدين، فطلبوا إعفاءهم من الصلاة والسماح لهم بالزنا والربا والخمر، واستأذنوه في تأخير هدم صنمهم اللات، فرفض النبي ﷺ أهواءهم، وبين لهم أن هذا الدين لا تصلح فيه الفاحشة، وما زال بهم يحاورهم ويتألفهم حتى شرح الله صدورهم للإسلام، فبايعهم النبي ﷺ وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص بما يحفظ من كتاب الله، .

أحق الناس بالإمارة أكثرهم علماً والأنساب والأحساب والمواهب. . محكومة بميزان العلم.

وأرسل في أثرهم خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة الثقفي وأبو سفيان بن حرب- زعيم الوثنية السابق-مع سرية من أصحابه، فهدموا صنمهم اللات، وحسن إسلامهم هؤلاء حتى قال المغيرة بن شعبة: لا أعلم قوماً من العرب كانوا أصح إسلاماً، ولا أبعد أن يوجد فيهم غش لله ولكتابة منهم.

وكان هذا جواب دعوة النبي ﷺ: "اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم".

موت عبد الله بن أبي سلول:

كان عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين في المدينة، وكان لا يفتأ يكيد للإسلام وللمسلمين، رجاء أن يعود إليه مجده السابق في زعامة المدينة، وكان النبي ﷺ يحسن صحبته، ويتجاوز عن كثير من مساوئه ومكايده، وكان عبد الله بن أبي كغيره من المشركين يجد في قلبه صدق النبي ﷺ، ولكن لا يجد في همته الإرادة التي تسوقه إلى الحق، فيذعن له ويؤمن به.

وبعد تسع سنين من النفاق المر، وقع الرجل في سكرات الموت، وذكر ما كان من عداوته للنبي ﷺ وأصحابه، وأيقن بما يوقن به الفاجر ساعة النزع، فأوصى ولده أن يكفنه بقميص النبي ﷺ ويرجوه في الصلاة عليه.

ولما مات عبد الله بن أبي، جاء ولده عبد الله بن عبد الله وكان شاباً صالحاً إلى النبي ﷺ فأبلغه وصية أبيه، وما أسرع ما استجاب النبي ﷺ لرجائه ونزع قميصه ودفعه إليه!فدهش الناس! وقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله أتكفنه بقميصك؟وقد قال ما قال وفعل ما فعل؟!فقال له النبي ﷺ: يا عمر وما يغني عنه قميصي، إني لأرجو أن يدخل الله بقميصي هذا من بقي من أصحابه في الإسلام.

الدعاة. . يسخرون كل الظروف لخدمة الرسالة
وليس من خلق الدعاة: الشماتة والانتقام.

ولما فرغوا من تجهيزه قام النبي ﷺ ليصلي عليه، فوقف عمر بينه وبين القبلة وقال: يا رسول الله أتصلي على عدو الله القائل كذا يوم كذا؟!وجعل يعدد أيامه، فقال له النبي ﷺ: "يا عمر أخِّر عني إني قد خيرت فاخترت، قد قيل لي: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت".

محمد ﷺ نبي الرحمة
والرحمة هي صورة الإسلام الغالبة
{وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}.

ثم صلى عليه النبي ﷺ، ومشى معه حتى قام على قبره.

كان موت ابن أبي في رجب بعد تسع سنوات من النفاق المر والكيد للإسلام والمسلمين، وبموته ارتاح المسلمون من رأس النفاق في المدينة، وجعل أصحابه يعجبون من حسن عهد النبي ﷺ معه، وهو أعلم بنفاقه وكذبه، فدفعهم ذلك إلى الندم على نفاقهم، وتاب أقوام منهم وصلحوا وحسن إيمانهم.

ثم إن الله عز وجل نهى نبيه ﷺ أن يصلي على المنافقين من بعد أو يستغفر لهم فقال:

{وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (84) وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}[1].

وكانت هذه إحدى موافقات عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

حج أبي بكر:

وفي أواخر ذي القعدة، أرسل النبي ﷺ أبا بكر أميراً بالناس للحج إلى بيت الله الحرام، وبقي هو في المدينة يتابع أعمال الدعوة واستقبال الوفود، ولم يرغب رسول الله ﷺ بالخروج إلى الحج، لما كان فيه من بقايا المشركين الذين يتنسكون بغير التوحيد، وربما طافوا بالبيت عراة، ولم يكن النبي ﷺ ليصدهم للعقود التي بينه وبينهم. كما أن اشتغال رسول الله ﷺ باستقبال الوفود في هذا العام، حال أيضاً دون حجه إلى البيت الحرام.

ولما كان أبو بكر في بعض الطريق، نزل الوحي الأمين بآيات من سورة التوبة (براءة)، فأرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب في أثر أبي بكر، وأمره أن يقرأ السورة

---

[1] سورة التوبة: 83.

على الناس في مجمعهم، فقرأها عليهم وفيها أن من لم يكن في عهد مع المسلمين فله مهلة أربعة أشهر يخرج بعدها من الحرم، ومن كان في عهد فله إلى انقضاء مدة العهد، وهو قول الله عز وجل:

{وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}[2].

وبذلك قضى الإسلام نهائياً على معالم الشرك في مكة دون أن يغدر بأحد من الناس، بل أعطاهم الفرصة الكافية ليغادروا البلد الأمين، وأكمل لذوي العهود عهودهم وحفظ للبيت حرمته وقدسيته.

الإسلام يحترم عهود الناس ومواثيقها
ولا يدفعه اقتداره وهمينته أن يفرط في عقود الآخرين.

وجاءت السورة أيضاً بتحريم دخول المشركين إلى البلد الحرام:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[1].

ومنذ أن نزلت هذه الآية العظيمة، لم يدخل أرض الحرم الآمن رجل مشرك، ورزق الله أهل الحرم من الغنى والمال كما وعد سبحانه وتعالى: وهو أصدق القائلين.

---

[2] سورة التوبة: 3.

[1] سورة التوبة: 27.

السَّنَةُ العَاشِرَةُ لِلهِجْرَةِ "22 بَعْدَ البَعْثَةِ"

أهم حوادث السنة العاشرة:

1–اكتمال دخول الجزيرة العربية في الإسلام.

2–تشريع أحكام أهل الذمة وقدوم نصارى نجران.

3–ظهور مسيلمة الكذاب والأسود العنسي.

4–حجة الوداع وإعلان اكتمال الرسالة الإسلامية.

دخلت هذه السنة والنبي ﷺ يستقبل الوفود القادمة إلى المدينة، ويعلمهم دينهم، ويرسل معهم الدعاة والمعلمين.

وكان للصيحة التي نادى بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم الحج الأكبر أثرها الكبير، فقد أحس المكابرون أنه لم يعد لهم بقاء في بلاد سادها التوحيد، وصارت وفود القبائل تقدم المدينة المنورة بعضها ليدخل في الإسلام راغباً طائعاً، وبعضها ليدخل في عقود تحالف وجوار تأتلف مع العهد الجديد، وكم من وفد جاؤوا مساومين مجادلين، فرجعوا وقد عمر الإيمان قلوبهم، ودخلوا فيما دخل الناس فيه من الحق.

وفد نجران:

تقع نجران في شمال اليمن مما يلي الحجاز، وقد دخلت إليها النصـــرانية عن طريق الحبشـة، وصـار للنصـرانية فيها معابد وكنائس، وقد جاء وفد نجران إلى النبي ﷺ في المرة الأولى قبل هجرته إلى المدينة كما ذكرنا من قبل، ثم جاء الوفد مرة ثانية بعد أن أرســل إليهم النبي ﷺ كتاباً يدعوهم فيه إلى الإســلام، فأقام الوفد في مســجد رســول الله ﷺ يأكلون ويشــربون وينامون، وقاموا يصــلون بصـلاتهم إلى قبلتهم-بيت المقدس-فقام الصـحابة ليمنعوهم، فأمرهم النبي ﷺ فتركوهم وسمح لهم بالصلاة حسب عادتهم في مسجده الشريف، .

الإسلام فتح باب الحوار مع أتباع الديانات من أوسع أبوابه وسجل أول دعوة تاريخية للحوار بين الديانات.

ومكثوا كذلك بضع عشرة ليلة يعرض عليهم النبي ﷺ الإسلام، ويبين لهم وهم يجادلون ويكابرون، ولما رأى أنهم لا يبتغون الحق والهدى، وإنما هم أتباع هوى أراد أن يظهر اســتكبارهم، فجاء بأهل بيته وطلب من الوفد المباهلة؛والمباهلة: أن يقوم الفريقان ليبتهلان إلى الله عز وجل أن يلعن الكاذب منهما، وذلك قول الله عز وجل:

{الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِـــدِينَ قُلْ يَا

أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَــوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْــرِكَ بِهِ شَـيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُـنَا بَعْضًـا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}(1).

فتردد القوم عن الدخول في المباهلة، وجعل بعضـهم يؤخر بعضـاً عن ذلك. حتى أحجموا وعرضـــوا على النبي ﷺ أن يقرهم في بلادهم على ما هم فيه، وأنهم يؤدون جزية بلادهم إلى المدينة، فرضـــي النبي ﷺ ذلك، وكتب إليهم كتاباً هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما كتبه محمدّ النبي ﷺ لنجران:

"إنه لنجران جوار الله تعالى وذمة محمد النبي ﷺ وملتهم وأرضـــهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم، وعشيرتهم وتبعهم، وألا يغيروا مما كانوا عليه، ولا يغير حق من حقوقهم ولا ملتهم، ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، وكل ما تحت أيديهم من مال، وليس عليهم ريبة، ولا دم جاهلية، ولا يحشرون، ولا يعشرون، ولا يطأ أرضهم جيش، .

أحكام أهل الذمة كانت صورة من التسامح الإسلامي مع سائر أبناء الطوائف.

(1)آل عمران: 60.

ومن سـأل منهم حقاً، فبينهم النصـف غير ظالمين ولا مظلومين، ومن أكل ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة، ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر، وعلى ما في هذه الصـحيفة جوار الله، وذمة محمد النبي رسـول الله، حتى يأتي الله بأمره ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بحرب".

ثم فصل في الصحيفة بيان ما يؤدّونه من الجزية.

ظهور مسيلمة الكذاب:

قدم مسـيلمة بن حبيب في وفد بني حنيفة إلى النبي ﷺ كما قدمت وفود العرب، فنزلوا على النبي ﷺ وتخلف عنهم مسـيلمة في الرحال، فدعاهم النبي ﷺ وأخبرهم بما افترض الله عليهم وما حرم، فآمنت طائفة منهم، ثم انقلبوا إلى اليمامة، فلما وصـلوا زعم مسـيلمة أنه أوحى إليه كما أوحي إلى محمد، وجعل يسـجع من الأسـجاع، وينظم من كلام الكهان والمنجمين ما فتن به قلوب أصحابه، فاتبعوه في ضلالته، وصادف ذلك هوى قومه، فشدوا على يده، يريدون بذلك منازعة النبي ﷺ فيما أكرمه الله به من الوحي.

وكتب مسيلمة إلى النبي ﷺ كتاباً فيه:

من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله!...

أما بعد: فإني قد أشركت في الأمر. لك نصف الأرض من قبلك، ولنا نصف الأرض من قبلنا، ولكن قريشاً قوم يعتدون.

فلما قرأ النبي ﷺ كتاب مسيلمة كتب إليه:

من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب!

أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

دعوة الحق تضحية وفداء

ودعوة الباطل نزاع على المصالح.

فغضب مسيلمة وأصحابه، وقتلوا رسول النبي ﷺ وراحوا يعدون على من حولهم من القبائل، ويتهيئون لحرب النبي ﷺ.

وفي تميم ظهرت امرأة يقال لها سجاح بنت الحارث التميمية فادعت النبوة أيضاً، واتصل بها مسيلمة فتزوجها، واجتمع الكذابان على حرب النبي ﷺ، وافتراء الكذب والدجل على لسان الوحي.

وسمي مسيلمة نفسه رحمن اليمامة، غير أن رسول الله سماه: مسيلمة الكذاب، واشتهر بهذا الاسم حتى لا يكاد يعرف بغيره.

واستمر فجور مسيلمة وبدعته إلى عهد أبي بكر حتى قتله الأصحاب في وقعة اليمامة في حديقة الموت، بعد أن عاد على قومه بفساد كبير وشر مستطير.

أما سجاح التميمية فقد عادت إلى الإسلام، وعاشت حتى خلافة معاوية.

ظهور الأسود العنسي:

وكذلك ظهر في اليمن الأسود العنسي، فادعى النبوة أيضاً، وآمن به جماعة من قومه، غير أن مؤمني اليمن، وقد رسخ الإيمان في نفوسهم، لم يمهلوا هذا الطاغية الضال، فقتلوه في داره، وذلك قبيل وفاة النبي ﷺ بأيام قليلة.

تنتشر الضلالات حيث يقل العلماء فالعلم والمعرفة سلاح صارم في وجه الدجاجلة الكذابين.

وقد أخبر النبي ﷺ بذلك كما أخبر الوحي ساعة وقوعه فقال:

"قتل الليلة الأسود العنسي الكذاب، قتله العبد الصالح فيروز الديلمي".

رمضان:

وفي رمضان من هذه السنة، جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فأقرأه القرآن مرتين، وكان يقرئه القرآن في رمضان مرة واحدة، وقال النبي ﷺ: "إن جبريل كان يعارضني القرآن في كل رمضان مرة، وإنه عارضني في العام مرتين وما أراه إلا قد حضر جلي".

حجة الوداع:

وعقب رمضان أعلن رسول الله ﷺ في الناس أنّه يريد الحجّ، فقدم المدينة خلق كثير، كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ في حجّته.

فخرج ﷺ في الرابع والعشـــرين من ذي القعدة، وأحرم بالناس من ذي الحليفة (ميقات أهل المدينة)، وجعلت الوفود تنضـــم إليه كما نزل منزلاً في الطريق، وهو يعلمهم مناســـك الحجّ ومواقيته، حتى بلغ الحجيج مائةً وأربعة عشـــر ألفاً من المسلمين.

ودخل رســـول الله ﷺ مكّة قارناً، وكان قد واعد عليّاً أن يســـوق الهدي من اليمن، فجاء بثلاثٍ وســتين بدنة، وكان في أصــحابه ﷺ من أفردَ ومن قرنَ، ومن تمتَّع، فأقرّ كلاً منهم.

ثم ســار بالناس حتى دخل البيت الحرام ملبيّاً مكبّراً فطاف بالبيت، وســعى بين الصـــفا والمروة، ودعاؤه يومئذٍ، اللهم أنت الســـلام، ومنك الســـلام، حيّنا ربّنا بالسلام،

وكان ممّا دعا به ﷺ: "اللهم إنّك تســـمع كلامي وترى مكاني، وتعلم ســـري وعلانيتي، ولا يخفى عليك شـــيء من أمري، أنا البائس الفقير الوجل المشـــفق المعترف بذنبه، أســـألك مســـألة المســـكين، وأبتهل ابتهال الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضـرير، من خضـعت لك رقبته، وفاضـت لك عبرته، وذلَّ لك جسـده، ورغم لك أنفه".

تأمل عبارات التضرع والتذلل من النبي ﷺ
وهو الفاتح الظافر المنتصر.

وجعل يلتفت للناس فيقول: "أيّها الناس خذوا عنّي مناســككم، فلعلي لا أحج بعد عامي هذا".

حتى إذا قام بهم في عرفات، واكتمل النّسك، قام بهم في نمرة (موضع في عرفات عند حد الحل والحرم بني عليه اليوم مسجد نمرة) ضارعاً مكبّراً فخطب في النّاس خطبة الوداع وفيها:

"أيها الناس اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا في هذا الموقف أبداً. أيها الناس أتدرون في أيّ شهرٍ أنتم؟قالوا: فسكتنا حتى ظنّنا أنّه سيسميه بغير اسمه، قال: ألستم في شهرٍ حرام؟، قالوا: بلى، ثم قال: أيها الناس أتدرون في أي بلدٍ أنتم؟قالوا: فسكتنا حتى ظنّنا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: ألستم في بلدٍ حرام قالوا: بلى. فقال: أيها النّاس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربّكم، فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كان عنده أمانةٌ فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

وإنّ كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، قضى الله تعالى أنّه لا ربا، وإنّ ربا عمّي العباس بن عبد المطلب موضوع كله.

الداعية الحق. . يجري أحكام الإسلام

في بيته وأهله قبل أن تكون مشروعاً يدعو الناس إليه

"أقيموا دولة الإسلام على أنفسكم تقم لكم في أرضكم".

وأنّ كل دمٍ كان في الجاهلية موضوع، وإنّ أولّ دمٍ أضعه دم ابن عميّ ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، (وكان مسترضعاً في بني ليث فقتله هذيل)، فهو أوّل ما أبدأ به من دماء الجاهلية.

أما بعد أيها النّاس، فإنّ الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنّه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به ممّا تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

أيّها الناس: إنّما النسيء زيادةٌ في الكفر يضل به الذين كفروا، يحلّونه عاماً، ويحرّمونه عاماً، ليواطئوا عدة ما حرّم الله، فيحلّوا ما حرّم الله، ويحرّموا ما أحل الله، وإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله، منها أربعة حرم، ثلاثةٌ متواليات ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان.

أمّا بعد أيّها النّاس: فإنّ لكم على نسائكم حقّاً، ولهنّ عليكم حقاً، لكم عليهن أن لا يوطئن[1] فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن ألاّ يأتين بفاحشةٍ مبينّةٍ، فإن فعلن فإنّ الله قد أذنَ لكم أن تهجروهنَّ في المضاجع، وتضربوهنّ ضرباً غير مبرّح، فإن انتهينَ فلهنّ رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهنَّ عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنّكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله، .

حقوق المرأة في الإسلام مضمونة مكفولة جعلها الإسلام: كلمة الله. . بعد أن كانت من سقط المتاع.

فاعقلوا أيها النّاس قولي، فإني قد بلغت، وقد تركتُ فيكم ما إن استعصمتم به، فلن تضلّوا أبداً، أمراً بيّناً. كتاب الله وسنة نبيّه.

---

[1] معناها يدخلن بيوتكم من لا تريدون دخولهم.

أيها الناس: اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمنَّ أن المسلم أخ للمسلم، وإنّ المسلمين إخوة، فلا يحلّ لامرئٍ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت".

-وكان يشدّد على الناس في المسألة فيقول: ألا هل بلغت فيقولون: اللّهم نعم، ونزل عليه يومئذ قول الله عزّ وجل: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}، وفاضت عبرة النبيّ ﷺ وأحسَّ الناس بأنها كلمات مودّع، وكان يوماً مشهوداً.

وانصرف النبي ﷺ من عرفات فبات في المزدلفة، ثم رمى جمرة العقبة، ونحر البدن بيده الشريفة، وتصدّق بلحومها وجلودها في المساكين، ثم حلق وتحلّل وتوّجه إلى البيت الحرام، فطاف طواف الإفاضة، وسعى بين الصفا والمروة والنّاس من حوله، يأخذون عنه مناسكهم، ويحفظون أوامره ووصاياه.

ورجع بعدئذٍ إلى منى في أيام التشريق، وجعل يكثر من الصدقات، ورمى فيها الجمار، وكان يكثر في الناس من الموعظة، فالقلوب رطبةٌ والنفوس خاشعة والجوارح طائعة. .

وهكذا فقد تمّت مناسك الحج الأكبر، وحفظ الناس عنه كلَّ كلمةٍ قالها، وكل حركة مشاها، ليكون ذلك من بعد ذلك سنّة للعالمين.

وفي أواخر ذي الحجة وصل النبي ﷺ إلى المدينة من جديد بعد أن طوى عامه العاشر فيها وقد اطمأن قلبه بما رأى من انتشار الإسلام في بلاد العرب، وراح يقلّب النظر في أصحابه من حوله الذين سيقومون ببلاغ الرسالة من بعده في

الأرض، وقلبه يخفق نبضات الشوق إلى الله عزّ وجلّ، وكأنّه يسمع دعوة الله عزّ وجلّ:

طال شوق الأبرار إليَّ وأنا أشدّ إليهم شوقاً.

السَّنَةُ الحَادِيَةَ عَشَرَةَ لِلْهِجْرَةِ "23 بَعْدَ البَعْثَةِ"

أهم حوادث السنة الحادية عشرة:

1-إعداد جيش أسامة لغزو الروم.

2-مرض النبي ﷺ.

3-وفاة النبي ﷺ 12/ربيع أول/11هـ.

4-بيعة أبي بكر الصديق بالخلافة.

ب

دأت هذه السنة وقد عاد النبي ﷺ من حجة الوداع بعد أن نزل عليه قول الله عز وجل: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا }(1).

وبذلك فقد رجع النبي ﷺ إلى المدينة وهو مطمئن لما رأى من إقبال الناس على الإسلام ودخولهم في دين الله أفواجاً.

جيش أسامة:

وبلغ النبي ﷺ أن الروم يتجهزون للإغارة على المدينة، فنفر الناس للجهاد وجهز جيشاً من أصحابه في أواخر صفر، وجعل عليه أسامة بن زيد بن حارثة، ولم يكن قد جاوز السابعة عشرة من عمره، وكان في الجيش كبار الصحابة كأبي بكر وعمر، .

(1) سورة المائدة: 3.

الداعية الحق. .

إذا صح منه اليقين. . لا يبالي موقعه في معركة الجهاد قائداً مشهوراً...أم جندياً مأموراً...أم خادماً مغموراً.

لكنى الجيش لم يتحرك، فقد شغلوا بما هو أهم من ذلك، وهو مرض رسول الله ﷺ الذي أخذ يشتد شيئاً فشيئاً، فاستبطأ الناس في بعث جيش أسامة، وقال بعضهم متعجباً مرتاباً: استعمل غلاماً حدثاً على جلة المهاجرين والأنصار!.

فلما سمع بذلك رسول الله ﷺ خرج وهو في مرضه عاصباً رأسه وقال: "أيها الناس، أنفذوا بعث أسامة، فلعمري لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله، وإنه لخليق بالإمارة وإن كان أبوه لخليقاً بها"، ثم خرج جيش أسامة وعسكر قريباً من المدينة، وجعل الناس يتلاحقون به، لكن رسول الله ﷺ ثقل واشتد به المرض، فأقام أسامة ينتظر ثم عاد إلى المدينة.

مرض رسول الله:

ولما اشتد المرض برسول الله ﷺ، استأذن أزواجه أن يمرض عند عائشة فأذنّ له، فخرج إلى بيتها محمولاً بين رجلين من أصحابه، ومع ذلك كان ﷺ حريصاً على أن يصلي بالمسلمين كلما حضرت الصلاة، وأن يعظهم وينصحهم كلما وجد في نفسه قوة، وحضرت الصلاة ذات يوم وقد اشتد به وجعه، وكاد أن يغمى عليه فقال: آهريقوا عليّ سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم، ففعلوا ذلك وخرج ﷺ وجلس على المنبر، فكان أول ما تكلم به أن صلى على

أصحاب أحد فأكثر الصلاة عليهم واستغفر لهم ثم قال: "إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله"، عندها بكى أبو بكر وقال: بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا، فقال رسول الله ﷺ: على رسلك يا أبا بكر لا تبك، ثم قال: أيها الناس إن أمنَّ الناس علي في صحبتي ومالي أبو بكر، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صحبة وإخاء وإيمان حتى يجمع الله بيننا عنده.

ولم يزل رسول الله ﷺ حريصاً على أن يصلي بالناس، حتى غلبه المرض وأعجزه عن الخروج، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، فصلى أبو بكر بهم سبع عشرة مرة.

وزادت شدة المرض بالنبي ﷺ، وقالت فاطمة: واكرب أبتاه!!. . فقال لها ﷺ: "لا كرب على أبيك بعد اليوم".

ودخل عليه أسامة بن زيد وقد عجز عن الكلام، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليه يدعو له. ولما كان يوم الاثنين الأخير، خرج ﷺ إلى الناس، وهم يصلون الصبح خلف أبي بكر، وجعل ينظر إليهم وهو يبتسم، فانتبه المسلمون فكادوا يفتنون في صلاتهم فرحاً برؤيته، فأشار إليهم أن اثبتوا، وتبسم رسول الله ﷺ وعاد إلى حجرته.

المؤمن يفيض قلبه حباً وشوقاً إلى مربيه

بينه وبين المربي كما بين الأصحاب والنبي ﷺ.

وظن الناس أن هذا الخروج يبشر بشفائه، فلما قضيت الصلاة، سار الناس في حوائجهم، وخرج أبو بكر إلى بعض نواحي المدينة لحاجته.

وعاد رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة، وخرج علي إلى الناس فقالوا له: كيف أصبح رسول الله ﷺ؟فقال: أصبح بحمد الله بارئاً، ولكنها كانت صحوة الموت، ثم ثقل المرض برسول الله ﷺ، فاضطجع في حجرة عائشة، وجعل ينظر إلى سواك في يد رجل، فناولته عائشة إياه بعد أن لينته، وجعل يستاك به استياكاً شديداً، ثم وضعه وبه رهق شديد، ثم ثوى رأسه الشريف على كتف عائشة، واشتد منه النزع، وكان آخر ما سمع من كلامه:

الصلاة الصلاةْ وما ملكت أيمانكم...

استوصوا بالنساء خيراً...

لا يبقى في جزيرة العرب دينان...

ثم أرغى فمه بآخر كلمة سمعت منه:

بل الرفيق الأعلى من الجنة!!

وفاضت روحه ﷺ.

ونزل النبأ كالصاعقة على أسماع المسلمين، فانطلقت عواطفهم المكتوبة في ثورة جامحة، وصاروا كالقطيع الهائج في الليلة الشاتية. وقام عمر بن الخطاب، فاخترط

سيفه وصعد على المنبر وقال: إن أناساً من المنافقين يزعمون أن رسول الله قد مات، وإن رسول الله لن يموت حتى يفني المنافقين، وإنما غاب أربعين ليلة كعدة موسى في بني إسرائيل، وأيما رجل قال إن محمداً قد مات ضربته بسيفي هذا!!. . وكانت ساعة عصيبة قاسية.

ثم حضر أبو بكر الصديق وكان بظاهر المدينة في بعض حاجته، وعمر على المنبر، فمشى حتى دخل حجرة عائشة، فكشف الغطاء عن وجهه ﷺ، فقبله من بين عينيه وقال: "بأبي أنت وأمي يا رسول الله، طبت حياً وميتاً، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها، ثم لن يصيبك بعدها موت أبداً".

ثم خرج حتى أتى المنبر وعليه عمر بن الخطاب يتهدد الناس فقال: على رسلك يا عمر حتى نزل عمر بن الخطاب، وقام أبو بكر على المنبر فقال:

"أيها الناس: من كان يعبد محمّداً فإن محمدّاً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت!. . ".

أرسخ الناس في الإيمان أثبتهم في الشدائد المؤمن الراسخ: لا تنسيه صدمة الهول وقفة الدفاع عن الرسالة.

ثم قرأ: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ }[1].

[1] سورة آل عمران: 146.

فقال عمر بن الخطاب: فوالله كأن الآية ما نزلت إلا يومئذٍ، وكأني لم أقرأها من قبل، وقرأ أيضاً: { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ }[2].

مبايعة أبو بكر:

وعلى الفور، اجتمع رؤساء الأنصار والمهاجرين في سقيفة بني ساعدة ليختاروا خليفة للنبي ﷺ، وكانت الأنصار تحب أن تكون الخلافة فيهم، وقد انتدبوا لها سعد بن عبادة، وقد كان وزير صدق للنبي ﷺ، وكان من أشراف العرب وأجوادهم.

ورأى المهاجرون أن تكون في السابقين الأولين من المهاجرين، لما لهم من طول الصحبة وفضل الهجرة والسبق إلى الإسلام، فاختار أبو بكر الصديق أبا عبيدة بن الجراح، وقال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: "أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح".

غير أنا أبا عبيدة قال: أيها الناس، هذا أبو بكر الصديق صاحب رسول الله وخليله، وقد اختار رسول الله لديننا "إماماً في الصلاة" أفلا نرضاه لدنيانا، وقال: ابسط يدك أبايعك، فبايعه أبو عبيدة، ثم عمر، ثم انبرى المهاجرون والأنصار يبايعونه، فما خرجوا من سقيفة بني ساعدة حتى تمت البيعة لأبي بكر الصديق بالخلافة.

المؤمنون لا تطول شوراهم حتى يجتمعوا على الحق.

[2] سورة الزمر: 29.

وقد تخلف آل النبي ﷺ عن هذه البيعة، لانشغالهم بتجهيز النبي ﷺ. وقد كانت وفاته ﷺ يوم الاثنين 12/ربيع الأول/سنة 11 هجرية، وقام بغسله ﷺ علي بن أبي طالب، مع ولدي العباس: قثم والفضل وأسامة بن زيد بن حارثة، وقد تمَّ غسله وتجهيزه ليلة الثلاثاء.

وفي نهار يوم الثلاثاء، أذن للناس، فجعلوا يدخلون للصلاة عليه منفردين لا يؤمهم أحد، وتم دفنه ﷺ مساء الثلاثاء في حجرة عائشة التي قبض فيها، وكان عمره ذلك اليوم قد أكمل ثلاثاً وستين سنة.

وبموته ﷺ طويت صفحة من ثلاث وعشرين سنة من النضال غيّرت وجه التاريخ، ومضى النبي ﷺ مبتسماً راضياً، عين في الأرض على رسالته ورجاله، وعين في السماء على مقامه ومآله.

وفي يوم الاثنين 12/ربيع الأول/11 هجرية الموافق 23/للبعثة/الواقع في 6/حزيران/632 ميلادية:

أذن الظهر...

وحمل الراية أبو بكر...

ومضى موكب النور.....

الجداول الشارحة

يَوْمِيَّاتُ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

-54/ق. هـ. وفاة عبد الله بن عبد المطلب والد النبي ﷺ.

-53/ق. هـ. هلاك أصحاب الفيل.

-53/ق. هـ. ولادة النبي ﷺ بعد خمسين يوماً من حادث الفيل توافق يوم الاثنين 12/ربيع الأول/53 ق. هـ/الواقع في 20/نيسان/م 570.

-51/ق. هـ. رضاع النبي ﷺ في بني سعد بن بكر عند حليمة السعدية.

-48/ق. هـ. وفاة آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ. وعمره ﷺ 5 سنوات.

-45/ق. هـ. وفاة عبد المطلب بن هاشم جد النبي. وعمره ﷺ 8 سنوات.

-45/ق. هـ. النبي ﷺ في كفالة عمه أبي طالب. وعمره ﷺ 8 سنوات.

-28/ق. هـ. زواج النبي ﷺ من خديجة بنت خويلد. وعمره ﷺ 25 سنة.

-23/ق. هـ. ولادة زينب بنت النبي ﷺ. وعمره ﷺ 30 سنة.

-18/ق. هـ. قريش تقوم ببناء الكعبة. وعمره ﷺ 35 سنة.

-18/ق. هـ. ولادة رقية بنت النبي ﷺ. وعمره ﷺ 35 سنة.

-14/ق. هـ. ولادة أم كلثوم بنت النبي ﷺ. وعمره ﷺ 39 سنة.

-13/ق. هـ. ولادة فاطمة بنت النبي ﷺ. وعمره ﷺ 40 سنة. [1]

---

(1) اعتمدنا في مقابلة التواريخ الهجرية والميلادية على برنامج العربي لكمبيوتر صخر "MX170". كما تجدر الإشارة إلى أغلب وقائع السيرة لم يتم الاتفاق على تحديد تاريخها من قبل المؤرخين، وقد اخترنا من أقوالهم ما هو أقرب إلى منطق الأحداث وتسلسلها، أضف إلى ذلك أن بعضها غير

12/ق. هـ. الموافق 1/بعد البعثة

-بدء الرؤيا الصـــادقة. وذلك في ربيع الأول عام 40 بعد الفيل الموافق 609 ميلادية.

-بدء نزول القرآن الكريم. وذلك في 27/رمضـــان عام 40 بعد الفيل الموافق 17/آب 609 ميلادية.

-إسلام خديجة بنت خويلد.

-وفاة ورقة بن نوفل.

11/ق. هـ. الموافق 2/بعد البعثة

-إسلام أبي بكر الصديق.

-إسلام علي بن أبي طالب.

-إسلام زيد بن حارثة.

-بدء الدعوة سراً.

-إسلام عثمان بن عفان.

-إسلام الزبير بن العوام.

-إسلام عبد الرحمن بن عوف.

-إسلام سعد بن أبي وقاص.

-إسلام طلحة بن عبيد الله.

-إسلام أبي عبيدة الجراح.

مؤرَّخ إطلاقاً، ومن أردا تمحيص الروايات فليرجع إلى كتب السيرة الأصول كما أوردناها في قائمة المراجع.

-إسلام أبي سلمة بن عبد الأسد.

-إسلام الأرقم بن الأرقم.

-إسلام عثمان بن مظعون.

-تسامع قريش بأخبار الإسلام.

10/ق. هـ. الموافق 3/بعد البعثة

-استمرار الدعوة سراً.

-دعوة العشيرة الأقربين.

-أبو لهب يتخذ موقفاً معادياً للإسلام.

-دخول دار الأرقم بن أبي الأرقم أول مدرسة في الإسلام.

-قريش تعلن غضبها على النبي ﷺ.

-اجتماع المسلمين على صلاة الغداة والعشي.

-أول دم يراق في الإسلام.

9/ق. هـ. الموافق 4/بعد البعثة

-إعلان الدعوة في قريش.

-بدء الإيذاء والاضطهاد.

-إعلان أبي طالب عن حمايته للنبي ﷺ.

-وفاة ياسر وسمية أول شهيدين في الإسلام.

-وفاة ثوبية الصابرة.

-محاولات قريش مفاوضة النبي ﷺ ليترك الدعوة.

8/ق. هـ. الموافق 5/بعد البعثة

-اشتداد أذى قريش.

-الهجرة الأولى إلى الحبشة.

-محاولات قريش لرد المهاجرين والقبض عليهم.

-بدء الدعوة في الحبشة.

7/ق. هـ. الموافق 6/بعد البعثة

-إسلام حمزة بن عبد المطلب.

-إسلام عمر بن الخطاب.

-الجهر بالدعوة والاستعلان بالقرآن.

-عودة بعض المهاجرين من الحبشة.

6/ق. هـ. الموافق 7/بعد البعثة

-الهجرة الثانية إلى الحبشة.

-محاولات قريش شراء الدعوة الإسلامية.

-قريش تصاب بالحيرة في اتخاذ موقف واحد من الإسلام.

5/ق. هـ. الموافق 8/بعد البعثة

-دخول المسلمين شعب أبي طالب.

-إحكام الحصار الإعلامي والاقتصادي على المسلمين.

4/ق. هـ. الموافق 9/بعد البعثة

-استمرار الحصار الظالم.

-حكماء قريش يتعاطفون مع المسلمين.

-تعاطف عام في جزيرة العرب مع المسلمين عقب انتشار خبر الصحيفة.

-دخول جماعة من نصارى نجران في الإسلام.

3/ق. هـ. الموافق 10/بعد البعثة

-نقض الصحيفة الظالمة.

-وفاة خديجة بنت خويلد.

-وفاة أبي طالب.

-إيذاء النبي ﷺ في جسده بعد موت أبي طالب.

-هجرة النبي ﷺ إلى الطائف.

-إيمان نفر من الجن.

-إيمان عداس النينوي.

-دخول النبي ﷺ في جوار المطعم بن عدي.

-دخول جماعة من أهل المدينة في الإسلام في موسم الحج.

-إسلام جماعة من بني شيبان في موسم الحج أيضاً.

2/ق. هـ. الموافق 11/بعد البعثة

-استمرار الدعوة في جوار المطعم.

-الإسراء والمعراج.

-تشريع الصلوات الخمس.

-أول ردة في الإسلام عقب خبر الإسراء والمعراج.

-بيعة العقبة الأولى.

-إرسال مصعب بن عمير إلى المدينة.

1/ق. هـ. الموافق 12/بعد البعثة

-بدء دعوة مصعب في المدينة.

-أول جمعة تقام في الإسلام في المدينة المنورة.

-إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير.

-بيعة العقبة الثانية.

-بدء الهجرة إلى المدينة.

1/هـ. الموافق 13/بعد البعثة توافق 622 ميلادية

-أصحاب النبي يهاجرون إلى المدينة.

-مكة تخلو من الصحابة، ولم يبق فيها إلا النبي ﷺ وأبو بكر وبعض الضعفاء.

-من 1-7 ربيع أول هجرة النبي ﷺ ووصوله إلى قباء.

-بناء مسجد قباء.

-12 ربيع أول: وصول النبي ﷺ إلى المدينة وإقامته في دار أبي أيوب الأنصاري.

-بناء مسجد المدينة.

-عقد المؤاخاة العظيم.

-موادعة اليهود.

-محالفة القبائل.

-الإذن برد العدوان.

-خروج بعض السرايا لملاقاة عير قريش.

2/هـ. الموافق 14/بعد البعثة

-تحويل القبلة.

-سرايا إلى القبائل المجاورة بقصد عرض الإسلام.

-غزوات وسرايا بقصد استرداد أموال المهاجرين.

-17/رمضان موقعة بدر الكبرى.

-أمر الأسارى ومفاوضات ثقافية بين النبي ﷺ وبين قريش.

3/هـ. الموافق 15/بعد البعثة

-ظهور النفاق في المدينة.

-قتل كعب بن الأشرف اليهودي غراب الحرب الماكر.

-وقعد أحد في شوال.

-مقتل حمزة ومصعب وسبعين من الصحابة في أحد.

-غزوة حمراء الأسد في آخر شوال.

4/هـ. الموافق 16/بعد البعثة

-إعادة ترتيب الجماعة المسلمة بعد أحد.

-مأساة يوم الرجيع.

-كارثة بئر معونة.

-إجلاء جرثومة الغدر من المدينة "بنو النضير".

-تحريم الخمر تحريماً قاطعاً.

-غزوة ذات الرقاع.

-استئناف إرسال سرايا الدعوة.

5/هـ. الموافق 17/بعد البعثة

-اشتداد النفاق وتفاقمه.

-دخول بني المصطلق في الإسلام عقب زواج النبي ﷺ بجويرية بنت الحارث.

-نزول سورة المنافقين في فضح مكائد النفاق، بعد محاولة فاشلة منهم للإيقاع بين المهاجرين والأنصار.

-حديث الإفك ونزول سورة النور.

-غزوة الأحزاب.

-غزوة بني قريظة.

-وفاة سعد بن معاذ.

6/هـ. الموافق 18/بعد البعثة

-استئناف إرسال سرايا الدعاة.

-تطهير أطراف المدينة من بقايا اليهود.

-مقتل أبي رافع اليهودي.

-التفكير في موادعة قريش ومعاهدتها.

-الخروج للحديبية وبيعة الرضوان.

-صلح الحديبية وفيه:

1-اعتراف قريش بالدولة الإسلامية.

2-وضع الحرب عشر سنين.

3-قطع الأحلاف بين قريش واليهود.

-فتح خيبر...آخر معاقل الغدر في جزيرة العرب.

-نزول سورة الفتح.

-عودة مهاجري الحبشة.

7/هـ. الموافق 19/بعد البعثة

-زواج النبي بأم حبيبة بنت أبي سفيان، وبدء تحول قريش إلى الإسلام.

-إرسال الرسل إلى الملوك.

-قدوم وفد الأشعريين، وبدء دخول اليمن في الإسلام.

-تعديل صلح الحديبية لمصلحة المسلمين بطلب من قريش بعد حركة أبي بصير.

-إسلام المنذر بن ساوى والنجاشي.

-عمرة القضاء، أول عرض حي للإسلام أمام عيون القرشيين.

-زواج رسول الله ﷺ بميمونة بنت الحارث في حفل كبير، صار نهاية للحقد القرشي.

8/هـ. الموافق 20/بعد البعثة

-القبائل المهتدية بسرايا الدعاة ترسل وفودها إلى المدينة.

-إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة.

-تمرد الحارث الغساني، وقتله لرسول النبي ﷺ.

-غزوة مؤتة: أول لقاء بين المسلمين والروم.

-مقتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة.

-نقض صلح الحديبية.

-الفتح الأعظم "فتح مكة" يوم 20 رمضان.

-إسلام أبي سفيان.

-إسلام معظم زعماء قريش.

-الخروج لملاقاة هوزان وغطفان يوم حنين.

-حصار الطائف إلى دخول الشهر الحرام.

-توزيع غنائم حنين.

-عمرة الجعرانة.

-إعلان مكة مدينة إسلامية، وتعيين عتاب بن أسيد والياً عليها.

-عودة النبي ﷺ إلى المدينة.

9/هـ. الموافق 21/بعد البعثة

-إرسال السرايا لهدم الأصنام في جزيرة العرب.

-دخول قبائل العرب الكبرى في الإسلام.

-اســـتقبال وفود كافة القبائل العربية تقريباً، وتعيين الولاة والأمراء على أقاليم الجزيرة العربية.

-وفاة النجاشي.

-إسلام ثقيف آخر المدن الكبرى في جزيرة العرب.

-خروج النبي ﷺ لملاقاة جيش الروم في تبوك.

-عقد الأحلاف مع عرب الروم والفرس، وضـــمان الحدود الشـــمالية للدولة الإسلامية.

-نزول سورة التوبة، وفضح مخازي المنافقين.

-انحسار النفاق، وموت رأس المنافقين عبد الله بن أبي.

-حج أبي بكر بالناس.

10/هـ. الموافق 22/بعد البعثة

-اكتمال دخول جزيرة العرب في الإسلام.

-تشريع أحكام أهل الذمة، وقدوم نصارى نجران.

-ظهور مسيلمة الكذاب والأسود العنسي.

-مراجعة جبريل للقرآن الكريم مرتين مع النبي ﷺ.

-حجة الوداع وإعلان اكتمال الرسالة الإسلامية.

11/هـ. الموافق 23/بعد البعثة

-إعداد جيش أسامة لغزو الروم.

-مرض النبي ﷺ.

-تكليف النبي ﷺ لأبي بكر ليكون إماماً في الصلاة بالناس.

-وفاة النبي ﷺ يوم 12/ربيع أول. الموافق 6/حزيران/632 ميلادية.

-مبايعة أبي بكر الصديق بالخلافة.

جَدْوَلُ أَعْيَانِ العَرَبِ

يكشف هذا الجدول عن حقيقة دامغة في تاريخ الدعوة الإسلامية، فهو يبين أن العرب لم تتحول إلى الإســـلام في طفرة عابثة، بل كان تحولها إلى الإســـلام منهجاً حركياً مدروساً بإشراف النبي ﷺ.

فهو يعرض لنحو عشـــرين زعيماً، من أبرز رؤوس العرب ودهاقنتها، أمكن تحويلهم إلى الإســـلام عن طريق الدعاة بالحكمة والموعظة الحســـنة، فكانت هداية كل واحد منهم مدخلاً لتحول قومه جميعاً إلى الإسلام.

الصحابي	سنة إسلامه	موقعه في الجاهلية	أهم أعماله في الإسلام
حمزة بن عبد المطلب	7 ق. هـ.	من أسياد مكة.	مستشار النبي ﷺ ومن أعظم المجاهدين.
أبو بكر الصديق	13 ق. هـ.	من رؤساء قريش، وكانت إليه الديّات، ونسّابة قريش.	خليفة النبي ﷺ الأول قمع الردة وبدأ الفتوح
عمر بن الخطاب	7 ق. هـ.	سفير الحرب، ومن أشراف قريش، وكان المنافر والمفاخر بها.	خليفة النبي ﷺ الثاني في عهده فتحت الشام والعراق
العباس بن عبد المطلب	أعلن إسلامه 8. هـ.	كانت إليه السفارة والعمارة، وكان رئيساً في قريش، ومن أجوادها، وكانت إليه عمارة المسجد الحرام والسقاية.	-هداية أبي سفيان. -المستشار الأمين للنبي ﷺ وللخلفاء الراشدين.
سعد بن معاذ	1 ق. هـ.	سيّد الأوس وزعيمهم	-هداية الأوس، له دور كبير في توطيد أسس الدولة الإسلامية في المدينة.

سعد بن عبادة	1 ق. هـ.	سيّد الخزرج، ونقيب بني ساعدة، ومن أعظم أجواد العرب.	-هداية الخزرج. -الإنفاق على الدعوة.
أسيد بن حضير	1 ق. هـ.	من زعماء الأوس.	-نشر الدعوة في المدينة.
عكرمة بن أبي جهل	9. هـ.	فارس مشهور، وزعيم مكة بعد موت أبيه.	-من قادة فتوح الشام. -استشهد في اليرموك.
عمرو بن العاص	7. هـ.	من دهاة العرب، وأحسن قريش منطقاً وحجة وكلاماً.	-ساهم في فتوح الشام. -فتح مصر.
صدوان بن أمية الجحمحي	9. هـ.	كان إليه أمر الأزلام والأيسار، ومن أشراف قريش وفصائحها، وأكبر تاجر سلاح في العرب	-تسليح جيش حنين.
سهيل بن عمرو	8. هـ.	خطيب قريش، وأحد أشرافهم وعقلائهم وسادتهم	-حماية مكة من الردة
أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية	8. هـ.	من أشراف قريش، وزعيمها المطلق بعد يوم بدر	-كف الحرب يوم فتح مكة. -قام بهدم أصنام الطائف.

حويطب بن عبد العزّى العامري.	8. هـ.	سفير قريش في المفاوضات، ومن أجواد العرب وأغنيائهم.	-تسليح جيش حنين.
خالد بن الوليد	7. هـ.	من أشراف قريش، وكان إليه القبّة وأعنّة الخيل وكسوة البيت.	-انتصارات حروب الردة. -فتوح الشام.
عروة بن مسعود الثقفي.	9. هـ.	شريف الطائف، وسيد بني ثقيف.	-ساهم في هداية ثقيف.
المثنى بن حارثة	3. هـ.	شيخ بني شيبان، وصاحب حربهم.	-ساهم في فتوح العراق.
أكثم بن صيفي	حول 7. هـ.	من زعماء تميم، ومن حكماء العرب.	-ساهم في هداية تميم.

حمزة بن عبد المطلب

مكانته في الجاهلية:

كان حمزة أعز قريش، وأشـدها شـكيمة، وكان بعد أخيه أبي طالب يتبوأ مرتبة والده عبد المطلب، سيد مكة بلا منازع.

خبر هدايته:

آمن حمزة بعد جلسـة حوار بيان مع النبي ﷺ، وكان قلبه قد مال إلى النبي ﷺ حمية لما بلغه إيذاء أبي جهل للنبي وشتمه إياه.

أعماله في الإسلام:

لما أسـلم حمزة عز رسـول الله ﷺ وامتنع، وكف المشـركون عن بعض ما كانوا يتناولون به النبي ﷺ، وأبلى في بدر بلاء عظيماً مشـهوراً، وفي أحد استشـهد حمزة وله من العمر 57 عاماً سنة 3 هـ.

أبو بكر الصديق

مكانته في الجاهلية:

كان من رؤساء قريش في الجاهلية، كان محبباً فيهم مؤلفاً لهم، وكان إليه الأشناق (الديّات) في الجاهلية، كان أنسـب العرب وأعلم قريش بأنسـابها، وكان تاجراً ذا خلق ومعروف.

خبر إسلامه:

أسلم على يد رسول الله ﷺ وهو من المسلمين الأوائل.

أعماله في الإسلام:

عمل في الدعوة إلى الله وإلى رسوله في أول إسلامه، وكان الخليفة الأول بعد رسول الله ﷺ، وقام في قتال أهل الردة مقاماً عظيماً، وتوفي سنة 13هـ. وممن اهتدى على يده: عثمان بن عفان وابن عوف وسعد وأبو عبيدة والزبير وطلحة، وغيرهم من السابقين في الإسلام.

عمر بن الخطّاب

مكانته في الجاهلية:

كانت إليه السفارة في الحرب، وكان من أشراف قريش، وكان المنافر والمفاخر بها إن نافرهم منافر، وأو فاخرهم مفاخر، وكان ينازع أبا سفيان زعامة مكة.

خبر هدايته:

اشترك في إسلام عمر بن الخطاب ثلاثة من الدعاة: رجلان وامرأة وهم: خباب بن الأرت وسعيد بن زيد وزوجته أخت عمر فاطمة بنت الخطاب.

أما سعيد بن زيد وزوجته فاطمة: فقد أثّرا في قلب عمر من خلال تمسّكها الشديد برسالة النبي ﷺ رغم غلظة عمر.

وأما خباب: فقد كان دوره في بيان دعوة النبي ﷺ وصدقه ورسالته بياناً وقع في قلب عمر.

أعماله في الإسلام:

كان إسلامه فتحاً على المسلمين وفرجاً لهم من الضيق، وهو ثاني خليفة بعد رسول الله ﷺ، وفي عهده فتحت أعظم الفتوحات الإسلامية، وصارت الشام والعراق أمصاراً إسلامية، كما يعتبر عمر من أعظم فقهاء المسلمين علماً، وأوفرهم معرفة واجتهاداً.

العباس بن عبد المطلب

مكانته في الجاهلية:

كانت إليه في الجاهلية السفارة والعمارة، وكان أجود قريش كفاً وأوصلها، وكان رئيساً في قريش، وإليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية في الجاهلية.

خبر هدايته:

أسلم على يد رسول الله ﷺ سراً، وكتم إسلامه عن قومه حتى هاجر قبل الفتح بقليل.

أعماله في الإسلام:

كان الصحابة يعترفون بفضله ويشاورونه ويأخذون رأيه. مات بالمدينة في رجب أو رمضان سنة 32هـ. وهو ابن ثمان وثمانين سنة.

سعد بن معاذ

مكانته في الجاهلية:

كان سيد الأوس في المدينة. وكان زعيماً عاقلاً مطاعاً لا تنقض له ذمة ولا يخفر له جوار.

خبر هدايته:

أسلم سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير سفير النبي ﷺ في المدينة، وذلك بعد جلسة بيان وحوار. دفعه إليها أسيد بن حضير وشهدها أسعد بن زرارة وقوم من الأنصار.

أعماله في الإسلام:

بعد أن أسلم سعد قام في بني عبد الأشهل فنادى فيهم: كلام رجالكم ونساءكم علي حرام حتى تسلموا فأسلموا جميعاً، فكان من أعظم الناس بركة في الإسلام. مات سنة 5هـ.

سعد بن عبادة

مكانته في الجاهلية:

كان سيد الخزرج في المدينة، وكان نقيب بني ساعدة يوم العقبة، وكان وجيهاً في الأنصار ذا رياسة وسيادة يعترف قومه له بها، واشتهر بأنه من أعظم أجواد العرب.

خبر هدايته:

لا يذكر في سيرة سعد سبب دخوله وتحوله إلى الإسلام، ولكنه أسلم بين بيعتي العقبة، والمرجح أن إسلامه كان على يد مصعب بن عمير خلال جلسات الحوار والبيان والدعوة التي كان يعقدها مصعب في المدينة.

أعماله في الإسلام:

كان مشهوراً بالجود، وكانت جفنة سعد تدور مع النبي ﷺ في بيوت أزواجه، وكانت راية رسول الله ﷺ للأنصار في المواطن كلها مع سعد بن عبادة، ورشّحته الأنصار أولاً لخلافة النبي ﷺ ثم عاد الأنصار فدخلوا في إجماع الصحابة على اختيار أبي بكر، مات سنة 15هـ في قرية المليحة بالشام.

أسيد بن حضير

مكانته في الجاهلية:

كان أسيد من زعماء الأوس واقترن اسمه في المجد باسم سعد بن معاذ، فكانا يتقاسمان زعامة الأوس، وكان يكتب بالعربية، ويحسن العوم والرمي، لذلك فإنه سُميّ الكامل.

خبر هدايته:

كان سعد بن معاذ قد بلغه مجيء مصعب إلى المدينة، فأرسل إليه أسيد بن حضير ليطرده منها، فلما جاء إليه واستمع منه شرح الله صدره للإسلام، فأسلم ثم احتال على سعد بن معاذ حتى جاء به إلى مصعب، فسمع منه فهداه الله عز وجل.

أعماله في الإسلام:

كان أحد النقباء الاثني عشر، وكانت له مواقف مشهورة في تأييد النبي ﷺ ونصرته، وتوفي أسيد في سنة 20هـ.

عكرمة بن أبي جهل

مكانته في الجاهلية:

كان فارساً مشهوراً في الجاهلية وقد تبوأ مكانة أبيه: عمرو بن هشام "أبي جهل" زعيم مكة بعد موته في بدر، وكانت رايته لا تتقدم عليها راية من رايات قريش.

خبر هدايته:

جعل الله هداية عكرمة على يد زوجته ابنة عمه: أم حكيم بنت الحارث بن هشام، حيث سارت إليه وهو باليمن بأمان رسول الله ﷺ، وكانت أسلمت قبله يوم الفتح فردّته إلى رسول الله ﷺ، فأسلم وحسن إسلامه.

أعماله في الإسلام:

قاتل أهل الردة، ووجّهه أبو بكر الصديق إلى جيش نعمان فظهر عليهم، واستعمله النبي ﷺ على صدقات هوزان، ثم أبو بكر إلى اليمن لقتال أهل الردة، واستشهد في اليرموك عام 13هـ.

عمرو بن العاص

مكانته في الجاهلية:

كان أحد أربعة من دهاة العرب، وكان قد تبوأ مكانة أبيه العاص بن وائل.

وكان أحسن قريش منطقاً وحجة وكلاماً، وكان عمر بن الخطاب إذا سمع رجلاً عيياً قال: أشهد أن خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد!. .

خبر هدايته:

تأخر إسلام عمرو بن العاص إلى ما بعد الحديبية، وقد أخبر عمرو عن نفسه أنه أسلم في الحبشة على يد جعفر بن أبي طالب سراً، وأن النجاشي هو الذي دعاه إلى الإسلام وذهب معه جعفر، وبعد جلسة من الحوار الهادئ والبيان الحكيم، شرح الله صدر عمرو للإسلام، فدخل فيه سراً على يد جعفر.

أعماله في الإسلام:

وهو الذي افتتح قنسرين، وصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية، وولاّه عمر فلسطين، وولي إمرة مصر في زمن عمر بن الخطاب بعد أن فتحها الله على يديه، وعزل عن مصر أيام الفتنة، ثم عاد إليها فوليها من عام 38 إلى 43هـ حيث توفي فيها.

صفوان بن أمية الجمحي

مكانته في الجاهلية:

كان إليه أمر الأزلام والأيسار في الجاهلية، وكان أحد أشراف قريش، وكان أحد المطعمين، وكان يقال له: سداد البطحاء، وكان من أفصح قريش، وكان يعد أكبر تاجر سلاح في العرب، وقد ورث مجده عن أبيه أمية بن خلف.

خبر هدايته:

أحضر له ابن عمه (عمير بن وهب) أماناً من النبي ﷺ فحضر إليه، وشهد معه وقعة حنين قبل أن يسلم، ولم يزل النبي ﷺ يكرمه ويحسن إليه ويعرف قدره، ويرسل إليه من أصحابه من يتألفه ويتوده حتى أسلم وحسن إسلامه.

أعماله في الإسلام:

سخّر صفوان ماله وسلطانه في خدمة الإسلام بدءاً من يوم حنين، وكان ناصحاً كريماً لأبي بكر وعمر، ووقف مع ابن الزبير في محنته حتى قتل معه في الكعبة عام 73هـ.

سهيل بن عمرو

مكانته في الجاهلية:

خطيب قريش، وأحد أشرافهم وعقلائهم وساداتهم، وكان بخطابته ودهائه يعقد رايات الحرب إن شاء، ويحلها إن شاء.

خبر هدايته:

أسلم يوم فتح بعد أن تألفه رسول الله ﷺ وأحسن إليه.

أعماله في الإسلام:

أشهر أعمال سهيل في الإسلام أنه قام خطيباً في أهل مكة أيّام الردة فقال: يا أهل مكة كنتم آخر من أسلم فلا تكونوا أول من كفر، وكان السبب في ثباتهم على الإسلام، بعد أن همُّوا بالرَّدة، ومات سهيل في طاعون عمواس سنة 18هـ.

أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية

مكانته في الجاهلية:

كان من أشـراف قريشٍ، وكان تاجراً يجهز التجار بماله وأموال قريش إلى الشـام وغيرها من أرض العجم، وكانت إليه راية الرؤساء التي تسمى العقاب، وانتهت إليه زعامة قريش بعد يوم بدر.

خبر هدايته:

هناك عدة أسباب إلى تحول أبي سفيان زعيم قريش إلى الإسلام:

1-زواج النبي ﷺ من ابنته أم حبيبة في السنة السابعة.

2-تحول ميزان القوى لصالح النبي ﷺ.

3-دعوة العباس بن عبد المطلب إياه للدخول في الإسـلام، وحصـوله على الأمان له من النبي ﷺ.

4-وأخيراً جلسات الحوار الطويلة والهادئة بينه وبين النبي ﷺ، والتي أدت به إلى إعلان إسلامه.

5-إكرام النبي ﷺ وعنايته به ومعرفة قدره، الأمر الذي رسخ الإيمان في قلبه.

أعماله في الإسلام:

أهم أعمال أبي سفيان في الإسلام أنه حقن الدماء يوم الفتح، ومنع حصول مواجهة بين النبي وبين قريش، ومهد الطريق لفتح أبيض في مكة، ثم ساهم في تحول كثير من القرشيين إلى الإسلام، وشارك في فتوح الشام توفي عام 32هـ.

حويطب بن عبد العزّى العامري

مكانته في الجاهلية:

كان سفير قريش في المفاوضات، وكان فيمن فاوض النبي ﷺ يومي الحديبية وعمرة القضاء، وكان من أجواد العرب وأغنيائهم.

خبر هدايته:

أسلم حويطب بن عبد العزى على يد الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري، وكان قد فر يو م الفتح فلقيه أبو ذر فما زال به يتألفه ويتوددده ويدعوه إلى الإسلام، حتى شرح الله صدره لذلك، فجاء به إلى النبي ﷺ فأسلم.

أعماله في الإسلام:

شارك في حنين بأربعين ألف دينار، وقد تألفه رسول الله ﷺ وأكرمه حتى حسن إسلامه، وفي عهد عمر قام بتحديد أنصاب الحرم.

خالد بن الوليد

مكانته في الجاهلية:

كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، وكانت إليه القبّة وأعنّة الخيل، وقد تبوأ في قريش مكانة أبيه الوليد بن المغيرة الذي كان يسمى شريف قريش وحكيمها، وكانت له كسوة البيت.

خبر هدايته:

اشترك في هداية خالد عدة دعاة:

1-أخوة الوليد بن الوليد، الذي كان لا يوفر مناسبة إلا ويكتب إليه يدعوه إلى الإسلام، وقد ذكرنا إحدى هذه الرسائل.

2-النبي ﷺ الذي كان يرسل إليه من أصحابه في السر والخفاء من يدعوه إلى الإسلام، ويكتب إليه يتألفه ويتوده، حتى عرض عليه النبي ﷺ ما يرضي طموحه ويحقق رغبته، فكتب له: يا خالد: "أسلم أعطك أعنة الخيل" الأمر الذي جعل خالد يعيد النظر في موقفه من الإسلام، وفوق ذلك فإن خالداً -كما روى عن نفسه- كان يطيل الفكرة في أمر الإسلام بعد ما رأى يوم الحديبية، حتى شرح الله صدره للإسلام فجاء إلى الحديبية فأسلم.

أعماله في الإسلام:

يعتبر خالد بن الوليد أعظم فاتح في تاريخ الإسلام، فقد شارك في غزوة مؤتة وأمن خلاص الجيش، وسماه النبي ﷺ سيف الله المسلول، وفي حرب الردة كان له بلاء عظيم وبه قصم الله فتنة مسيلمة الكذاب. وفي الفتوح شارك في فتح العراق والشام، وكان قائد معركة اليرموك الظافرة، وأغلب الظن أن عمر عزله من قيادة الجيش لما رأى افتتان الناس به، فأحب أن يعلم الناس أن النصر من عند الله لا من عند خالد، ورويت عن خالد مواقف عظيمة في طاعته لعمر تدل على عظمته وحكمته، توفي عام 21هـ ودفن في حمص.

عروة بن مسعود الثقفي

مكانته في الجاهلية:

كان شـريف الطائف، وسـيد بني ثقيف، وكانت العرب تقول: "لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم" ويريدون بالقريتين: مكة والطائف، ويريدون برجل مكة: الوليد بن المغيرة، وبرجل الطائف عروة بن مسعود.

خبر هدايته:

لما حاصـر رسـول الله ﷺ الطائف وقع في نفس عروة تصـديق النبي ﷺ، فلما فك رسـول الله ﷺ الحصـار لحقه عروة، وبعد جلسـة حوار مع النبي ﷺ شـرح الله صدره للإسلام فأسلم.

أعماله في الإسلام:

كانت له اليد البيضـاء في تقرير الصـلح يوم الحديبية، وكان وقتها مع المشـركين، وبعد أن أسـلم رجع إلى قومه فدعاهم إلى الإسـلام فقتله سـفاؤهم، ثم لم يلبث عقلاؤهم أن تلاموا في ذلك، ثم مضـوا إلى النبي ﷺ فأعلنوا دخولهم في دعوة عروة وأسلموا جميعاً.

المثنى بن حارثة

مكانته في الجاهلية:

شيخ بني شيبان وصاحب حربهم، وكان بنو شيبان يشكلون تحدِّياً عربياً مقلقاً لأباطرة الفرس.

خبر هدايته:

أسلم المثنى مع أصحابه في مكة خلال موسم الحج في السنة 3ق. هـ، حيث جاءهم النبي ﷺ داعياً إلى الله. وبعد جلسـة حوار مع النبي ﷺ قامت رؤوس بني

شيبان فتشاوروا فيما بينهم حتى شرح الله صدورهم للإسلام، وقد أثار ذلك ضيق المشركين وغضبهم، ولكن لم يكن ذلك ليردهم عما اختاروه من عقيدة ودين.

أعماله في الإسلام:

كان للمثنى دور عظيم في فتوح العراق، حيث كان قائد حملات الفتح في عهد أبي بكر وعمر حتى استشهد، فخلفه سعد بن أبي وقاص.

أكثم بن صيفي

مكانته في الجاهلية:

من زعماء تميم ومن حكماء العرب، ويروي الناس كلامه كأنها المثل السائر.

خبر هدايته:

اشترك في هداية أكثم بن صيفي اثنان:

-ابن أخيه: حنظلة بن الربيع بن صيفي الصحابي الشهير.

-وابنه: حبيش، وكان أكثم قد سمع بمخرج النبي ﷺ، وبعد بيان ابنه وابن أخيه لدعوة النبي ﷺ شرح الله صدره للإسلام فأسلم، ودعا قومه فآمن معه مائة من رؤساء تميم منهم الأقرع بن حابس، ثم خرج بهم إلى النبي ﷺ، فأدركه الموت في الطريق وهو الذي أنزل الله فيه:

{وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}.

أعماله في الإسلام:

لم يكتب لأكثم لقاء بالنبي ﷺ، ولكنه كنا رأيت كان سبباً في هداية بني تميم أكبر قبائل العرب.

جَدْوَلُ دُعَاةِ الصَّحَابَةِ

لا يمكن حصـــر أسماء الدعاة من أصـــحاب النبي ﷺ في جدول واحد، وذلك لأن كل أصحاب النبي ﷺ كانوا دعاة بوجهٍ من الوجوه.

وهذا الجدول يبين لك ترجمة نحو ثلاثين من أبرز هؤلاء الدعاة الذين خرجوا من مدرسة النبي ﷺ بالحكمة والموعظة الحسنة، وسنرى كيف كانت دعوتهم تؤتي ثمارها الطيبة الحكيمة، وكيف أدوا رسالتهم على أتم وجه.

والأمل كبير أن يجد طلاب العلم في سلوك هؤلاء الدعاة قدوة حسنة، يتمثلوها في دعوتهم وجهادهم.

وقد أثبتنا أعمار من عرفنا عمره منهم، ليظهر ذلك كيف كان غالبهم في ســـن الشباب والفتوة.

جدول أعلام الدعاة

الداعي	سنة يوم أسلم	نشاطه في الدعوة
أبو بكر الصديق	**39 سنة**	هداية الرعيل الأول من الصحابة.
علي بن أبي طالب	**9 سنوات**	إسلام همذان وغيرهما من القبائل.
مصعب بن عمير	**24 سنة**	إسلام أهل المدينة.
عبد الرحمن بن عوف	**22 سنة**	إسلام أهل دومة الجندل.
معاذ بن جبل	**17 سنة**	إسلام أهل اليمن وتعليمهم، ودعوة أهل الكتاب فيها إلى الإسلام.
عمرو بن أمية الضمري		كان السبب في إسلام النجاشي.
العلاء بن الحضرمي		إسلام البحرين مع ملكها المنذر بن ساوى، وإسلام أهل هجر مع واليها المرزبان الفارسي.
أبو ذر الغفاري		إسلام قبيلة غفار وقبيلة أسلم جيرانهم، وإسلام حويطب بن عبد العزّى.
خالد بن الوليد		إسلام بني الحارث بن كعب بنجران.
سعد بن معاذ	**32 سنة**	إسلام عشيرته من بني عبد الأشهل، ومن ثم إسلام الأوس جميعاً.
عمير بن وهب		أسلم على يديه خلق كثير من أهل مكة.
عروة بن مسعود الثقفي		كان السبب في إسلام بني ثقيف بعد قتله.
دحية بن خليفة الكلبي		بعثة رسول الله ﷺ إلى قيصر. ثم ذهب إلى دمشق وأقام فيها يدعو إلى الله أربعين سنة.
حاطب بن أبي بلتعة		أقنع المقوقس زعيم مصر بالإسلام لكنه لم يسلم، وضمن المسلمون بعد ذلك حياد مصر خلال فتوح الشام والعراق بفضل دعوة حاطب.
ضمام بن ثعلبة		إسلام بني سعد بن بكر.
عمرو بن مرة الجهني		إسلام بني جهينة قومه.

		مكث داعياً سنين عدة في زبيد وعدن من أقاليم اليمن،
أبو موسى الأشعري		ومن ثم سكن الكوفة وصار بيته مركزاً لنشر الدعوة والعلم في سائر العراق.
الطفيل بن عمرو الدوسي		إسلام دوس وفيهم أبو هريرة.
زياد بن الحارث الصدائي		إسلام قومه صُداء.
أبو أمامة الباهلي		إسلام قومه بني باهلة.
جعفر بن أبي طالب	**20 سنة**	دعوة النجاشي، ونشر الإسلام في الحبشة.

أبو بكر الصديق

يعتبر أبو بكر الصديق أعظم داعية في الإسلام، وقد كان من تأثير دعوته إسلام الرعيل الأول من الصحابة، فقد اهتدى بدعوة أبي بكر خلق كثير منهم: عثمان وابن عوف وسعد وطلحة والزبير وأبو عبيدة.

وكان أبو بكر رجلاً حسن الخلق حسن العشرة، وكان قومه يأتونه ويألفونه ويسمعون منه، وقد تمكن من هداية كل إخوانه وأصحابه إلى الإسلام. وخلال حياة النبي ﷺ فقد ظل يقوم بدوره في الدعوة إلى الله، وفي تألف المسلمين وتعليمهم وصحبة النبي ﷺ وخدمته، وخرج في عدة سرايا يدعو إلى الله عز وجل.

علي بن أبي طالب

إلى جانب شهرة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في العلم والجهاد والقضاء، فقد كان داعياً من أعظم الدعاة نجاحاً وأثراً.

فقد أرسله النبي ﷺ بعد فتح مكة (سنة 8) إلى اليمن، وبعث معه بعثتاً من الدعاة فنزل على أم سعيد البرزخية: وهي أول امرأة أسلمت من أهل اليمن، ثم جعل يرسل من أصحابه إلى همذان أكبر قبائل اليمن من يعرض عليهم الإسلام،

ويشرح لهم غاية سريته، ثم خرج بأصحابه فصفوا صفاً واحداً فصّلى بهم أمام رؤوس همذان، ثم قام إليهم يدعوهم ويتألفهم، ويبين لهم رسالة الحق، وتلا عليهم كتاب رسول الله ﷺ وأسلمت همذان جميعاً، وكان غالب أهل صنعاء من همذان، فمضى إليها علي بن أبي طالب، وكتب إلى النبي ﷺ يخبره فخر لله ساجداً وجعل يقول: "السلام على همذان، السلام على همذان". وكانت طريقة علي في الدعوة إلى الله إظهار الود والحب والترفق، ثم الدعوة بالمنطق والحجة، وكان علي قد أوتي مواهب عظيمة جداً في الفصاحة والبلاغة، فكانت تميل إليه القلوب وتسكن إليه النفوس. وهكذا فإن صنعاء التي تعتبر إلى اليوم أعظم مدائن اليمن، صارت مدينة إسلامية بفضل دعوة رجل حكيم هو علي بن أبي طالب.

مصعب بن عمير

أسلم مصعب بن عمير قديماً، وآتاه الله عز وجل حجة ومنطقاً حسناً، فكانت القلوب تأنس به وترتاح إليه، ولما امتلأ قلبه إيماناً وعقله علماً، واعتاد قلبه على صبر الدعاة وجهادهم، أرسله النبي ﷺ إلى المدينة رسولاً يدعو إلى الله عز وجل، فنزل بها عند أسعد بن زرارة بعد بيعة العقبة الأولى، ولم يكن في المدينة إلا بضعة عشر رجلاً قد بايعوا النبي ﷺ يوم العقبة، ولم يمض وقت طويل حتى نجح مصعب في دعوته نجاحاً باهراً، وبدأ تحول كبير في المدينة إلى الإسلام، ولم يمض إلا عام واحد حتى كان الأنصار يبايعون النبي ﷺ بيعة العقبة الثانية، ويهيئون المدينة لتكون دار الهجرة الكبرى بإشراف مصعب بن عمير، وبعد العقبة الثانية بدأ المهاجرون يصلون إلى المدينة، فكان مصعب ينزلهم على إخوانهم من الأنصار فيها.

وكانت طريقة مصعب بن عمير في الدعوة إلى الله اختيار رؤوس الناس وحكمائهم، ودعوتهم بالحجة والموعظة الحسنة، وكان قد أوتي صوتاً حسناً في تلاوة القرآن، وكان صبره ولطفه ورقته من أعظم أسباب نجاحه في دعوته.

إن يثرب–القرية التي أكلتها الحرب–قد صارت أفضل مدينة في الأرض، بفضل دعوة رجل واحد هو: مصعب بن عمير.

عبد الرحمن بن عوف

اشتهر عبد الرحمن بن عوف بكرمه وجوده وإنفاقه في مصالح الإسلام، ولكن عبد الرحمن بن عوف كان أيضاً داعياً ناجحاً من دعاة الإسلام.

أرسله النبي ﷺ في سرية من الدعاة إلى دومة الجندل، حيث يقيم قوم الأصبغ بن عمرو الكلبي، فنزل فيهم عبد الرحمن بن عوف، وجعل يلتقيهم ويدعوهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، حتى تحول الاصبغ بن عمرو إلى الإسلام، وكان من حكمة عبد الرحمن بن عوف أن تزوج تماضر بنت الأصبغ بأمر رسول الله ﷺ، مما رسخ الدعوة الإسلامية في منطقة دومة الجندل وما حولها.

وهكذا فإن سرية ابن عوف قد أدت رسالتها بنجاح، وجعلت من دومة الجندل واحة إسلامية طيبة.

معاذ بن جبل

يعتبر معاذ بن جبل نوعاً نادراً من الدعاة إلى الله عز وجل، فقد شغل حياته كلها بالعلم والدعوة، وكان ما آتاه الله من مواهب رفيعة في الموعظة والتأثير وجمال المنطق وجمال الوجه وحسن المحيا وطيب العِشرة، كان عظيم الإخلاص أيضاً.

فكان النبي ﷺ يقربه ويدنيه، ويكفله بتعليم الوفود القادمة إلى المدينة شـــرائع الإسلام.

ولما بلغ السـابعة والعشـرين أرسـله رسـول الله ﷺ إلى اليمن أميراً ومعلماً، حيث شـهدت اليمن أعظم تحول لها إلى الإسـلام، وكان معاذ حكيماً بارعاً في دعوة أهل الكتاب الذين كانوا في اليمن، وقد أوصـاه بهم رسـول الله ﷺ في حديث مشـهور. وبعد وفاة النبي ﷺ انتقل معاذ إلى الشـام حيث صـار معلمها ومفتيها، ولم يزل بها إلى أن توفي عام 17هـ، وعمره 34 عاماً فقط!.

عمرو بن أمية الضمري

لا يعرف الناس هذا الصـــحابي الجليل، مع أنه من أعظم الناس تأثيراً في تاريخ الدعوة الإسـلامية. فقد كتب الله عز وجل على يديه تحول النجاشـي إلى الإسـلام، وذلك عقب الحديبية سـنة يت، فقد أرسـله النبي ﷺ إلى النجاشـي، فما زال به يسـتلطفه ويسـتأنيه ويحبب إليه الإيمان، حتى شـرح الله صـدره للحق فأسـلم، وقد ذكرنا صورة دعوته للنجاشي في حوادث السنة السادسة.

كذلك فإن عمراً قد أشار على النبي ﷺ بتزوج رملة بنت أبي سفيان التي كانت مهاجرة في الحبشـة، وقد كان لزواجه ﷺ منها أعظم الأثر في تحول أبي سـفيان ومن ورائه قريش كلها إلى الإسلام.

العلاء بن الحضرمي

عرف العلاء بن الحضـــرمي بوفرة ذكائه وشـــدة تقواه وورعه، واجتهاده في العبادات، كلّ ذلك جعل منه داعياً من أنجح الدعاة في الإسلام.

أما مجال دعوته فقد كان في البحرين، حيث أرسله رسول الله ﷺ إلى ملكها المنذر بن ساوى سنة 8هـ، فما زال يدعوه إلى الإسلام ويحبب إليه الإيمان حتى شرح الله صدره للإسلام، فأسلم وأسلم معه سائر أهل البحرين. كذلك فقد قصد المرزبان الفارسي في البحرين المسمى "سينجت"، وكان والياً لكسرى على هجر في ساحل القطيف، فأسلم وأسلم معه كل أهل هجر، وقد مكث العلاء بن الحضرمي في البحرين داعياً ومعلماً، حتى توفي المنذر بن ساوى فولاه النبي ﷺ على البحرين.

إن شرق الجزيرة العربية مدين فيما أكرمه الله من الهدى، لدعوة العلاء بن الحضرمي، وإخوانه من الصحابة الكرام.

أبو ذر الغفاري

يذكر أبو ذر الغفاري: جندب بن جنادة في الدعاة الكبار من الصحابة مرتين:

الأولى: إسلام قومه غفار وقوم أسلم، فقد مضى أبو ذر بعد إسلامه داعياً إلى الله في قومه، ولم يزل بهم يدعوهم ويعلمهم حتى آمن أكثر قومه من غفار، ثم آمنت قبيلة أسلم جيرانهم، فمضى برؤوسهم إلى النبي ﷺ فبايعوه على الإسلام، فقال النبي ﷺ: "غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله".

والثانية: لما قام بدعوة حويطب بن عبد العزى، وكان حويطب سيداً مطاعاً في مكة، وقد كان شديداً على الإسلام، فلما كان يوم الفتح فرَّ بمن معه من مكة فحضر إليه أبو ذر، ولم يزل يدعوه إلى الله عزَّ وجلّ حتى شرح الله صدره للإسلام، فأسلم وجرى على يديه خير كثير.

إلى ذلك فإن أبا ذر لم يكن ليدع قول كلمة الحق والنصيحة لكل مسلم، وخصوصاً ولاة الأمور من المسلمين، ولم يزل كذلك داعياً صادحاً بالحق حتى لقي الله.

خالد بن الوليد

خصص خالد بن الوليد في الإسلام للعمل العسكري، ولكنه إلى ذلك كان داعياً ناجحاً اهتدى به خلق كثير، وكان لا يمضي إلى فتح من الفتوح حتى يكون في جيشه من العلماء والدعاة ما يكفي لنشر الدعوة في أي مصرٍ يمضي إليه.

وبعثه النبي ﷺ إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام، فبعث الركبان في كل وجه يدعون إلى الإسلام. فأسلم الناس ودخلوا فيما دعاهم إليه، فأقام بينهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ثم عاد مع وفد من بني الحارث بن كعب، فأعلنوا إسلامهم أمام رسول الله ﷺ.

سعد بن معاذ

كان لسعد بن معاذ دور عظيم في إسلام المدينة، وفي هجرة النبي ﷺ.

فقد كان سعد سيد الأوس لا ينازعه في زعامتهم أحد، وكان أبرز أعماله في الدعوة إلى الله عز وجل أنه بعد لقائه بمصعب ودخوله في الإسلام، خرج إلى عشيرته جميعاً في الإسلام، ثم لم يزل بالأوس يدعوهم ويأتي بهم إلى مصعب حتى أسلمت الأوس جميعاً.

كذلك فإن سعداً كان وزيراً أميناً للنبي ﷺ، يمحضه النصح ولا يضن عليه، وقد أوفده النبي ﷺ في سفارات كثيرة في الدعوة إلى الله اهتدى بها خلق كثير.

عمير بن وهب

أسلم عمير بن وهب المسمى (شيطان قريش) عقب غزوة بدر في المدينة المنورة، فأقام في المدينة زمناً تعلم به الإسلام وتلاوة القرآن، ثم استأذن النبي ﷺ في دعوة أهل مكة إلى الإسلام فأذن له، فمضى إليهم يدعوهم، وقد علموا أنه خرج إلى المدينة ليقتل رسول الله ﷺ، فأدهشهم ما جاء به، فاهتدى به خلق كثير منهم من هاجر ومنهم أقام إلى الفتح...

عروة بن مسعود الثقفي

هذا داعٍ عظيم من دعاة الإسلام، لم يكتب له النجاح في حياته، ولكن كوته كان مدخلاً لقومه ليدخلوا في الإسلام.

كان عروة من أعز العرب وأشرفهم، وكان يسمى شريف الطائف وهو الذي قالت عنه العرب: لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم.

أسلم بعد أن فك رسول الله حصار الطائف فهاجر إلى النبي ﷺ في السنة التاسعة فأعلن إسلامه وتعلم كثيراً من الفقه والقرآن ثم استأذن رسول الله ﷺ في دعوة قومه فأذن له فمضى إليهم.

غير أن النفوس الموترة لم تمهله حتى يكمل دعوته فعَدا عليه سفهاء قومه فقتلوه، غير أنهم لم يلبثوا أن ندموا لما رأوا حكيمهم وسيدهم يموت على يد السفهاء. فقذف الله في قلوبهم الهداية، فجاؤوا إلى النبي ﷺ فدخلوا في الإسلام، فأرسل معهم المغيرة بن شعبة وهو ثقفي وأمره أن يعلمهم الإسلام والأحكام، وأرسل سرية فيهم أبو سفيان بن حرب لهدم صنم ثقيف الأسبق (اللات).

دحية بن خليفة الكلبي

كان دحية بن خليفة من أجمل الناس وجهاً، وقد ورد أن جبريل عليه السلام كان ينزل على صورته، وإلى ذلك فقد كان دحية ثقفاً لقناً، واضح الحجة فاختاره النبي ﷺ رسولاً له إلى قيصر، وتلك حكمة كبيرة من النبي ﷺ، حيث كانت الروم في بحبوحة من العيش والرغد، فدفع إليهم من يألفهم ويألفونه.

وقد كان دحية موفقاً غاية التوفيق في رسالته، وأمكنه أن يقنع القيصر بصدق رسالة النبي ﷺ، وقال القيصر وقد أدهشته حجة دحية وبيانه وحكمته: "إن كان محمد كما تقول فإنه سيملك موضع قدمي هاتين".

غير أن بطارقة قيصر وثبوا عليه وثبة رجل واحد وما زالوا به يلومونه ويعاتبونه حتى أخلد إلى الأرض واتبع هواه، وعاد دحية بعدئذٍ في جيش الفتح، واتخذ لنفسه داراً في دمشق، أمضى فيها نحو أربعين سنة يعلم الناس فيها الإسلام، ويدعوهم إلى الله عز وجل.

حاطب بن أبي بلتعة

حاطب بن أبي بلتعة من أصحاب النبي ﷺ، شهد بدراً وغيرها من المشاهد، وكان قد أوتي عقلاً وحكمة وحسن بيان، فاختاره النبي ﷺ رسولاً إلى المقوقس زعيم مصر، وقد تمكن حاطب من إقناع المقوقس بصدق رسالة النبي ﷺ، ورغم أن المقوقس كان عاملاً لقيصر على مصر، إلا أنه ما وسعه إلا الإقرار بحجة حاطب والتسليم بالحق الذي جاء به النبي ﷺ.

ومع أن المقوقس لم يسلم إلا أنه أكرم وفادة حاطب وأحسن إليه، وبعث معه هدايا إلى النبي ﷺ فيها جارية اسمها مارية القبطية، فما قدم حاطب بها على النبي

ﷺ حتى عرض عليها الإسلام، وما زال بها حتى شرح الله صدرها للإسلام فأسلمت، فأحبها النبي ﷺ فأعتقها وتزوجها.

لقد ضمن المسلمون حياد مصر خلال فتوح الشام والعراق بفضل حجة حاطب، وحسن قيامه بعرض الإسلام والدعوة إليه.

ضمام بن ثعلبة

قدم ضمان بن ثعلبة على النبي ﷺ فأسلم بين يديه، ثم استأذن النبي ﷺ في دعوة قومه بني سعد بن بكر، وهم الذين استرضع رسول الله عندهم، فأذن له فدعاهم إلى الله عز وجل، وكانت قد سبقت منهم مودة النبي ﷺ لما له فيهم من وشيجة الرضاع، فما أمسى في ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً، وبنوا المساجد وأذنوا للصلاة.

عمرو بن مرّة الجهني

أسلم عمرو بن مرة الجهني قديماً، وشهد رسول الله ﷺ كثيراً من المشاهد، ولما ملأ الإيمان قلبه وجوارحه استأذن النبي ﷺ في دعوة جهينة، فأذن له النبي ﷺ وكتب له كتاباً، فأوصاه فيه بالرفق والقول السديد وأن لا يكون فظّاً ولا متكبراً ولا حسوداً، فأتى قومه ودعاهم إلى الإسلام وأمرهم بحقن الدماء وصلة الأرحام وعبادة الله وحده، ورفض الأصنام، وحج البيت، وصيام شهر رمضان، ثم خرج عمرو بمن أسلم من قومه حتى أتوا النبي ﷺ، فحيّاهم ورحّب بهم وكتب لهم كتاباً.

أبو موسى الأشعري

هو عبد الله بن قيس الأشعري، وفد على النبي ﷺ مع قومه الأشعريين من اليمن وذلك بعد فتح خيبر، وصحب النبي ﷺ زماناً تعلم فيه القرآن وكثيراً من

الأحكام، وكان فتى ناشئاً فلما اكتمل له 28 عاماً، أرسله النبي ﷺ داعياً إلى الله في زبيد وعدن من أقاليم اليمن، ومكث معلماً وداعياً سنين عدة، ثم انتقل إلى البصرة معلماً وأميراً عليها في عهد عمر، وشارك في الفتوح ففتح الله على يديه الأهواز وأصبهان.

ثم انقطع للعلم والدعوة، وسكن الكوفة فصار بيته مركزاً لنشر العلم والدعوة في سائر العراق.

الطفيل بن عمر والدوسي

أسلم الطفيل بمكة قديماً، وكان سيداً مطاعاً في قومه، وكان شديد الحب لهم، فرجع إلى قومه يدعوهم إلى الله عز وجل زمنّاً، فما استجاب له إلا نفر يسير فيهم أبوه وأهله وأبو هريرة، وأبطأ عليه سائر قومه فجاء بمن آمن معه إلى النبي ﷺ وسأله الدعاء عليهم، فقال: "**اللهمَّ اهدِ دوساً**" ثم قال للطفيل: "**ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم**". فرجع فلم يزل بأرض دوس يدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقضى بدراً وأحداً والخندق، ثم قدم على رسول الله ﷺ بمن أسلم معه من قومه ورسول الله بخيبر، حتى نزل المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس.

لقد كانت هداية دوس كلها حسنة من حسنات الطفيل، ولو لم يكن في صحيفة عمله إلا إسلام أبي هريرة-ذاكرة الإسلام-لكفى!....

زياد بن الحارث الصدائي

يعتبر زياد بن الحارث الصدائي شخصية مغمورة في الإسلام، رغم ما كان له في الدعوة إلى الله من أثر كبير.

فقد قام قومه صداء في اليمن بمنع دعاة النبي ﷺ من نشر الدعوة في اليمن مراراً وتعرَّضوا لهم بالأذى، حتى أرسل رسول الله ﷺ لهم جيشاً يؤدبهم، فجاء زياد بن الحارث يستأذن النبي ﷺ في دعوة قومه، وكان قد أسلم، فأذن له النبي ﷺ وردَّ الجيش، ولم يمض وقت طويل حتى تحولت صداء كلها إلى الإسلام، وجاء وفدها إلى النبي ﷺ مسلمين طائعين.

وبذلك فإن زياد بن الحارث وفر على قومه حرباً كان وشيكة الوقوع، وتمكن من نقل الهداية إلى نفوس كانت شديدة العداء للإسلام، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة.

أبو أمامة الباهلي

هر الصدي بن عجلان أسلم قبيل أحد، ومكث زماناً في المدينة المنورة يتعلم القرآن والأحكام، وشهد مع رسول الله عدداً من مشاهده، وحفظ عنه الكثير، ثم أرسله رسول الله ﷺ إلى قومه "باهلة" وذلك على عادة النبي ﷺ في إرسال الدعاة من نفس القوم، لأنه أقرب إليهم وأعرف بهم.

ومضى أبو أمامة إلى قومه، فلم يزل بهم يدعوهم إلى الله عز وجل ويبين لهم فآذوه وعذبوه، وأجرى الله له عدداً من الكرامات فسقاه، وكانوا قد منعوه السقيا، فلما رأى قومه ذلك وقع في أنفسهم حسن ما يدعوهم إليه، فآمنت باهلة عن آخرها، وكان أبو أمامة من أعظم الناس بركة على قومه.

جعفر بن أبي طالب

كان جعفر بن أبي طالب شخصاً مؤهلاً لعظائم الأمور، وقد دخل في الإسلام قديماً، واختاره النبي ﷺ أميراً على مهاجرة الحبشة لما كان قد أوتي من الفصاحة

والذكاء واليقين، وموقفه مع النجاشي مشهور، وقد برع في شرح الإسلام شرحاً سالت له دموع النجاشي، وشهد أنه الحق، وبحكمته وحجته بقي المسلمون في الحبشة آمنين، وراح يضرب في الحبشة يدعو إلى الله عز وجل، واهتدت به طائفة من نصارى الحبشة قدموا على النبي ﷺ، ولا شك أن خلقاً كثيراً من أهل الحبشة دخلوا في دعوة جعفر، واهتدوا بهديه، وإن لم تذكر ذلك التاريخ، وفي آخر السنة السادسة للهجرة قدم إلى المدينة ففرح به النبي ﷺ فرحاً عظيماً، وقد كان مهيئاً لأعظم الأعمال، لولا أن القدر أعجله يوم مؤتة فاستشهد فيها مقبلاً غير مدبر، وقد قطعت يداه فاعتضد الراية بعضديه، وقد قال رسول الله ﷺ: **"رأيت جعفر ملكاً ذا جناحين مضرجين بالدماء"**. ولذلك فقد دعي بجعفر الطيار، ولا بدَّ عند ذكر جعفر من ذكر زوجته أسماء بنت عميس التي كانت من أنجح النساء في الدعوة إلى الله عزَّ وجلّ.

جَدْوَلُ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ

كانت أول كلمة نزلت على قلب النبي ﷺ هي: **{إقرأ}**.

وكانت ثاني سورة نزلت في القرآن هي **{ن، والقلم وما يسطرون}** ومن هذه الأصول الأولى انطلقت دعوة النبي ﷺ تنشر العلم والمعرفة، وتفتح العيون والقلوب والأنفس على أسرار هذا الوجود، صادحة في العالمين: **{هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون}**.

هذا الجدول يكشف لك عن أكثر من ثمانية عشر عالماً عظيماً، تخرجوا من مدرسة النبي ﷺ، ثم مضوا ينشرون العلم والمعرفة في الآفاق.

وبه تعلم أن تلك الحضارة العظيمة التي عمّت بركاتها كل الشرق طيلة العصور الوسطى، والتي حملت وحدها حضارات الأولين، فأفادت منها وأفادتها، وأثرت فيها وأثرتها، ونقلتها بكل أمانة إلى جيل الحضارة الجديدة، كل ذلك لم يكن إلا أثراً من آثار معلم الناس الخير: محمد ﷺ.

أبو بكر الصديق

يعدّ أبو بكر الصديق واحداً من أعظم علماء الصحابة، فقد كانت صحبته الطويلة للنبي ﷺ فرصة له لينهل من علمه الشريف ﷺ علماً كثيراً. وقد ظهر نبوغه العلمي في عهد رسول الله ﷺ، فكان يفتي في حياته ﷺ بإذنه ورضاه، ومع قيامه بالخلافة وانشغاله بحروب الردة إلا أن نشاطه العلمي لم ينقطع، وسجل له التاريخ أعظم عمل علمي ألا وهو جمع القرآن الكريم للمرة الأولى، بعد أن كان متفرقاً في صدور وثائقهم.

أما علم أبي بكر فلم يدون بشكل مستقل، ولكنه متناثر في كتب الحديث والفتاوى، قال ابن عمر لما سئل: من كان يفتي الناس في زمان رسول الله ﷺ؟قال: أبو بكر وعمر لا أعلم غيرهما.

عمر بن الخطاب

كثرت اجتهادات عمر وفتاويه في شؤون القضاء والمعاملات، وإلى جانب نشاطه في بناء الدولة الإسلامية فإن عطاءه العلمي لم ينضب طيلة فترة إسلامه، وكان قيامه على القضاء في زمن أبي بكر فرصة له لتزداد معارفه العلمية والشرعية، إذ إن خير وسيلة لزيادة العلم هي التعليم والممارسة.

وكان عمر ممن يفتون في عهد رسول الله ﷺ، قال جابر: لم أر أحداً أقرأ لكتاب الله، ولا أفقه في دين الله، ولا أقوم بحدود الله، ولا أهيب في صدور الرجال من عمر بن الخطاب.

وقال ابن مسعود: لو أن علم عمر وضع في كفة ميزان ووضع علم الناس في كفة ميزان لرجح علم عمر!.

إن كثيراً من الاجتهادات الفقهية والقضائية التي عالجت مشاكل معقدة جداً في التشريع هي من فقه عمر.

عثمان بن عفّان

سجّل التاريخ لعثمان بن عفان أعظم مأثرة علمية يمكن أن تخلد الإنسان، وهي قيامه بجمع القرآن في المصاحف وإرساله في الأمصار.

لقد كان عهد عثمان عهد نشاط علمي كبير، حيث نفر علماء الصحابة في الأمصار يعلمون الناس العلم، ويقرؤونهم القرآن والسنة الشريفة، وكان عثمان ممن يفتي على عهد رسول الله ﷺ.

علي بن أبي طالب

من أعظم علماء الصحابة إن لم نقل أعظمهم على الإطلاق، هلك فيه اثنان: محبّ غالٍ ومبغض قالٍ.

وكان علي قد أوتي علماً كثيراً، فنقلت عنه اجتهادات فقهية وشرعية، ورويت عنه معارف فلكية وجغرافية وكونية، تدل على سعة علمه ودقة فهمه وحسن ملاحظته، كما كان علي أفصح من نطق بالضاد ما خلا النبي ﷺ، وأبرز شاهد على علمه ومعارفه ما جمعه الشريف الرضي من علمه في كتاب: نهج البلاغة.

روى علي عن النبي ﷺ فأكثر، وروى عنه الصحابة والتابعون.

وكان أقضى أهل المدينة، وما كان أحد من الناس يقول: سلوني، غير علي بن أبي طالب.

بعثه رسول الله ﷺ لأهل اليمن لتفقيههم في الدين وتعليمهم السنة.

وروي عن رســـول الله ﷺ: "أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمن أراد العلم فليأت بابه".

جمع القرآن بعد موت النبي ﷺ، وكان علي ممن يفتون على عهد رسول الله ﷺ.

عبد الله بن العباس

بالرغم من أن عبد الله بن عباس كان صـــغيراً لما مات النبي ﷺ، فقد كان النبي ﷺ يحبّه ويؤثره ويدنيه، ولما مات النبي ﷺ كان عمره لا يتجاوز 14 عاماً، ولكن علائم النبوغ والذكاء كانت ظاهرة في محياه، وبدأ يحصّـــل العلم في همة لا تعرف الكلل ولا الملل.

استفاد من الظروف التي هيأها الإسلام من الاهتمام بالعلم ونشر المعرفة واحترام العلماء، فراح يضرب في الأرض وهمه الوحيد تحصيل العلم ونشره، واتخذ لنفسه داراً في الطائف وهي مصيف جميل ليتمكن من نشر العلم في هدوء وصفاء. وقد قيل له يوماً: بم نلت العلم؟فقال: بلسان سؤول وقلب عقول.

ولد عام 3ق. هـ، دعاه رسول الله ﷺ ومسح على رأسه، وقال: "اللهمَّ فقهه في الدين وعلّمه التأويل". وهو حبر الأمة وترجمان القرآن، وكان يســمى البحر لســعة علمه.

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: كان ابن عباس قد فاق الناس بخصـــال: "بعلم ما ســبقه، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم وســيبٍ ونائل[1]، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ منه، ولا أعلم بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان رضـــي الله عنهم–منه، ولا أفقه في رأي منه، ولا أعلم بشـــعر ولا

[1]السيب والنائل: السيب: هو العطاء المطلق غير المقيد. والنائل: ما نالك من معروف إنسان.

عربية، ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه، ولا أعلم بما مضى ولا أثقف رأياً فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه، ويوماً التأويل، ويوماً المغازي، ويوماً الشعر، ويوماً أيام العرب، وما رأيت عالماً قطّ جلس إليه إلاّ خضع له، وما رأيت سائلاً قط سأله إلا وجد عنده علماً".

ولما مات عبد الله بن عباس–رضي الله عنه– بلغ الخبر جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما– فصفق بإحدى يديه على الأخرى وقال: مات أعلم الناس وأحلم الناس، ولقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق".

وقال رافع بن خديج –رضي الله عنه– مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب في العلم".

وقال ابن الحنفية لما دفن ابن عباس رضي الله عنهما: "اليوم مات ربّانيُّ هذه الأمة".

وسجل لابن عباس علم كثير في الفقه والحديث والتشريع وعلوم الحياة والكونيات.

عبد الله بن عمر

نشأ عبد الله بن عمر في كنف أبيه، فرضع حب العلم مع حليب أمه، ولما مات النبي ﷺ كان عمره عشرين سنة، وكان قد حصل فيها علماً كثيراً. وبعد موت النبي ﷺ أمضى ابن عمر ستين عاماً يفتي الناس وينشر العلم، واعتزل كل نشاط يصرفه عن العلم، حتى صار بيته محجاً مقصودا لطلاب العالم من كل الأمصار.

وكان شديد الاحتياط والتوقّي لدينه في الفتوى.

وروى عن النبي ﷺ فأكثر. توفي عبد الله بن عمر سنة 73هـ.

وكان أحد الذين صار إليهم الفتوى في المدينة من لدن توفي عثمان إلى أن توفوا.

أخرج ابن سعد عن عمرو بن دينار قال: كان ابن عمر-رضي الله عنهما-يعد من فقهاء الأحداث.

عبد الله بن عمرو بن العاص

يعتبر عبد الله بن عمرو بن العاص، أنموذجاً للعالم البحر المتعدد الثقافات، فقد ربي في كنف أبيه عمرو بن العاص، وكان من أعز رجال قريش وأغناهم، مما هيأ له جواً ملائماً لتحصيل علم كثير.

وكان النبي ﷺ يسأله كثيراً عن التوراة والإنجيل، وكان قد قرأهما وحفظ منهما فصولاً كثيرة، كما التقى ابن عمرو بالكثير من الرهبان والأحبار، فاستمع منهم وأخذ عنهم.

ولما أسلم عبد الله بن عمرو وانقطع إلى علم الشريعة، وصار علماً من أعلام الرواية عن رسول الله ﷺ، وأخذ نفسه بالشدائد في العلم والعبادة حتى جهد جسده في ذلك.

عبد الله بن مسعود

كان عبد الله بن مسعود صغير الحجم قصير القامة، لكنه كان شديد الذكاء، قوي الحافظو وقد أحسن النبي ﷺ إذ أمره بالانقطاع إلى العلم والتعليم من أول الأمر، وبالفعل فقد أمضى في صحبة النبي ﷺ نحو عشرين عاماً، لا شغل له إلا تحصيل العلم ونشره، وتصدر عشرين عاماً بعد موته ﷺ، فصار مدرسة علمية متنقلة يتبعه الناس حيثما ذهب ينقلون منه ويروون عنه.

قال ابن مسعود: "ما أنزلت سورة إلا وأنا أعلم فيما نزلت، ولو أعلم أن أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل أو المطايا لأتيته".

وسئل علي بن أبي طالب عنه يوماً فقال: علم القرآن والسنة ثم انتهى وكفى بذلك علماً.

كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ.

عن عبد الرحمن بن يزيد قال: أتينا حذيفة فقلنا: حدّثنا بأقرب الناس من رسول الله ﷺ هدياً ودلاً فنأخذ عنه ونسمع منه قال: كان أقرب الناس هدياً ودلاً وسمتاً برسول الله ﷺ ابن مسعود.

وسيّره عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الكوفة وكتب إلى أهل الكوفة: إني بعثت عمار بن ياسر أميراً وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر، فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قولهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي.

توفي ابن مسعود بالمدينة سنة 32هـ.

معاذ بن جبل

قال رسول الله ﷺ: **"أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل"**

لقد أوتي معاذ بن جبل استعداداً خاصّاً للعلم والدعوة، ولم يسجل له في حياته أي نشاط إلا في مجال العلم والدعوة، وكان موقفاً في تحصيله للعلم موقفاً في قيامه بالتعليم والدعوة.

وانتشر علمه بشكل كبير في اليمن والشام، حيث تصدّر في كل منهما لنشر ما فتح الله عليه من العلم.

قال رسول الله ﷺ: "خذوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وأبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة" وقال فيه عليه الصلاة والسلام: "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر...وذكر الحديث، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل".

وكان الذين يفتون على عهد رسول الله ﷺ من الأنصار ثلاثة: أبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت.

أرسله رسول الله ﷺ إلى اليمن، فلم يزل باليمن حتى توفي رسول الله ﷺ، ثم انتقل إلى الشام بأمر عمر يعلم أهلها القرآن والأحكام.

توفي معاذ في طاعون عمواس سنة 18هـ.

أنس بن مالك

أفاد أنس بن مالك منة خدمة للنبي ﷺ إفادة عظيمة، فقد حصّل من ذلك علماً كثيراً، حيث خدم النبي ﷺ وعمره عشر سنين وسمع منه الحديث، وهو من المكثرين في الرواية عن رسول الله ﷺ .

دعا له رسول الله ﷺ بكثرة المال والولد، فولد له من صلبه ثمانون ذكراً وابنتان، توفي سنة 91هـ وله من العمر مائة وثلاث سنين. وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة ودفن هناك. اشتهر أنس برواية أحاديث الرقاق ومناقب النبي ﷺ، وكان اسمه حقيقةً في سلوكه ونشاطه من الأنس واللطف.

أبو موسى الأشعري

قدم أبو موسى من اليمن في السنة السادسة، وكان نابغة في الفهم والعلم فصحب النبي سنة أو سنتين ثم عاد إلى اليمن، ومعه علم كثير من القرآن والسنة،

وانتقل إلى الكوفة حيث انتدبه عمر بن الخطاب لتعليم أهلها، فأخذ عنه علم كثير، وله روايات ومسانيد كثيرة عن النبي ﷺ.

كان حسن الصوت بالقرآن، قال عنه رسول الله ﷺ: "لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود".

كان أحد ثلاثة من الأنصار الذين كانوا يفتون على عهد رسول الله ﷺ.

توفي أبو موسى بالكوفة سنة 44هـ. وهو ابن ثلاث وستين سنة.

عبادة بن الصامت

أسلم عبادة بن الصامت يوم العقبة الأولى، وكان نقيباً في العقبة الثانية، ولزم النبي ﷺ حتى حصل له علم كثير، ثم انتدبه النبي ﷺ معلماً لأهل الصفة، فكان يعلمهم الفقه والقرآن.

جمع القرآن في زمن النبي ﷺ خمسة من الأنصار، كان من بينهم عبادة بن الصامت، ولما فتح المسلمون الشام أرسله عمر بن الخطاب، وأرسل معه معاذ بن جبل وأبا الدرداء ليعلموا القرآن بالشام ويفقهوهم في الدين، وأقام عبادة بحمص ثم سار عبادة بعد ذلك إلى فلسطين، قال الأوزاعي: أوّل من تولّى قضاء فلسطين عبادة بن الصامت.

قال خالد بن معدان: لم يبق من أصحاب رسول الله ﷺ بالشام أحد كان أوثق ولا أفقه ولا أرضى من عبادة بن الصامت وشدّاد بن أوس–رضي الله عنهما–.

توفي عبادة سنة 34هـ بالرملة، وقيل ببيت المقدس، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

أبو هريرة

أبو هريرة: ذاكرة الإسلام.

تمكن أبو هريرة خلال سنوات قليلة من حفظ الكثير عن النبي ﷺ ثم قدر له أن يعيش بعد النبي ﷺ 47 عاماً، كان يروي ما حفظه عن رسول الله ﷺ، وكان من ألزم الصحابة له، وأحفظهم لحديثه ببركة دعاء الرسول له. وكان أكثر الصحابة رواية للحديث عن رسول الله ﷺ، وروى عنه أكثر من 800 رجل من صاحب وتابع، وقد أخرج الحاكم في قوة حافظة أبي هريرة عن أبي الزعيزعة كاتب "مروان بن الحكم" أن مروان دعا أبا هريرة-رضي الله عنه-فأقعدني خلف السرير وجعل يسأله وجعلت أكتب، حتى إذا كان عند رأس الحول دعا به فأقعده وراء الحجاب، فجعل يسأله عن ذلك، فما زاد ولا نقص ولا قدّم ولا أخّر.

توفي أبو هريرة سنة 57هـ.

وإذا كان أبو هريرة لا يعرف له اجتهاد علمي ولا يذكر في علماء الصحابة، فإنه قد قدّم للعلم خدمة جليلة، حيث قام بنقله بأمانة ودقّة عظيمة.

زيد بن ثابت

كان زيد بن ثابت موهبة نادرة أحسن رسول الله ﷺ توجيهها وتنميتها، فقد برع زيد بن ثابت في تحصيل اللغات وفي أحكام المواريث وحساب التركات، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وكانت ترد على رسول الله ﷺ كتب بالسريانية فأمر زيداً فتعلمها.

كان أعلم الصحابة بالفرائض فقال رسول الله ﷺ: "أفرضكم زيد"، فأخذ الشافعي بقوله في الفرائض عملاً بهذا الحديث، وكان من علماء الصحابة الراسخين في العلم، وكان من أفكه الناس إذا خلا مع أهله، وأزمتهم إذا كان في القوم. توفي

سنة 45هـ. ولما توفي قال أبو هريرة: "اليوم مات حبر هذه الأمة، وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً". وهو الذي كتب القرآن في عهد أبي بكر وعثمان.

أُبَيّ بن كعب

صحب أبي بن كعب أحبار اليهود وعلماءهم، وحصّل منهم على علم كثير كانوا يضنون به على طالبيه. ولما قدم النبي ﷺ المدينة أسلم أبين فيمن أسلم من الأنصار، وجعل كل ما عنده من علم ومعرفة في خدمة النبي ﷺ.

ثم صحب النبي ﷺ، فاجتمع له علم كثير حتى قال له النبي ﷺ: "ليهنك العلم أبا المنذر، ليهنك العلم أبا المنذر" وكان أقرأ الصّحابة بشهادة النبي ﷺ له، وكان أحد أصحاب رسول الله ﷺ. توفي سنة 22هـ في خلافة عمر بن الخطاب. وكان أحد خمسة من الأنصار جمعوا القرآن في زمان النبي ﷺ.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حقه: من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبيّ بن كعب.

وكان أبي أحد ثلاثة من الأنصار كانوا يفتون على عهد رسول الله ﷺ.

أبو الدرداء

عويمر بن ساعدة سماه النبي ﷺ حكيم هذه الأمة لعظيم علمه زدقيق فهمه، وكان امرأ واسع التجارة، فصحب النبي ﷺ فانقطع للعلم حتى نبغ فيه، وأرسله عمر إلى الشام معلماً وفقيهاً ومحدثاً حتى صار مرجع أهل الشام في العلم.

قال معاذ بن جبل وهو على فراش الموت: ابتغوا العلم عند عمر وعثمان وعلي، فإن فقدتموهم فابتغوه عند أربعة: عويمر، وابن مسعود، وسلمان، وابن سلام.

كان أبو الدرداء: أحد خمسة من الأنصار جمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ، بعثه عمر بن الخطاب إلى دمشق يعلم أهلها القرآن ويفقههم في الدين، فلم يزل بدمشق حتى مات.

قال مسروق بن الأجدع الهمداني: شامت أصحاب النبي ﷺ، فوجدت علمهم انتهى إلى ستة: منهم أبو الدرداء.

أبو سعيد الخدري

سعد بن مالك بن سنان، من أكثر الأصحاب رواية عن رسول الله ﷺ، زانه العلم فكانت فيه أخلاق العلماء من العفة والوقار والخير والحب، وإنّك لا تجد أخلاق العلماء في أحدٍ كما تجدها في أبي سعيد الخدري.

كان من الذين بفتون في المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ، ويحدثون عنه من لدن توفي عثمان إلى أن توفوا.

وأخرج ابن سعد عن حنظلة بن أبي سفيان عن أشياخه قالوا: لم يكن أحد من أحداث أصحاب رسول الله ﷺ أفقه من أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

سلمان الفارسي

يقال له: سلمان بن الإسلام، وسلمان الخير لأنه أنكر كل نسب له إلاَّ إلى الإسلام.

كان سلمان ابناً لبعض أحبار فارس، وكان قد سمع بمبعث النبي ﷺ فخرج يضرب في الأرض يبحث عنه، وكان لما اجتمع له من علم قديم يعلم أنه قد آن أوان نبي آخر الزمان الذي بشرت به الكتب الأولى، وأن مبعثه بالحجاز، حتى إذا لقي النبي ﷺ كان من أشد الناس صحبة له وأخذاً عنه، وكتب له بعد موت النبي

ﷺ أكثر من خمس وعشـرين عاماً كان يمضـيها في العلم والعمل والدعوة. وقد قال معـاذ بن جبـل عنـد الموت: ابتغوا العلم عنـد عمر وعثمـان وعلي فـإن فقـدتموهم فابتغوه عند أربعة: منهم سلمان.

وقال عنه علي بن أبي طالب: أدرك العلم الأول والعلم الآخر وهو بحر لا ينزف. توفي سنة 35هـ.

جَدْوَلُ أَشْبَالِ الصَّحَابَةِ

قصـدنا في هذا الجدول تعريف القارئ الكريم أن دعوة النبي ﷺ إنما قامت على أكتاف الشـباب، وأن الشـباب وحدهم هم الذين يتحملون عبء كل ثورة إصلاحية في التاريخ، وكذلك كان في الإسلام.

بين يديك نحو ثلاثين اسماً من ألمع أسماء الرعيل الأول من الصـحابة، يحسـبهم الجاهل حين يقرأ أسماءهم رجالاً كباراً من كثرة ما قدموا من عطاء، ثم يقلب صفحات حياتهم فإذا هم ناشئة من الفتية، آمنوا بربهم وزادهم هدى.

إن تلك الأعمال العظيمة التي قامت بها هذه الناشئة الطاهرة، لهي أوضح دليل على أثر الإيمان في إعداد الأنفس، وأثر المربي الناجح في تربية الأجيال، وهي صورة حية لتربية النبي ﷺ العظيمة:

التي جعلت من الأطفال رجالاً. .

ومن الرجال أبطالاً. .

ومن الأبطال عمالقة.

الصحابي	عمره يوم أسلم	عمره يوم مات النبي	أعماله...
علي بن أبي طالب	9	41 سنة	-اهتدت على يده قبيلة همذان كبرى قبائل اليمن. -الخليفة الرابع للنبي ﷺ. -باب مدينة العلم وأعلم الصحابة بالقضاء. -من أعظم المجاهدين سماه النبي ﷺ: أسد الله الغالب.
طلحة بن عبيد الله	15	37 سنة.	-أمّره رسول الله على عدة سرايا، وهو من العشرة المبشرين بالجنة. -كان عضواً في لجنة الشورى التي اختارت عثمان خليفة للمسلمين.
الزبير بن العوام	14	38 سنة	-من الرعيل الأول، ومن العشرة المبشرين بالجنة. -حواري رسول الله ﷺ.
الأرقم بن أبي الأرقم	15	35 سنة	-من الرعيل الأول، وصاحب أول دار فتحت للدعوة الإسلامية.
سعد بن أبي وقاص	17	39 سنة	أحد المبشرين بالجنة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله. -قائد القادسية وفاتح المدائن أمير الكوفة-كان مجاب الدعوة بلغت مروياته عن النبي ﷺ 270 حديثاً.
جعفر بن أبي طالب	20	مات قبل النبي	أمير المهاجرين في الحبشة-من أعظم الدعاة في الإسلام-استشهد يوم مؤتة وكان أميراً فيها.
عبد الله بن مسعود	17	37	من أكبر علماء الصحابة وفقهائهم. كان أقرب الناس إلى النبي ﷺ حتى عدّوه من أهل البيت. بلغت مروياته عن النبي ﷺ 848 حديثاً
سعيد بن زيد	18	35	-كان سبباً في إسلام عمر.

			-من الرعيل الأول ومن العشرة المبشرين.
معاذ بن جبل	17	27	-أعلم الصحابة بالحلال والحرام بشهادة النبي ﷺ. -من أنجح الدعاة في الإسلام. كان له دور كبير في إسلام اليمن ونشر العلم في الشام، مات وله من الأحاديث عن رسول الله ﷺ 157 حديثاً عمره 34 سنة فقط.
عبد الله بن عمر	أسلم طفلاً	20سنة	-من أعلم الصحابة وألزمهم بهدي النبي ﷺ. -كان وصياً على الخلافة بعد موت أبيه. -بلغت رواياته عن النبي ﷺ (2630) حديثاً
عبد الله بن عمرو	15 سنة	19 سنة	من أعظم علماء الإسلام، أول من اشتغل بعلم مقارنة الأديان توفي رسول الله ﷺ وعمره 19 سنة بلغت مروياته عن النبي ﷺ 700 حديثاً.
عبد الله بن عباس	أسلم طفلاً	14 سنة	حبر الأمة وترجمان القرآن، ومن أعظم علماء الصحابة، توفي رسول الله ﷺ وسنة 14 سنة.
عبد الله بن الزبير	أسلم طفلاً	11 سنة	-من علماء الصحابة، بويع بالخلافة ثماني سنين، توفي رسول الله ﷺ وعمره: 11 سنة
زيد بن ثابت	أسلم طفلاً	17 سنة	كاتب رسول الله ﷺ وترجمانه، ومن أوثق علماء الصحابة، أعظم أعماله جمع القرآن الكريم في المصاحف.
أسامة بن زيد	أسلم طفلاً	17	-حبُّ رسول الله ﷺ وابن حبيبه. كان قائد جيش الشام وعمره 17 سنة. وفي جيشه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة
عتاب بن أسيد	24	27	-استعمله النبي على مكة وعمره 25 عاماً. كان أميراً للحج في السنة الثامنة.
عمير بن أبي وقاص	9	مات قبل النبي	أول شهيد يوم بدر وكان عمره 16 عاماً.

صهيب بن سنان	19	34	-سابق الروم إلى الجنة. -من أعظم المجاهدين والرماة.
خباب بن الأرت	17	32	من الرعيل الأول السابقين في الإسلام، اشتهر بصبره وتحمله الأذى في سبيل الله.
بلال بن رباح	30	47	من الرعيل الأول السابقين في الإسلام. ثبت على الإسلام رغم مقتل أبويه. وكان مؤذن رسول الله ﷺ، وله دور في نشر العلم في الشام

جدول زوجات النبي

أثار بعض الكاتبين لغطاً فارغاً حول زواج النبي ﷺ بتسع نسوة، ولم يكن هذا الكلام يستحق أن يسطر له رد خاص، لولا أنه بلغ مبلغه في نفوس بعض الجاهلين، فرأينا من حق الأمانة العلمية أن نرد بكلمة مقتضبة على هذه الفرية الظالمة.

الإسلام لم يأت أصلاً بتشريع التعدد، بل جاء بتقييده، فقد كانت بيئة الحجاز تألف التعدد بلا حدود، وعرف من العرب من له أربعون وخمسون زوجة، وما كان الناس يرون في ذلك خروجاً على المألوف.

فلما جاء الإسلام أبطل ما كانت العرب تعتاده من التعدد بلا حدود، وأمر بالاكتفاء بأربعة. ثم جعل التعدد مقيداً بالعدل بين الزوجات، وألمح إلى ما في هذا العدل من مشقة بالغة فقال: { وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} وبقي تشريع التعدد رحمة من الله عز وجل بكثير من النساء لا يجدن من يحصنهن.

وكان النبي ﷺ إذا جاءه من أصحابه من يجمع أكثر من أربع نسوة قال له: أمسك أربعاً وفارق سائرهنَّ.

أمّا هو ﷺ فلم يفارق أحداً من نسائه لما نزل التحريم، وحكمة ذلك درء الظلم عن نساء النبي ﷺ، فقد كانت المرأة المطلقة تجد من يخطبها ويحصنها، أما نساء النبي فليس لأحد أن ينكحهن بعده، وذلك حتى لا يضيع ماء الأنبياء، فلو طلقهنَّ النبي ﷺ لأصابهن من الظلم والأذية شيء كثير.

{وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا}.

أمّا زواج النبي ﷺ بتسع نسوة فلم يكن إرواء لنزوة الجسد، كما يحلو لبعض خصوم الإسلام أن يصفوه، بل كان في كل نكاح منها بركة عظيمة عادت على الناس بنفع عظيم.

ولن أورد في بيان ذلك إلا حجتين اثنتين فيها مقنع لمن كان يبتغي الحق:

الأولى: أن النبي ﷺ بلغ الثالثة والخمسين وليس له إلا زوجة واحدة تكبره بخمسة عشر عاماً، ولا شك أن هذه الفترة هي فترة النشاط الجسدي عند الإنسان السوي، حتى إذا ما تجاوزها قلّت رغبته وانطفأ ميله إلى النساء.

الثانية: إن سائر نساء النبي ﷺ كنّ ثيّبات: مطلّقات أو أرامل باستثناء عائشة بنت أبي بكر وحدها.

فلو كان النبي ﷺ يبتغي من نسائه متعة الجسد لكان له غير هذا الاختيار، وكانت البديعة تقضي أن يختار من النساء أفتاهن وأضوأهن وأصباهن، وهو أمر- لو أراد- جدّ يسير.

وبعد: فهذا فصل خاص قصدنا فيه التعريف بنساء النبي ﷺ، وما هي الحكمة التي أثمرها نكاح بل واحدة منهن؟ وكيف عاد هذا النكاح على قوم كل واحدة منهن بالخير العميم[1].

(1) نشير هنا إلى أن النبي ﷺ لم يجتمع عنده في وقت واحد إلاَّ تسع نسوة، فقد ماتت خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة، في حياته ﷺ.

أما مارية القبطية فهناك خلاف مشهور بين أصحاب السير في عدِّها من زوجات الرسول ﷺ.

جَدَوَلُ زَوْجَاتِ النَّبِيّ ﷺ

الزوجة	ولادتها	وفاتها	سنها عند زواج النبي بها	وضعها السابق
1-خديجة بنت خويلد	68 ق. هـ	3 ق. هـ	40 عاماً	أرملة مرتين ولها أولاد
2-سودة بنت زمعة	54 هـ			أرملة، كان زوجها السكران بن عمرو
3-عائشة بنت أبي بكر	9 ق. هـ	58 هـ	9 أعوام	كانت بكراً وتزوجها رسول الله بكراً
4-حفصة بنت عمر	18 ق. هـ	45هـ	21 عاماً	أرملة، كان زوجها حصن بن حذافة
5-زينب بنت خزيمة	26 ق. هـ	4 هـ	30سنة	أرملة، كانت تحت عبد الله بن جحش
6-أم سلمة بنت أبي أمية		62هـ		أرملة، كانت زوجة أبي سلمة بن عبد الأسد
7-زينب بنت جحش	30ق. هـ	20هـ	35 عاماً	مطلقة، كان زوجها زيد بن حارثة
8-جويرية بنت الحارث	15 ق. هـ	50هـ	20عاماً	جارية من سبي المصطلق. كانت تحت مسافع بن صفوان المصطلقي الذي قتل في غزوة المريسيع
9-رملة بنت أبي سفيان	30 ق. هـ	44هـ	37 عاماً	كانت تحت عبيد الله بن جحش
10-صفية بنت حيي	10 ق. هـ	50هـ	17 سنة	كانت أرملة من سبي بني النضير
11-ميمونة بنت الحارث		51هـ		أرملة، كان زوجها أبو رهم بن عبد العزى
12-مارية القبطية		16 هـ		جارية، أهداها المقوقس صاحب الإسكندرية إلى رسول الله ﷺ

خديجة بنت خويلد

أم المؤمنين، وسيدة نساء العالمين، وأوّل زوج للنبي ﷺ، وخير نسائه أجمعين، كان يقول: "والله ما أبدلني الله خيراً منها".

بدأت مع النبي ﷺ في دعوته من الأيام الأولى، فكانت له زوجة رحيمة ورفيدة كريمة، وكانت لما عمر قلبها من الإيمان لا تبالي بما تنفقه من مال وما تلقاه من أذى في سبيل الله.

قال لها رسول الله ﷺ يوماً: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك السلام، وأبشرك ببيت في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب".

وكان ﷺ يكثر الثناء عليها بعد موتها، ويحسن إلى صديقاتها، ويكرمهن ويقربهن وفاء لها.

وقد ظلت خديجة مع النبي ﷺ تأزره بنفسها حتى رهق جسدها، وتنصره بمالها حتى افتقرت، وكان النبي ﷺ يعرف ذلك كله، وحزن يوم موتها حزناً شديداً حتى سمي ذلك العام عام الحزن. توفيت خديجة في السنة 10 للبعثة.

سودة بنت زمعة

خطبها رسول الله ﷺ بعد موت خديجة وكان زوجها السكران بن عمر وقد توفي، وقصد رسول الله ﷺ من زواجها أن تقوم برعاية الأولاد زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، وكانت سودة امرأة ثبطة ثقيلة ما لها ما للنساء من جمال وشباب، وكانت صوامة قوامة، ولم يؤثر عنها اشتغال بالعلم والرواية. ماتت عام 54هـ.

عائشة بنت أبي بكر

أم المؤمنين وأحب نساء رسول الله إليه وآثرهن لديه نشأت في بيت الصديق، ولم تكن في يوم من الأيام غير مسلمة.

أهم الأعمال التي تركتها:

1-في مجال الرواية: روت عائشة رضي الله عنها نحو (2210) أحاديث، وكان بيتها مركزاً لنشر العلم والدعوة، يقصده خواص العلماء في المسائل المشكلة.

2-في الفقه: كثرت فتاوى عائشة حتى صار لها فقه خاص، امتلأت به كتب التفسير والفتاوى.

3-في الطي: نبغت عائشة في الطب وكانت تُسأل عن ذلك فتقول: تعلمت الطب من حكماء العرب الذين وفدوا على النبي ﷺ في مرضه.

4-في مجال تربية النساء: فقد كانت تعقد المجالس للنساء، تعلمهن ما يلزمهن من أمر دينهن، وتصلح لهن شؤون دنياهنَّ.

ماتت عائشة رضي الله عنها عام 58هـ.

حفصة بنت عمر

أم المؤمنين تزوجها النبي ﷺ بعد موت زوجها حصن بن حذافة عقب بدر، فكانت تقوم على خدمة النبي ﷺ، كما كان لها أثر في توثيق ما بين النبي وعمر من وشائج الحب والقربى، وكانت صوامة قوامة، عاشت إلى خلافة معاوية وتوفيت عام 45هـ، وروت نحو /221/ حديثاً.

زينب بنت خزيمة الهلالية

زوج النبي ﷺ، تزوجها النبي ﷺ بعد أن استشهد زوجها عبد الله بن جحش في أحد فأحسن إليها وكرمها، وكانت عظيمة الصدقة والإنفاق على المساكين، لم تلبث مع رسول الله إلا شهرين ثم توفيت بعد ذلك.

أم سلمة

هند بنت أبي أمية المخزومية أم المؤمنين، وزوجة النبي ﷺ.

تزوجها رسول الله ﷺ سنة أربعة للهجرة بعد موت زوجها أبي سلمة، وكانت امرأة عظيمة الإيمان، عظيمة الإخلاص راجحة العقل.

هاجرت إلى الحبشة ثم هاجرت إلى المدينة رغم ما لقيت من صدٍّ ورط من قومها، ثم حصلت من النبي ﷺ علماً كثيراً وعاشت طويلاً حتى انتفع الناس بعلمها.

ومن أعظم مواقفها ما ظهر من عقلها وحكمتها يوم أشارت على النبي ﷺ يوم الحديبية أن يتقدم الناس فيحلق ويحل، بعد أن أوشك الناس أن يعصوا رسول الله ﷺ، ففعل النبي ما أشارت به أم سلمة، فاجتمع الناس على الطاعة، وامتثلوا أمر النبي ﷺ، وبها رحم الله المسلمين.

توفيت عام 62هـ. ولها من الروايات عن النبي ﷺ جملة طيبة حدثت بها الناس.

زينب بنت جحش

كانت زينب بنت جحش من أجمل نساء العرب، وكانت بنت عمة النبي ﷺ "أميمة بنت عبد المطلب"، وقد تزوجها النبي ﷺ بوحيٍ من الله عزَّ وجلَّ بعد طلاقها من زوجها زيد بن حارثة، وذلك لإبطال عادة التبني التي كانت شائعة في العرب.

أما أعمال زينب في الخير، فقد كانت صوامة قوامة أواهة شديدة التبتل، وكانت عظيمة م\الإحسان للمساكين، وكانت تغزل بيدها وتخيط وتتصدق بما أفاء الله عليها من الخير، كما كان لها نشاط في العلم والتعليم، وروت عن النبي ﷺ جملة أحاديث وتوفيت عام 20هـ.

جويرية بنت الحارث

لما غزا رسول الله ﷺ بني المصطلق، وقعت جويرية في الأسر وهي بنت الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطبق، فاختارها النبي ﷺ وتزوجها، وأحسن إليها، فكانت من أعظم الناس بركة على قومها، فقد جعل الناس يطلقون السبايا ويقولون أصهار رسول الله ﷺ، وأعتق الله به مائة أهل بيتٍ من بني المصطلق.

ثم كانت جويرية بعدئذٍ صوامة قوامة، واجتهدت بعد النبي ﷺ في نشر العلم والرواية عنه. وماتت عام 50هـ.

رملة بنت أبي سفيان

تزوجها النبي ﷺ بعد تنصّر زوجها عبيد الله بن جحش في الحبشة، وقد خطبها للنبي ﷺ ملك الحبشة النجاشي، وأصدقها أربعمائة دينار، وزفها إليه مع عمرو بن أمية الضمري.

وكان قصد النبي ﷺ من ذلك التأليف بينه وبين أبي سفيان ومن ورائه قريش، وفيها نزل الله عز وجل: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

أما رملة فكانت حكيمة صالحة واعية، وتمكنت من تحويل أبيها عن كثير من بغضه وعداوته للإسلام، حتى قال في حق النبي لما بلغه خبر زواجه منها: "وهو الفحل لا يجدع أنفه".

وأيقن أبو سفيان بعدئذٍ أن عز محمد عزٌّ له، وأن نصره نصرٌ له، فانقطعت كثير من نواياه على الإسلام وأهله.

عاشت رملة حتى عام 44هـ، وروت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة رواها عنها أصحاب الكتب الستة جميعاً.

صفية بنت حيي بن أخطب

أبوها حيي بن أخطب زعيم بني النضير من اليهود، وهو الذي كان وراء جموع خيبر التي أضمرت الشر للإسلام، تزوجها رسول الله ﷺ عقب غزوة خيبر، وكانت قد وقعت في السبي، فأحسن إليها وأكرمها وتزوجها ثم عرس بها، وكان مراد النبي ﷺ أن يؤلف بينه وبين اليهود، وقد أبقاهم على مزارعهم في خيبر وفدك، فكانت صفية من أعظم النساء بركة على قومها.

وقد كانت صفية تقية عابدة، وكانت أثيرة عند النبي ﷺ، وكانت حكيمة راشدة عاقلة ولم تقطع اليهوط من برها وصلتها، ولا يبعد أن يكون الله قد هدى على يديها قوماً من يهود.

ماتت صـفية عام 50هـــــ، وروت مجموعة من السـنن عن النبي ﷺ ومروياتها في الكتب الستة جميعاً.

ميمونة بنت الحارث

تزوجها النبي ﷺ في عمرة القضـاء سـنة سـبع، بعد موت زوجها أبو رهم بن عبد العزى، وقد كانت ميمونة عظيمة البركة على قومها في الإسلام. فقد تزوجها رسول الله ﷺ في عمرة القضـاء، وأقام لها حفلاً ووليمة بسـرف، ودعا إليه سـائر قريش، فاجتمع الناس فأنس النافر وقرب البعيد وقالوا: "أصهر إلينا محمد".

وعاشت ميمونة حتى انتفع الناس بعلمها وروايتها عن رسول اللهﷺ، وكانت عائشة تقول عن ميمونة: إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم.

توفيت عام 51هـ، روى لها أصحاب الكتب الستة عدداً من السنن.

مارية القبطيّة

أهدى المقوقس عظيم مصـــر إلى النبي ﷺ جملة هدايا فيها "مارية القبطية"، وكانت مارية قد أسلمت على يد حاطب بن أبي بلعتة فتزوجها النبي ﷺ وأكرمها، وأنجبت له إبراهيم غير أنه لم يكتب له العمر فتوفي صـغيراً، وحزن رسـول الله ﷺ لموته أشـد الحزن...

لم يؤثر عن مارية اشتغال في العلم والرواية. ماتت عام 16هـ.

جَدولُ نِسَاءِ الصَّحَابَةِ

-لم تكن المرأة غائبةً عن صنع التاريخ في الإسلام، بل كانَ لها دورٌ كبيرٌ فيه. ولم يمنعها عفافها ودينها أن تكون فاعلة في الأحداث، فكانت معلمة وناصحة ومشيرة أمينة، بل ومجاهدة مقاتلة إن اقتضى الأمر وإنّ أعظمَ عملٍ يسجل لنساءِ الصحابة هو قيامهن بإعداد ذلك الجيل العظيم الذي صار فيما بعد أعظم جيل شهدته الدنيا.

هذا الجدول يقدم لك بياناً عن نحو 21 من نساء الصحابة كان لهن أعظم الأثر في حركة الأحداث في ذلك الفج الإسلامي العظيم.

زينب بنت النبي ﷺ

أكبر بناته ﷺ ولدت عام 23 ق. هـــ. تزوجها أبو العاص بن الربيع، فلما بُعث النبي ﷺ لم يسلم زوجها أبو العاص، ففارقته غير آسفة، غير أنها لم تيأس من هدايته وإسلامه، وأرسلت له في ذلك، حتى إذا كان يوم بدر وقع زوجها أسيراً في يد النبي ﷺ فأجارته زينب، وأرسلت له قلادتها لتكون فداءه عندما أسر مع المشركين في معركة بدر، فلما أطلقه النبي ﷺ أرسلت إليه زينب تدعوه إلى الإسلام، فما لبث بمكة إلاَّ أياماً حتى جاء إلى النبي ﷺ مسلماً فرد إليه زينب.

توفيت زينب سنة 8هـــ، وتركت بنتاً واحدة هي أمامة؛وهي التي كان النبي ﷺ يحملها في الصلاة.

-أشهر أعمال زينب:

-مواقفها في الصبر مع النبي ﷺ وإيثارها صحبة النبي ﷺ على زوجها المشرك.

-دورها في هداية زوجها أبو العاص بن الربيع.

-نشاطها العلمي حيث صحبت النبي وروت عنه غير أنها لم تعش حتى يستفاد من علمها وروايتها.

رقية بنت النبي ﷺ

ولدت رقية قبل بعثة النبي ﷺ بنحو تسع سنين، وتزوجها ابن عمها عتبة بن أبي لهب قبل النبوة، ولما استعلن النبي ﷺ أمر أبو لهب ولده عتبه أن يطلقها، فطلقها لغير ما ذنب، فكان هذا أول صبر لقيته في سبيل الله، ثم تزوجها عثمان بن عفان فهاجر بها إلى الحبشة، فكان هذا أيضاً جهاداً في سبيل الله، ثم هاجرت مرة ثالثة إلى المدينة المنورة مع زوجها، غير أن ما لقيته من آلام ومحن في ذات الله قد أنهك

جسدها فاستسلمت للمرض، ولم يمض عام ونصف على هجرتها حتى أدركها الموت، ورسول الله ﷺ في بدر.

لقد كانت زينب من أعظم النساء صبراً وجهاداً، وكانت على قدر كبير من العلم والعمل، غير أن الأيام لم تمهلها حتى تنشر ما رزقها الله من علم غزير.

لم تعقب رقية، وقيل با ولدت لعتبة ولعثمان ولدين ماتا طفلين، فلم يعش لها عقب.

أم كلثوم بنت النبي ﷺ

لا تعرف إلا بكنيتها، وقد تزوجها عتيبة بن أبي لهب، فلما نزل قوله تعالى: {تبت يدا أبي لهب و تب} أمر أبو لهب ولديه عتبة وعتيبة، فطلقا ابنتي النبي ﷺ رقية و أم كلثوم.

وبقيت أم كلثوم أيما إلى ما بعد وفاة رقية فزوجها النبيﷺ من عثمان ، وقال : ما زوجت عثمان أم كلثوم إلا بوحي من السماء.

صبرت أم كلثوم كثيرا، وجمعت علما كبيرا غير أنها ماتت في السنة التاسعة والرسولﷺ حي، فلم يؤثر لها رواية.

فاطمة "رضي الله عنها"

بنت النبي ﷺ وبضعة منه، وهي خير نساء العالمين، لا تحصى فضائلها ولا تعد مكارمها، ولدت قبل البعثة بخمس سنين، وهي أصغر بنات النبي ﷺ وآثرهن لديه.

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: ما رأيت أفضل في الإسلام من فاطمة إلا أباها.

ولفاطمة رضي الله عنها أعمال ليلة نعدّ منها:

-مواقفها في نصرة أبيها، والدفاع عنه لما اشتد عليه أذى المشركين.

-تربيتها العظيمة للسبطين الشهيدين الحسن والحسين، حيث صارا أئمة الدنيا في العمل الصالح وفي مكارم الأخلاق.

-رواياتها العلمية لحديث رسول الله ﷺ، حيث روى لها أصحاب الكتب الستة جميعاً.

توفيت فاطمة عام 11هـ، ولها من العمر نحو 27 عاماً.

أسماء بنت أبي بكر

"ذات النطاقين"

ولدت أسماء بنت أبي بكر في كنف والدها الصديق رضي الله عنهما قبل الهجرة بسبعة وعشرين عاماً، وأسلمت مع أبيها طفلة، وتزوجها الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ، وهاجرت وهي حامل، فولدت بعبد الله بن الزبير في المدينة عند مسجد قباء. وأهم أعمالها في الإسلام:

-دورها الهام في هجرة النبي ﷺ، حيث كانت تؤمن الزاد وتكتم الخبر.

-تربيتها العظيمة لأولادها الذين صاروا قادة كباراً في الفتوحات والإصلاحات، وعلماء عاملين في العلم والرواية: عبد الله ومصعب وعروة.

-مواقفها الشجاعة والجريئة من الحجاج في كشف ظلمه والتحريض عليه.

-مواقفها مع ولدها عبد الله في توجيه ثورته وشد عزيمته.

-رواياتها العلمية الكثيرة التي نقلها لها المؤرخون والمحدثون، وقد روى عنها أصحاب الكتب الستة جميعاً.

توفيت أسماء عام 74هـ، ولها من العمر نحو 100 عام.

أسماء بنت عميس

من أول المؤمنات زوجها جعفر بن أبي طالب آمنت معه وهاجرت معه إلى الجبشة، وكانت من أعظم النساء صبراً وكياسة وعقلاً.

ولما مات جعفر تزوجها أبو بكر الصـــديق، فكانت عنده إلى أن توفي، ثم تزوجها علي بن أبي طالب وماتت بعده، وولدت لهم جميعاً.

ومن أهم أعمالها:

هجرتها إلى الحبشة مع زوجها، وقد رويت لها مواقف عظيمة وآراء سديدة في تأييد زوجها، وشد أزره وتوجيه مواقفه.

-كانت ترى أن التفاضل بالتقوى لا غير، ولا عبرة للأنساب والأجباس، وشكت إلى النبي ﷺ مقالة بعض المهاجرين أنها لا هجرة لها، فقال النبي ﷺ: "لا بل للناس هجرة ولك هجرتان".

-تربيتها العظيمة لأولادها، فقد رووا عنها الحديث، وكان من صـــلبها حفيدها الكبير القاسم بن محمد الذي صار سيد فقهاء المدينة.

-لما نضـجت أسماء بنت عميس صـار بيتها داراً للإصـلاح بين الناس في المدينة، وقد قصدها عمر وعلي مرة في فك الخصومات.

-روايتها للعلم الشريف، وحفظها عن رسول الله ﷺ، ومروياتها في البخاري والسنن الأربعة كثيرة.

أسماء بنت يزيد بن السكن

من خير نساء بني عبد الأشهل من الأوس، بنت عم معاذ بن جبلـكانت تكنى أم سلمة وتعرف ب، "خطيبة النساء".

ومن أشهر ما روي عنها:

-مواقفها الجريئة في استبانة أصول دينها من رسول الله ﷺ، وروي لها الكثير من المواقف، حتى أنها طلبت من رسول الله ﷺ مجلساً خاصاً للنساء، فأجابها إليه.
-مواقفها الجريئة في الدفاع عن حقوق المرأة، حتى سميت "خطيبة النساء"، وهي التي قدمت إلى النبي ﷺ فقالت: "يا رسول الله إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته، فجعل النبي ﷺ الأمر إليها فقالت: قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن تعلم النساء أنه ليس للآباء من الأمر شيء.
-رواياتها العلمية عن النبي ﷺ وقد روى لها البخاري وأصحاب السنن الأربعة.
-موقفها يوم اليرموك، حيث شاركت في الإمداد والمداواة، ولما اشتبكت الصفوف التحمت مع الصف فقتلت تسعة من الروم بعمود فسطاطها.

الخنساء

هي تماضر بنت عمرو الشاعرة المخضرمة، رباها الإسلام فأحسن تربيتها، وكانت في الجاهلية فقدت أخاها صخراً، فكبته ورثته حتى ملأت بشعرها فيه دواوين العرب، وكانت تقول:

ولولا كثرة الباكين حولي | على إخوانهم لقتلت نفسي

فلما أسلمت صارت امرأة أخرى، وخرجت يوم القادسية بأولادها الأربعة فحضتهم على الجهاد، وكان فيما قالت لهم:

"أي بني، إنكم آمنتم مختارين وهاجرتهم طائعين، فتقدموا في سبيل الله ولا تغرنكم الدنيا، فإنها متاع الغرور". فتقدموا فقاتلوا حتى استشهدوا جميعاً، فلم تزد على أن قالت:

"الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم، وأسأل الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته".

للخنساء من الأعمال:

- هجرتها إلى النبي ﷺ مع بني سليم.
- ماتركته من تراث شعري في الخير ومكارم الأخلاق، وكان النبي ﷺ يحب شعرها ويستنشدها ويقول: "هيه يا خناس أسمعينا".
- قيامها بتربية أولادها الأربعة تربية جهادية نادرة.

نسيبة بنت كعب المازنية

من نساء النصار من الخزرج وكنيتها أم عمارة، شهدت بيعة العقبة الثانية مع النبي ﷺ، ومع قيامها بواجبها كأم مربية فقد شهدت كثيراً من المواطن مع رسول الله ﷺ.

أهم أعمالها:

-موقفها الصلب من أخيها عمر حين صدعت أمامه بإسلامها، ودعته إلى الدخول في الإسلام، وكتب الله هدايته للإسلام على يدها.

-رواياتها عن النبي ﷺ، أوردها الواقدي، ويظهر فيها أن فاطمة كانت معلمة للنساء، وكانت الفواطم تجتمع عندها في طلب العلم.

أم حرام بنت ملحان

واسمها: الرميصاء، وهي خالة أنس بن مالك. كانت تقوم بخدمة النبي ﷺ كلما جاء قباء، وكان النبي ﷺ إذا جاء قباء نزل عندها، فأصلحت شأنه، وقامت بخدمة أصحابه، توفيت في خلافة عثمان.

ومن أهم أعمالها:

- اشتراكها في غزوة قبرس مع زوجها عبادة بن الصامت، وكان النبي قد قال يوماً وهو عندها:

"أول ناس من أمتي يركبون البحر قد أوجبوا"، قالت: فادع الله أن أكون منهم يا رسول الله؟!قال: أنت من السابقين، وقد توفيت أم حرام في غزوة قبرس ودفنت فيها.

- صبرها على وفاة أبيها ملحان بن خالد وأخيها حرام بن ملحان، حيث استشهد مع النبي ﷺ وقد مان النبي ﷺ يرق لها ويكثر الدخول عليها ويرحمها.
- نشاطها العلمي، حيث روى لها البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.
- قيامها بخدمة النبي ﷺ وأصحابه من الدعاة، حتى صارد دارها في قباء مدرسة لنشر العلم والخبر.

صفية بنت عبد المطلب

عمّة النبي ﷺ، من أعظم نساء الصحابة، تزوجها العوام بن خويلد بعد موت زوجها الحارث بن حرب، فولدت له الزبير والسائب.

هاجرت مع النبي ﷺ وجاهدت معه، ولها المواقف المشهورة، وعاشت إلى خلافة عمر معلمة وناصحة وداعية، ومن أشهر أعمالها:

- هجرتها إلى النبي ﷺ وما لقيته من عناء في ذلك.
- جهادها مع النبي ﷺ، حيث شهدت معه المشاهد، وقامت يوم الخندق بالدفاع عن حصن النساء، فقتلت عيناً ليهود، وقطعت رأسه وألقته إلى القوم.
- ما تركته من تراث شعري رفيع نقلته كتب السيرة.
- تربيتها العظيمة لولدها الزبير، حتى صار حواري رسول الله، وأحد العشرة المبشرين بالجنة.
- نشاطها العلمي، حيث نقلت عنها فتاوى في الحكام والعبادات.

أم سليم بنت ملحان

أم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ أسلمت مع الأولين من الأنصار، وأخلصت في إيمانها وصحبتها، ففارقها زوجها مالك بن النضر إلى الشام فمات بها، وخطبها أو طلحة الأنصاري وكان مشركاً فجعلت صداقها منه أن يدخل في الإسلام، وجعلت تدعوه وترفق به مآمن فتزوجته، وعاشت إلى خلافة عثمان، وأخبارها كثيرة مشهورة.

ومن أشهر أعمالها:

- صبرها وجهادها وإيثارها رسول الله على زوجها أو ولدها.
- نذرها ولدها أنس لخدمة النبي ﷺ، مع أنها كانت خلية عن الأزواج وكانت حاجتها إليه كبيرة.
- سعيها في هداية أبي طلحة، الذي قال عنه رسول الله: "إن سوت أبي طلحة في الجيش بألف رجل"، وقد وفقت لذلك وشرح الله صدره للإسلام.
- شاركت في مواقف جهادية مع النبي ﷺ، واتخذت لنفسها خنجراً كانت تحمله في مواقف الجهاد.
- توفي لها ولد فكتمت ذلك عن زوجها، فجاء وقد ازينت له وتطيبت كأحسن ما تكون، وتركته حتى أصاب منها ونام، فلما أصبح أخبرته بألطف ما يكون الرفيق السفيق، فكانت مثال المرأة الصابرة الحكيمة، وقد سر رسول الله ﷺ لفعلها وقال: الحمد لله الذي جعل في أمتي كصابرة بني إسرائيل، ثم قال: بارك الله لكما في ليلتكما، فأكرمهما الله بولدهما عبد الله بن أبي صلحة، فرزق عشرة من الولد، كلهم جمع القرآن كاملاً.
- تربيتها لولدها أنس حتى صار من كبار علماء الإسلام.
- نشاطها العلمي، حيث روى لها أصحاب الكتب الستة جميعاً.

أم رومان بنت عامر

زوجة أبي بكر الصديق، ووالدة عبد الرحمن وعائشة واسمها زينب وقيل وعد.
أسلمت قديماً، وكانت مع زوجها أبي بكر في حاجة النبي ﷺ ولما هاجر تخلفت عنهما حتى هاجرت مع طلحة وأبي رافع، وكانت عظيمة الصبر واليقين، حتى قال رسول الله ﷺ: "من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان".
ولما ماتت سنة ست، نزل النبي ﷺ في قرها وقال: "اللهم لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك".

ومن أهم أعمالها:

- وقوفها مع زوجها أبي بكر إلى جانب النبي ﷺ في أيام الدعوة الأولى، على ما في ذلك من صبر ومشقة، رغم أن ولدها عبد الرحمن لم يدخل فيما دخل فيه أبوه، فكان يقينها بالحق أعظم من عاطفتها وحنانها.

مضت في هجرتها تاركة ولدها في مكة غير آسفة، حتى هداه الله للإيمان.

- قيامها بتربية ولديها عائشة وعبد الرحمن، حتى صارت عائشة أعلم نساؤ العالمين، وصار عبد الرحمن بعدئذٍ من أعظم المجاهدين.
- نشاطها العلمي في التعليم والرواية، وقد روى لها البخاري رغم أنها ماتت في عهد النبي ﷺ، وهناك قول بتأخر وفاتها إلى ما بعد خلافة عمر.

خولة بنت مالك بن ثعلبة

اشتهرت باسم خولة بنت ثعلبة، وقد عرفت بمواقفها الجريئة في نصيحة الأمراء، وهي التي نزل القرآن بخبر جدالها في سورة المجادلة:
{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ}.

لا يعرف لها رواية إلا في سنن أبي داود، وأشهر ما روي عنها أنها برزت على ظهر الطريق، فلما خرج عمر من المسجد سلم عليها، فردت عليه السلام وقالت: هيه يا عمر...عهدتك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ ترع الصبيان بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمراً، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعبة، وأعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي عليه الفوت، فقال بعض أصحاب عمر: قد أكثرت على أمير المؤمنين أيتها المرأة، فقال عمر: دعها أما تعرفها هذه خولة بنت مالك امرأة أوس بن الصامت، التي سمع الله قولها من فوق سبع سموات، فعمر أحق والله أن يسمع لها.

خولة بنت حكيم

أم شريك زوجة عثمان بن مظعون، اشتهر ذكاؤها وعلمها وصلاحها بين الناس، وكان زوجها عثمان بن مظعون قد هجر النساء وتبتل للعبادة، فقدمت على النبي ﷺ فتأدبت أن تشكو زوجها إلى النبي ﷺ، غير أنها قالت: وقد دخلت بذة الهيئة: يا رسول الله إن عثمان صائم النهار قائم الليل لا أرب له بالنساء، ففهم النبي ﷺ مقصدها، وأمر عثمان أن يرجع عما عزم عليه.

وأهم أعمالها:

-كانت أعرف الناس بحقوق الأزواج والزوجات، فكانت نساء المسلمين يقدمن عليها فتحدثهن بما يجب عليهن.

-نشاطها العلمي: انقطعت للعلم والعبادة بعد وفاة زوجها أول الهجرة، فأخذ عنها سعد بن أبي وقاص وسعيد بن المسيب، ورواياتها في الكتب الستة كثيرة.

رفيدة الأسلمية

لا يعرف الكثير عن رفيدة الأســـلمية، ولكنها اشـــتهرت بين المســـلمين بالطب والتداوي، حتى أمر النبي ﷺ بنصب خيمة خاصة لها في المسجد، كانت بمثابة أول مســتشــفى طبي في الإســلام، وكان لها من أصــحابها من يعينها على هذا العمل الكريم، وكان النبي ﷺ يمر برفيدة وصويحباتها فيباركهن ويدعو لهن.

كذلك فإن هناك الكثير من النساء، كان لهن دور كبير في بناء المجتمع الإسلامي، علماً وتربية ومعارف ونعد منهنَّ:

- **زينب بنت معاوية:** زوجة عبد الله بن مسعود والتي أخرجت رواياتها في الكتب الستة.
- **لبابة بنت الحارث:** أم الفضل زوجة العباس، وقد اشتهرت بالعقل والحكمة والكياسة، وروى لها أصحاب الكتب الستة كثيراً من أحاديث الأحكام. .
- **أم كلثوم بنت عقبة:** أخن الوليد بن عقبة، وكانت عالمة فاضلة عابدة، روى لها البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.
- **أم هانئ بنت أبي طالب:** وهي التي طال عمرها وحسن عملها، وروى لها أصحاب الكتب الستة جميعاً.

وبعد...فهذه سـيرة ثلاث وثلاثين امرأة، تركن أعمالاً جليلة في تاريخ الإسـلام، وذكرت أسماؤهن في كتب السـيرة النبوية، وظهر بذلك لمن يبتغي الحق أن الإسـلام لم يجعل المرأة عضـواً عاطلاً، بل صـارت المرأة في الإسـلام جزءاً هاماً من التاريخ الإسلامي والثقافة الإسلامية.

بحسـبك أن تعلم أن في كتب الحديث المدونة اليوم روايات عن 541 عالمة من عالمات الصحابة. .

جَدْوَلُ غَزَوَاتِ النَّبِيّ ﷺ

اعتمدنا في إعداد هذا الجدول على كتاب: الرســـول القائد. لمؤلفه اللواء الركن محمود شيت خطاب. وذلك لما له في المجال العسكري من خبرة واختصاص.

وجملة ما أحصاه من غزوات النبي ﷺ ثمانية وعشرون غزوة شارك فيها رسول الله ﷺ بنفسه.

ولابدَّ من الإشارة إلى أن غالب هذه الغزوات لم يحصل فيها التحام حقيقي، وبفضل حكمة رسول الله ﷺ ورحمته أمكن حقن الدماء فيها.

ولم يحصل التحام حقيقي إلاَّ في أربع غزوات منها فقط وهي: بدر وأحد وخيبر وحنين وما جرى يوم قريظة.

أما في سائر الغزوات فقد كان رسول الله ﷺ يبرم المعاهدات أو يكتفي بفرار القوم أو يخندق حول نفسه.

أما بالنسبة للسرايا التي خرج فيها أصحاب رسول الله ﷺ فعددها خمس وثلاثون سرية، وقد كانت في غالبها سرايا دعوة وبلاغ، فيها العلماء والقراء والحفاظ، ينفرون في الآفاق يبلغون رسالات الله، وكل ما سجل من اشتباك بينهم وبين قبائل المشركين، فقد كان عملاً مشروعاً، بغرض الدفاع عن النفس، أو رد العدوان عن الجماعة المسلمة.

وقد جرينا على عادة المؤرخين في عدد الغزوات، رغم اقتناعنا أن كثيراً منها لم يكن القتال في مقصدها ولا في نتيجتها، كصلح الحديبية، وعمرة القضاء، وودَّان، وبواط، والعشيرة، غيرها.

وقد أرفقنا الجدول بخارطة: مواقع الوقائع، حيث حددنا فيها مواقع الغزوات الثمانية والعشرين التي خاضها رسول الله ﷺ، وبه تعلم أنها جميعاً لم تتجاوز حدود الحجاز، مع أن الجزيرة كلها دخلت في الإسلام في عهد النبي ﷺ.

جَدَوْلُ غزَوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ

رقم	اسم الغزوة	قوات المسلمين	قوات أعدائهم	المكان	التاريخ		مجمل النتائج
1	غزوة ودان (الأبواء)	200 راكب وراجل	–	ودان	صفر	السنة الثانية الهجرية	لم يلاق قريش فحالف بني ضمرة
2	غزوة بواط	200راكب وراجل	100 راكب وراجل من قريش	بواط ناحية جبل رضوى	ربيع الأول		لم يدرك قافلة قريش
3	غزوة العشيرة	200راكب وراجل	قوة من قريش وبني مدلج وبني ضمرة	العشيرة	جمادى الأولى		وادع بني مدلج وحلفائهم بني ضمرة
4	غزوة بدر الأولى	200راكب وراجل	قوة خفيفة بقيادة كرز بن جابر الفهري	وادي سفوان بالقرب من بدر	جمادى الآخرة		فر المشركين بما غنموه من المشركين
5	غزوة بدر الكبرى	315معهم فرسان فقط وسبعون بعيراً	950منهم 200راكب وهم من قريش	بدر	رمضان		انتصار المسلمين على قريش
6	غزوة بني قينقاع	مسلمو المدينة	بنو قينقاع من يهود	المدينة	أوائل شوال		تطهير داخل المدينة من يهود
7	غزوة بني سليم	200راكب وراجل	بنو سليم وغطفان	قرقرة لكدر بين المدينة ومكة	أواخر شوال		فرار بني سليم وغطفان، وقد تركوا أموالهم للمسلمين
8	غزوة السويق	قوة مطاردة خفيفة من المسلمين	200فارس من قريش	قرقرة الكدر	ذو الحجة		فرار قريش من مطاردة المسلمين
9	غزوة ذي أمر	450 بين راكب وراجل	بنو ثعلبة ومحارب	ذو أمر موضع بنجد	محرم	السنة الثالثة الهجرية	فرّ بنو ثعلبة ومحارب، وبقي المسلمون في ديارهم حوالي شهر
10	غزوة بحران	300راكب وراجل	بنو سليم	بحران على طريق المدينة ومكة	ربيع الأول		فرّ بنو سليم فبقي المسلمون في ديارهم حوالي شهر
11	غزوة أحد	700 بينهم خمسون فارساً	2900من قريش وأحابيشها ومائة من بني ثقيف، بين القوة مائتا فارس	جبل أحد في ضواحي المدينة	شوال		استطاع المشركون إيقاع 70 شهيداً من المسلمين ولكنهم لم يستطيعوا الانتصار على الرغم من تفوق قوات المشركين وتطويقها لقوات المسلمين
12	غزوة حمراء الأسد	630 بين راكب وراجل	2978من قريش وأحابيشها ومن ثقيف	حمراء الأسد بين المدينة ومكة	شوال		طارد المسلمون قريشاً وحلفاءها إلى حمراء الأسد بعد انتهاء معركة أحد مباشرة، ولكن المشركين فضّلوا عدم قبول المعركة وانسحبوا إلى مكة
13	غزوة بني النضير	كافة مسلمي المدينة	يهود بني النضير	ضواحي المدينة	ربيع الأول	السنة الرابعة الهجرية	إجلاء بني النضير عن ضواحي المدينة
14	غزوة ذات الرقاع	400راكب وراجل	بنو محارب وبنو ثعلبة من غطفان	ذات لرقاع بنجد	شعبان		فرار بني ثعلبة وبني محارب
15	بدر الآخرة	حوالي ألف راكب وراجل	300من قريش	بدر	شعبان		عادت قريش أدراجها إلى مكة ولم تذهب للقاء المسلمين في بدر حسب موعدها

16	غزوة دومة الجندل	ألف راكب وراجل	قبائل دومة الجندل	دومة الجندل	ربيع الأول	السنة الخامسة الهجرية	فرت القبائل
17	غزوة بني المصطلق من خزاعة	ألف راكب وراجل	بنو المصطلق	المريع	شعبان		فرَّ بنو المصطلق بعد معركة قصيرة ضد المسلمين

رقم	اسم الغزوة	قوات المسلمين	قوات أعدائهم	المكان	التاريخ		مجمل النتائج
18	غزوة الخندق	ثلاثة آلاف	عشرة آلاف من قريش ومن بني سليم وفزارة وأشجع وغطفان عدا يهود من بني قريظة	المدينة	شوال		عودة الأحزاب من حصار المدينة خائبين
19	غزوة بني قريظة	ثلاثة آلاف بينهم 36 فارساً	600 إلى 700 من قريظة	ضواحي المدينة	ذو القعدة		القضاء على بني قريظة
20	غزوة بني لحيان	حوالي 3 آلاف	بنو لحيان	غران	جمادى أولى	السنة السادسة الهجرية	فرَّ بنو لحيان
21	غزوة ذي قرد	–	غطفان	ذو قرد	جمادى أولى		فرَّ بنو غطفان وتركوا الغنائم التي أخذو المسلمين
22	غزوة الحديبية	1400 راكب وراجل	قريش	الحديبية	ذو القعدة		عقد هدنة الحديبية بين المسلمين وقريش
23	غزوة خيبر	1400 راكب وراجل	يهود خيبر	خيبر	محرم	السنة السابعة الهجرية	سقوط خيبر واستلام يهود فدك ووادي وتيماء فتمَّ بذلك القضاء عسكرياً على يهود العربية
24	غزوة عمرة القضاء	1400 راكب وراجل	قريش	مكة	ذو الحجة		بقي المسلمون ثلاثة أيام في مكة بعد أن خر المشركون وهذه معركة معنويات لا ميدان
25	غزوة فتح مكة	عشرة آلاف	قريش وبنو بكر	مكة	رمضان	السنة الثامنة الهجرية	فتح مكة
26	غزوة حنين	1200 بين راكب وراجل	هوزان وثقيف	وادي أوطاس قرب الطائف	شوال		اندحار هوزان وثقيف
27	غزوة حصار الطائف	1200 بين راكب وراجل	ثقيف وبعض هوزان	الطائف	شوال		لم تستسلم الطائف فعاد المسلمون أدراء المدينة
28	غزوة تبوك	ثلاثون ألفاً بينهم عشرة آلاف راكب	جيش كبير من الروم وحلفائهم	تبوك	رجب	السنة التاسعة الهجرية	فضّل الروم عدم الاشتباك بالمسلمين فأقام في تبوك حوالي عشرين يوماً وصالحوا وسكان منطقة الحدود بين الحجاز والشا بذلك قاعدة أمينة لحركاتهم المقبلة

وبعد. .

فهذا آخر ما وفق الله سبحانه إلى تحريره من سيرة سيد العالمين الشاهد والمبشر والنذير محمد ﷺ } يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيراً وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيراً وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً{[1].

وقد اعتمدنا في إعدادها وتربيتها وتنسيقها على كتب السيرة الأصول المعتمدة عند جمهور الأمة وقد أشرنا إليها في قائمة المراجع.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن نكون قد وفقنا إلى عرض سيرة النبي ﷺ للشباب المسلم، عرضاً يدفعهم إلى المسير على هدي قوله سبحانه:

}لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا{[2].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

7/11/1989

---

[1] سورة الأحزاب: 44-48 .

[2] سورة الأحزاب: 21 .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	3
أنساب العرب	9
بلاد العرب قبل الإسلام	13
البيت الحرام	17
مكة المكرمة	21
ولادة النبي ﷺ	23
إرهاصات النبوة	31
السنة الأولى للبعثة	33
1-بدء الرؤيا الصادقة (من ربيع الأول إلى رمضان)	33
2-نزول الوحي الشريف (شهر رمضان)	34
3-إيمان ورقة بن نوفل والتبشير بالنبي ﷺ	35
4-إسلام خديجة بنت خويلد	35
السنة الثانية للبعثة	37
1-نزول سورة المدثر وبدء الدعوة	37
2-دخول الرعيل الأول في الإسلام	38
3-تسامع قريش بخبر الإسلام	40
السنة الثالثة للبعثة	43
1-دخول دار الأرقم.أول مدرسة في الإسلام	44
2-الاجتماع على صلاة الغداة والعشي	43
3-أول دم في الإسلام	43
السنة الرابعة للبعثة	45

1-إعلان الدعوة في قريش..... 45
2-بدء الآيذاء والاضطهاد..... 47
3-إعلان أبي طالب حمايته للنبي ﷺ..... 48
4-محاولات قريش احتواء رسالة النبي ﷺ عن طريق المفاوضة..... 48
5-وفاة ياسر وسمية أول شهيدين في الإسلام على يد أبي جهل بن هشام 49
6-وفاة ثوبية الصابرة..... 51
السنة الخامسة للبعثة..... 53
1-اشتداد أذى قريش..... 53
2-الهجرة الأولى إلى الحبشة وفيها عثمان بن عفان ورقية بنت النبيﷺ 54
3-محاولات قريش لرد المهاجرين والقبض عليهم..... 54
4-بدء الدعوة في الحبشة..... 56
السنة السادسة للبعثة..... 59
1-إسلام حمزة بن عبد المطلب..... 59
2-إسلام عمر بن الخطاب..... 61
3-الجهر بالدعوة والاستعلان بالقرآن..... 65
4-عودة بعض المهاجرين من الحبشة..... 65
السنة السابعة للبعثة..... 67
1-الهجرة الثانية للحبشة..... 67
2-محاولات قريش شراء الدعوة الإسلامية..... 67
3-قريش تصاب بالحيرة..... 67
السنة الثامنة للبعثة..... 71
1-دخول المسلمين في شعب أبي طالب في مؤامرة ظالمة..... 71
2-إحكام الحصار الإعلامي والاقتصادي على المسلمين..... 72
3-استمرار التربية العقائدية والروحية في مدرسة النبي ﷺ..... 72

السنة التاسعة للبعثة..... 73
1-استمرار الحصار الظالم..... 73
2-حكماء قريش يتعاطفون مع المسلمين..... 74
3-انتشار خبر المقاطعة في العرب..... 74
4-دخول جماعة من نصارى نجران في الإسلام..... 75
السنة العاشرة للبعثة..... 77
1-نقض الصحيفة الظالمة..... 79
2-وفاة خديجة بنت خويلد..... 79
3-وفاة أبي طالب عم النبي ﷺ..... 81
4-إيذاء قريش للنبي ﷺ في جسده بعد موت أبي طالب..... 83
5-هجرة النبي ﷺ إلى الطائف..... 85
6-إيمان نفر من الجن..... 89
7-إيمان عداس النينوي..... 90
8-دخول النبي ﷺ في جوار المطعم بن عدي..... 90
9-العودة إلى الدعوة في مكة في جوار المطعم..... 93
10-إسلام جماعة من أهل المدينة في موسم الحج..... 94
11-إسلام جماعة من بني شيبان وفيهم المثنى بن حارثة..... 94
السنة الحادية عشرة للبعثة..... 97
1-استمرار الدعوة في جوار المطعم..... 97
2-الإسراء والمعراج..... 98
3-ظهور أول ردة في الإسلام بعد خبر الإسراء والمعراج..... 100
4-تشريع الصلوات الخمس..... 100
5-بيعة العقبة الأولى..... 101
6-إرسال مصعب بن عمير إلى المدينة المنورة..... 102

السنة الثانية عشرة للبعثة.....105
1-بدء دعوة مصعب في المدينة.....105
2-أول جمعة تقام في الإسلام في المدينة المنورة.....105
3-إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير.....106
4-بيعة العقبة الثانية.....108
5-بدء الهجرة إلى المدينة.....109
السنة الأولى للهجرة "13 ب"
1-بدء الهجرة إلى المدينة.....114
2-محاولات قريش لمنع الهجرة.....116
3-هجرة النبي ﷺ في ربيع الأول.....117
4-بناء المسجد.....126
5-عقد المؤاخاة العظيم.....129
6-إعلان دستور المدينة.....130
7-موادعة اليهود.....132
8-محالفة القبائل.....134
9-الإذن برد العدوان.....135
10-استئناف رحلة الهجرة.....136
11-بدء الآذان.....132
السنة الثانية للهجرة "14ب"..... **137**
1-الإذن بالجهاد.....137
2-تحويل القبلة إلى البيت الحرام.....140
3-غزوات وسرايا بقصد استرداد أموال المهاجرين.....138
4-سرايا إلى القبائل المجاورة بقصد عرض الإسلام.....139
5-وقعة بدر الكبرى.....140

6-تشريع الصيام.....137
7-غزوة بني قينقاع.....150
8-إرسال الدعاة إلى القبائل المجاورة.....137
9-أمر الأسرى.....148
السنة الثالثة للهجرة "15 ب".....153
1-ظهور النفاق في مجتمع المدينة.....156
2-قتل غراب الحرب اليهودي الماكر:كعب بن الأشرف.....156
3-خروج قريش للانتقام من المسلمين.....156
4-وقعة أحد.....156
5-مقتل حمزة ومصعب وسبعين من الصحابة في أحد.....158
6-غزوة حمراء الأسد.....165
7-سرايا عقب أحد.....168
السنة الرابعة للهجرة "16 ب".....169
1-إعادة ترتيب الجماعة المسلمة بعد يوم أحد.....169
2-إرسال الدعاة ومأساة ويوم الرجيع.....170
3-الغدر بالقراء الدعاة يوم بئر معونة.....172
4-إجلاء جرثومة الغدر "بني النضير" من المدينة.....173
5-تحريم الخمر بشكل نهائي.....175
6-غزوة ذات الرقاع.....177
7-استئناف إرسال سرايا الدعاة.....172
8-غزوة بدر الآخرة.....178
السنة الخامسة للهجرة "17 ب".....179
1-اشتداد النفاق وتفاقمه.....179

2-دخول بني المصـــطلق في الإســـلام عقب زواج رســـول الله ﷺ بجويرية بنت الحارث180
3-نزول ســورة المنافقين في فضــح النفاق في المدينة عقب محاولة فاشــلة من المنافقين للإيقاع بين المهاجرين والأنصار..... 183
4-حديث الإفك ونزول سورة النور في براءة عائشة..... 184
5-غزوة الاحزاب (الخندق)..... 196
6-قتل بني قريظة آخر جرثومة غدر في المدينة..... 201
7-وفاة سعد بن معاذ..... 203
السنة السادسة للهجرة "18 ب"..... 205
1-استئناف إرسال سرايا الدعاة..... 205
2-تطهير أطراف المدينة من بقايا اليهود ومقتل أبي رافع..... 206
3-التفكير في موادعة قريش ومعاهدتها..... 206
4-الخروج للحديبية وبيعة الرضوان..... 212
5-صلح الحديبية وفيه:..... 207
1-اعتراف قريش بالدولة الإسلامية..... 209
2-وضع الحرب عشر سنين..... 210
3-قطع الاحلاف بين قريش واليهود..... 215
6-فتح خيبر..آخر معاقل الغدر في جزيرة العرب..... 218
7-نزول سورة الفتح..... 217
8-زواج النبي ﷺ بصفية..... 221
9-يهود فدك..... 220
10-خبر أبي بصير..... 221
السنة السابعة للهجرة "19 ب"..... 225
1-عودة مهاجري الحبشة..... 225

2-بدء قدوم وفود القبائل المسلمة..... 225
3-قدوم الأشعريين..... 225
4-تعديل صلح الحديبية لمصلحة المسلمين بطلب قريش..... 225
5-زواج النبي ﷺ برملة بنت أبي سفيان وبدء تحول قريش إلى الإسلام 226
6-إرسال الرسل إلى الملوك..... 227
7-إسلام المنذر بن ساوى والنجاشي..... 234
8-عمرة القضاء أول عرض حي للإسلام أمام عيون القرشيين..... 237
السنة الثامنة للهجرة "20 ب"..... 243
1-إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان ابن طلحة 244
2-سرايا الدعاة..... 246
3-غزوة مؤتة..... 247
4-نقض صلح الحديبية..... 251
5-النبي يتجهز لفتح مكة..... 253
6-إسلام أبي سفيان..... 254
7-يوم الفتح الأعظم..... 259
8-سدانة البيت..... 263
9-هدم الأصنام..... 264
10-غزوة حنين..... 264
11-يوم أوطاس..... 266
12-غزوة الطائف..... 266
13-غنائم حنين..... 268
14-العودة إلى المدينة..... 271
السنة التاسعة للهجرة "21 ب"..... 273
1-سرايا الدعاة..... 275

2-قدوم وفود القبائل المهتدية:الأزد-بنو عبد القيس-دوس-طيء-كندة-بنو الحارث-حمير-سعد بن بكر-تجيب-بلي-صداء-غفار-أسلم 279
3-موت النجاشي..... 290
4-غزوة تبوك..... 290
5-موت عبد الله بن أبي 302
6-حج أبي بكر..... 304
السنة العاشرة للهجرة "22 ب"..... 307
1-اكتمال دخول العرب في الإسلام 307
2-قدوم نصارى نجران..... 307
3-تشريع أحكام أهل الذمة..... 309
4-ظهور مسيلمة الكذاب 309
5-حجة الوداع..... 311
السنة الحادية عشرة للهجرة "23 ب"..... 317
1-إعداد جيش أسامة لغزو الروم 317
2-مرض النبي ﷺ..... 318
3-صلاة أبي بكر بالناس..... 319
4-وفاة النبي ﷺ..... 320
5-مبايعة أبي بكر بعد النبي ﷺ..... 321
يوميات السيرة النبوية 327
جدول أعيان العرب..... 337
حمزة بن عبد المطلب-أبو بكر الصديق-عمر بن الخطاب-العباس بن عبد المطلب-سعد بن معاذ-سعد بن عبادة-أسيد بن حضير-عكرمة بن أبي جهل-عمرو بن العاص-صفوان بن أمية-سهيل بن عمرو-أبو سفيان-حويطب بن عبد العزى-خالد بن الوليد-عروة بن مسعود-المثنى بن حارثة-أكثم بن صيفي.

جدول أعلام الدعاة..... 351

أبو بكر الصديق-علي بن أبي طالب-مصعب بن عمير-عبد الرحمن بن عوف-معاذ بن جبل-عمرو بن أمية الضمري-العلاء بن الحضرمي-أبو ذر الغفاري-خالد بن الوليد-سعد بن معاذ-عمير بن وهب-عروة بن مسعود الثقفي-دحية بن خليفة-حاطب بن أبي بلتعة-ضمام بن ثعلبة-عمرو بن مرة الجهني-أبو موسى الأشعري-الطفيل بن عمرو الدوسي-زياد بن الحارث الصدائي-أبو أمامة الباهلي-جعفر بن أبي طالب.

جدول علماء الصحابة..... 365

أبو بكر الصديق-عمر بن الخطاب-عثمان بن عفان-علي بن أبي طالب-عبد الله بن عباس-عبد الله بن عمر-عبد الله بن عمرو-عبد الله بن مسعود-معاذ بن جبل-أنس بن مالك-أبو موسى الأشعري-عبادة بن الصامت-أبو هريرة-زيد بن ثابت-أبي بن كعب-أبو الدرداء-أبو سعيد الخدري-سلمان الفارسي.

جدول أشبال الصحابة..... 377

جدول زوجات النبي ﷺ..... 383

جدول أعلام النساء..... 391

زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة بنات النبي ﷺ-أسماء بنت أبي بكر-أسماء بنت عميس-أسماء بنت يزيد-الخنساء-نسيبة بنت كعب-فاطمة بنت الخطاب-أم حرام بنت ملحان-صفية بنت عبد المطلب-أم سليم بنت ملحان-أم رومان بنت عامر- خولة بنت مالك-خولة بنت حكيم-رفيدة الأسلمية.

جدول غزوات النبي ﷺ..... 407

الفهارس..... 415

الأعلام-الأماكن-القبائل-الخرائط-شجرات الأنساب.

المراجع..... **437**

الفهرس العام..... **439**